

## في خضم المعركة

بقلم: الدكتور عبد الله عزام

الطبعة الأولى  
نشر وتوزيع:  
مكتب خدمات المجاهدين  
بيشاور-باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روحك يا أمي أقدم ثواب عملي المتواضع ضارعا إلى الله القبول ، فلطالما كتبت هذه المواضيع وأنت بين ظهرانينا أستلهم التوفيق من الله عزوجل-بدعائك الصباحي الذي كنت أحس بحاجتي إليه وكما كانت أسارى تنفجر وأعمقي تطمئن وأنا ألتئم يدك الكريمة صباحا متوجها إلى عملي فأرى يدك الكريمتين ترتفع إلى السماء وأنت ترددين دعاءك لي تستمطرين الرحمة والحماية والرضاء لي ورد كيد الأعداء عني .

فرحمك الله رحمة واسعة وجمعنا بك في الفردوس الأعلى

إبنك البار / عبدالله

9/9/1989

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحداث ضخمة شرفنا الله بشهودها، وصفحات من التاريخ الاسلامي أعزنا الله بأن قدر أن نكون كلمات بين أسطرها.

وأشودة عذبة، حذاها العاملون لهذا الدين كنا بقدر الله لحنا من الحانها، فشكرا لله وحمدا

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي .

تجارب عظيمة اكتسبناها على هذا الطريق الشاق الدامي، ونضوج نفسي، وصفاء روحي، وتوكل حقيقي جنيته ثمرة دانية ناضجة لهذه المسيرة المريرة .

عشنا مع هذا الشعب، بابائه، وصفائه، وغيخته، وحيائه وزهده ونقاؤه وشممه ووفائه فوجدنا أنفسنا حقا وأنشدنا بلسان حالهم :

أطرح المجد عن كتفي وأطلبه وأترك الغيث في غمدي وأنتجع (1) [انتجع: أطلب الكلا].

والمشرفية (2) [المشرفية: السيوف]. مازالت مشرفة دواء كل كريم أو هي الوجع

من أبراجنا العاجية التي كنا نخلق بها بأحلامنا العذبة وأمانينا المحلقة نزلنا ومشينا فوق أرض الواقع بانسانية الانسان وكيواته وهفواته وأخطائه فوجدنا اليون الشاسع والبعد الواسع بين العيش بين صفحات الكتب وبين السير على أرض المحن وجمر المواجهات للمشاكل الحقيقية ، فالحمد لله لقد استيقظنا من أحلامنا الهائلة على الحقائق فاستعذبنا المرارة في مواجهتها واستسهلنا الشدائد في التغلب مع عجالاتها ولنا أن نردد مع أبي الطيب :

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتنني سهام تكسرت النصال على النصال

فهان وما أبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي

والحق أننا مع هذه المحن المتلاحقة والمصائب المتساقطة ومع مواجهة المؤامرات الداخلية والعالمية لم يعد يهزنا شيء وأصبحت الحياة والمنية سيان أمام نواظرننا ( ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي ) كل مايطمع به القلب أن تكون

الخاتمة شهادة في سبيل الله فوق أرض النزال ومكر الابطال

أأنت الموت تخشاه ؟ وأنت الموت جنتك !!

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون مايمر به الوحول

ثمانتي حجج متواصلة طوت هذه القضية من ريعان عمري، فأحالت شعري الاسود إلى ثغامة-أبيض -واشتعل الرأس شيبا ، وماأنا بنادم على شيء بل أحس بالسعادة الغامرة لجوانيحي ، وأدرك اللطف الرباني والرحمة الالهية التي تنزلت علي بأن اختارني ربي أن أكون خادما لهذا الجهاد وشرفني بأن اخوض غماره واتكلم عن أفضائه ورجاله وأدركت أن دين الله لا تفهم أسراراه ولا تفتح كنوزه حقا إلا للذين يجاهدون في سبيل رفع رايته واعلاء كلمته وفسرت الآية الكريمة على نفسي:

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .

فالنافرون هم الذين يفقهون كما رجح الطبري ومجاهد

لقد حل ت في نفسي عقد كثيرة، منها عقدة الخوف على الرزق والاجل التي تشكل العقبة الكؤود على طريق الدعاة0 وأيقنت أن دين الله لا يمكن أن يقوم في الارض ولايمكن لشجرتة أن تستوي على سوقها ولا أن تستقر بجذورها في الاعماق ولا أن ترسل بشمارها في الأفاق الا بالجهاد في سبيل الله .

وأدركت أن النفس البشرية لاتنضج والروح لاتصل إلا بالقتل والقتال:

ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

لقد كانت هذه المقالات التي افتتحنا بها مجلة الجهاد، عصاراة الأحداث التي جرت فوق أرض العز والفخار ، وكثير من الكلمات كانت تهتصر أعصابنا وأنفسنا وتعتصر قلوبنا قبل أن تسيل على أسنة أقلامنا .

فهي وإن كانت سجل أحداث عظيمة فهي مع هذا صورة حقيقية لما كان يعمل في جوانبنا من آلام وانعكاس واقعي لما يحلق بين جوانبنا من آلام.

والحمد لله، لقد أضحت مجلة الجهاد حديث السامر، تغنت بها الركبان وأصبحت حديثاً للأجيال المسلمة في سائر البلدان.

وأصبحت (الجهاد) لها عشاقها ينتظرون صدورها غرة كل شهر يعدون الأيام والليالي لتطلع عليهم كأنها البدر في الأيام البيض.

فالفضل لله أولاً وأخيراً، منه التوفيق وإليه يرجع الأمر كله.

واليوم وبعد أن طوت (الجهاد) عامها الخامس فلا زالت تتألق وتزداد إشراقاً وتترجم وتؤرخ لأعظم قضية إسلامية في الأرض شغلت بأحداثها الناس في أرجاء الأرض.

وهذه المقالات تمثل الخط البياني الحقيقي للجهاد ويدرك الإنسان من مطالعتها الأدوار التي مر بها القتال.

وإنني لأحس بصغر حجمي وقزامتي أمام هؤلاء الأبطال الذين أدوا الأدوار والذين فسروا لي ما أعجم علي من كثير من أحداث السيرة وأعادوا إلى مخيلتي بطولات أولئك السلف الذين يمثلهم الحديث الشريف

-خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هبة أو فزع طار إليها يبتغي الموت مظانه)

والحق أن انبهاري بهذا الدين وإعجابي بأفاده الذين ننشد لكل واحد منهم

أسد دم الأسد الهزير خضابه موت فريص الموت منه ترع د

وفي النفس الكثير لا أستطيع أن أنقل انطباعاتها ومشاعرها على صفحات الأوراق وحسبي أنني اجتهدت صادقاً وأمل من الله القبول والثواب.

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

عبد الله عزام

#### أعمدة الجهاد \*

[نشرت في مجلة الجهاد -العدد الأول- 28/12/1984].

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن صلاح الدنيا والدين قائم على الجهاد، إذ يقول رب العزة:

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين

بل إن الشعائر ودور العبادة قائمة على الجهاد:

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا

(الآية 40 الحج)

والجهاد قائم على أعمدة أهمها:

أولاً -العزة : النفس الذليلة المحطمة لا تستطيع نزال الأعداء في ساح الفداء ولذا فعندما أراد الله سبحانه للجيل المؤمن من بني إسرائيل أن يتربى في الصحراء ليدخلوا براية التوحيد فلسطين عندما عصى الجيل الذليل موسى عليه السلام فقالوا: اذهب أنت وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون .

قال الله عز وجل:

فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض

(الآية 26 المائدة)

وفي هذه السنين الأربعين، مات الجيل الذليل وجاء جيل عزيز في جو صحراء التيه حتى كان طعامهم سماوياً ليس من الأرض من أجل إنشاء أمة فريدة تحمل على عاتقها نصرة دين الله وتجاهد الجبابرة في الأرض.

والعزة تعتمد على الاستغناء عن الناس، والاستغناء عن الناس ركنه الركين الزهد.

وفي الحديث الشريف: (1) "ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس"، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على بعض الصحابة رضوان الله عليهم "أن لا يسألوا الناس شيئاً".

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه وهو أحدهم: (فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحد يناوله إياه).. رواه مسلم (2)

ومن أخذ عليهم صلى الله عليه وسلم هذه البيعة أبو بكر وأبو ذر وثوبان لأن الارتفاع بالنفس عما في أيدي الناس يجعله في مقام الداعية وفي طريق الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا جميعاً يبدأون دعوتهم لقومهم بالتوحيد والاستغناء عما في أيديهم وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين

(الآية 109 الشعراء)

ثانياً -الصبر: والصبر كما عرفه العلماء: حبس النفس عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أدرناه بالصبر).

والصبر لا بد له من أن يكون ملازماً للجهاد وإلا فلا جهاد بلا صبر.

والصبر أنواع:

صبر على الطاعات، وصبر عن المحرمات، وصبر على البلاء وامتحان الله، وأنواع الصبر الثلاثة موجودة في الجهاد.

ففي الجهاد: صبر على الطاعة، وصبر عن المحرمات كالفرار من الزحف والتخلف عن نصرة المؤمنين، وأما الابتلاء فهو نتيجة طبيعية للجهاد، فلا بد أن تسيل الدماء، وتنتشر الأشلاء، وتهدم المنازل، ويدوس العدو المقدسات والحرمان، ولكن النتيجة هي العزة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وكما أن الصبر رأس الإيمان فالجهاد قمة سنام الإسلام، والرئاسة في الدين والدنيا تعتمد عليه كلياً:

وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

(الآية 24 السجدة)

فالإمامة في الدين مبنية على الصبر واليقين .  
وفوائد الصبر كثيرة منها:

1-الجزء بغير حساب

إنما ي وفي الصابرون أجرهم بغير حساب  
(الآية 10 الزمر)

2-ضمان النصر واستئصال الملائكة

بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا ي مددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومي  
(الآية 125 آل عمران)

قال الحسن : ( فهؤلاء الخمسة آلاف ردة للمؤمنين الى يوم القيامة)(3) .

2-رؤية العبر والآيات بعين البصيرة التي تزيل قضاها حرارة الجهاد

إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور

(الآية 5 إبراهيم)

4-ومنها المعية الخاصة من رب العالمين للصابر إن الله مع الصابرين

فلا بد لحياة الأمم من جهاد، ولابد للجهاد من عزة وزهد وصبر.

ولذا قال الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا على الثغور في مواجهة الأعداء ، وانتقوا الله -إله الأرض  
والسماء- لعلكم تفلحون في الدنيا وفي دار البقاء.

(الآية 200 آل عمران).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

1 -الحديث حسن رواه ابن ماجه ( 4120 ) وأبو نعيم في الحلية ( 8 / 41 )

2-صحيح مسلم بشرح النووي / ج 7 / كتاب الزكاة / ص -132 وهو قطعة من حديث طويل

3 -القرطبي / ج 4 / ص -194

إلى المتأقلين عن الجهاد\*

[نشرت في مجلة الجهاد-العدد الثاني- يناير/1985م].

إلى الأنصار..

أنصار هذا الدين في أي بقعة من الأرض.. نذكركم فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. أن الجهاد الأفغاني فريضة على المسلمين حتى لو كان  
عدد أعدائهم من الروس وغيرهم أضعاف عددهم، وأنهم لمنصورون بعون الله تعالى على أعدائهم، وإن الواحد منهم كفؤ لعشرة من  
الأعداء، وكفؤ لاثنتين في أضعف الحالات.

وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعدوهم، والواقع يدل على ذلك، فحسب المؤمنين أن يعدوا ما  
استطاعوا من القوى، وأن يثقوا بالله، وأن يثبتوا في المعركة ويصبروا عليها، والبقية على الله، ذلك بأنهم يملكون قوة أخرى غير القوى  
المادية الظاهرة.

يا أيها الذين آمنوا مالم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في  
الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير  
(التوبة: 83)

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقله اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان ، وتطلع إلى  
الخلود الممتد في الآخرة، وخلاص من الفناء المحدود.

وما يحجم ذو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله، إلا وفي العقيدة دخل ، وفي إيمان صاحبه بها وهن وضعف ، لذلك يقول رسول  
الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح:

"من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق"

رواه مسلم . (1)

فالنفاق-وهو دخل في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال-هو الذي يقعد من يزعم أنه على عقيدة من الجهاد في سبيل الله خشية الموت  
أو الفقر والأجل بيد الله، والرزق من عند الله، (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)

؛إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير» (التوبة: 38 -39)

والخطاب لقوم معينين في موقف معين، ولكنه عام في مدلوله لكل ذي عقيدة في الله، والعذاب الذي يتهدهم ليس عذاب الآخرة وحده،  
فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من خيرات الدنيا  
والآخرة، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح:

"تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى  
منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة"

رواه البخاري ومسلم (2)

والأحاديث حول هذا كثيرة جدا ، فارجع إليها وإلى كتاب الله أولا ، ثم حاسب نفسك على تقصيرك وقعودك، ولا تسوف، فالتسويق  
قاتل. وتأمل يا أخي المسلم أن القاعدين مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدمون  
على منيح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغبة  
صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.

فيا أنصار هذا الدين، لا تنسوا نداء إخوانكم المجاهدين الأفغان (باللأنصار) ، وارجعوا إلى نداء أبي عقيل للأنصار في المعركة وقت  
الشهادة في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب ، وتأملوا فيها فإن فيها عبرة لمن اعتبر.

ولا نريد الإطالة عليكم أكثر من ذلك، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.. سارعوا إلى أرض  
الرباط.. أرض الجهاد.. إلى جانب إخوانكم المهاجرين.. قدموا ما استطعتم من جهد في سبيل الله بالنفس والمال.. تعرفوا على أحوالهم:

(فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) . (3)

والسبيل إلى ذلك سهل ويسير على من يسر الله عليه، فإذا عزمتم يأخى في الله فأخلص النية وتوكل على الله ثم اتصل بالمجاهدين بالعناوين المذكورة في نهاية المجلة تجد إخوة لك في الله من المجاهدين المخلصين-إن شاء الله-بانتظارك، وسيحققون لك ما تصبو إليه-بإذنه تعالى، فاستخر الله عز وجل ولا تتأخر، فإن الوقت قد نزعته منه البركة.. وهذا من علامات الساعة، والساعة هي أدهى وأمر.

وإذا كنت من أصحاب الأعداء الشرعية فإنه [من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه]-كما ثبت في الصحيح (4) ومع ذلك فلا تقصر في الدعاء للمجاهدين بالنصر، وجاهد بمالك، جهز غازيا، أو اخلف غازيا في أهله، بالنفقة على من يعول تكن-إن شاء الله-ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا"

متفق عليه (5)

أما إن لم تكن معذورا شرعا، وغلبتك شهواتك وشياطين الإنس والجن وأصررت على القعود فلا تقصر كذلك بالجهاد بمالك، فقد روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للقاعدين:

أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج.

ولكن إن القعود لا يسقط عنك بذلك بلا شك، إلا إذا ثبتت وبادرت إلى الجهاد.

ونخبرك يأخى-إذا عزمتم على الجهاد بمالك-بأن أرقام حساب المجاهدين المذكورة في نهاية المجلة أيضا، ألا هل بلغنا.. اللهم فاشهد. ونستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه.

(1) -شرح النووي / ج 3 / ص 56 عن أبي هريرة بلفظ ( ولم يحدث به نفسه )

(2) -فتح الباري / ج 6 / باب 8 برقم ( 3123 ) شرح النووي / ج 13 / ص

(3) -واللفظ تقريبا له والمتفق عليه عن أبي هريرة بلفظ ( تكفل الله .. ) 91 - السلسلة الضعيفة / م 1 برقم ( 310 ) وقال عنه الالباني ضعيف جدا .

(4) - شرح النووي / ج 13 / ص 56- عن سهل بن أبي أمامة بلفظ ( من سأل الله الشهادة )

(5) -فتح الباري / ج 6 / باب 38 / برقم ( 2843 ) / شرح النووي / ج 13 / ص 40 - عن زيد بن خالد بلفظ ( ... ) من خلفه في أهله ( ... )

(6) -شرح النووي / ج 13 / ص 41-

الغرياء \*

[\*نشرت في مجلة الجهاد-العدد الثالث- 7/فبراير/1985م].

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسول.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:-

[تعس عبد الدينار وعبد درهم وعبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد قدامه في سبيل الله عز وجل شاعت رأسه إن كان في الساقة كان فيها، وإن كان في الحرس كان منهم، وإن شفع لم يشفع، وإن استأذن لم يؤذن له، طوبى له ثم طوبى]. (1) يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم -الناس قسمين: أهل الدنيا، وهؤلاء عبيدها بل يعبدون شيئا بخسا وأمرأ تافها، منها درهم والدينار والثوب (الخميصة) وهؤلاء يدعو عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم -بالانتكاس والارتكاس، ففوق انتكاسهم بعبودية شهواتهم وارتكاسهم في حماة رذائلهم، يدعو عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم -بالخسران والخيبة وبعدم اقالة عثراتهم إذا عثروا، وكم من قتيل من أجل درهم أو متاع، هؤلاء عبيد الدنيا محرومون من الارتقاء إلى المعالي، والصعود إلى القمم، يعيشون غارقين في مستنقع الدنيا مقابل لعاعة من لعاعاتها وأمر تافه من سفاسفها، غارقين في ملذاتهم يتقلبون بين أعطاف النعيم، رضوا بأن يكونوا مع الخوالب وأن يعيشوا عيش المستضعفين من النساء والولدان، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .. هؤلاء محرومون من تنسم الحرية ومن تذوق المعالي ومن العيش في القمم ..

ومن لا يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر

ومقابل هذه الصورة، حملة المبادئ الذين غابت ملامح وجوههم وراء المعركة، فشعرهم أشعث أغبر، لباسهم أسمال بالية، حفاة الاقدام، خصم البطون، لا ينظرون إلى الدنيا، ولا يتعلقون بحطامها.

ولباسه الحقير لما يستر به عورته .. جل ما يحمله معه .. جرابه وركوته، يكابد السهر ليقطع عنه شدة آلام السهر وقلبه معلق في المأل الأعلى يتحمل الأذى صابر على البلوى يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل، همه كله نصرة هذا الدين وقلبه مشغول بعزة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم كأنه يسمع صوت منادي الرحمن، وهو ينادي بالتخفف من الدنيا كما جاء في الحديث عن أبي الدرداء مرفوعا:

(ماطلعت شمس قط إلا وجنبتنيها ملكان يناديان يسمعان من على الأرض غير الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ولا غربت إلا وجنبتنيها ملكان-يناديان: اللهم اعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا) (2)

هؤلاء الاخفاء الذين لا يعرفهم أحد هم حملة هذا الدين ورافعوا لوائه، بهم تحمى الديار، وتعيش الأجيال هائلة مطمئنة على أموالها وأعراضها-هؤلاء مصابيح الهدى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه معاذ رضي الله عنه

(إن الله عز وجل يحب الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى-يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة) (3)

هؤلاء كل منهم أخذ بعنان فرسه كلما سمع هبة طار إليها يطلب الموت مظانه-صدورهم كالمرجل تغلي حرقه على هذا الدين، وعيونهم لاتجف عبرتها حزنا على حال المسلمين فانطلقوا متخفين من حطام الدنيا لعلمهم بنصرون هذا الدين ويكف الله بهم بأس الكافرين

(فقاتل في سبيل الله لاتكلف الانفسك وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا)

(النساء: 84)

سمعوا أنأت الإسلام الجريح فاستجابوا، عل هم يداوون الجراح .

والاسلام يئن جريحا يومي إلي إلي إلي

أفلا يوجد فيكم شهم أوما في الوجدان بقية

أفلا يوجد فيكم عمر يملأ سمع الكون دويا

أفلا يأتي يوم فيه  
أفلا يأتي يوم فيه  
أنا اسلام أنا إيمان

فكم غاب تحت ثرى فلسطين وكم غاب وسقط فوق ذرى الهندوكوش (أفغانستان) وكم من النجيع الطاهر فوق أرض لبنان وفي كل مكان من الاراضي الاسلامية من هذه النماذج التي روت شجرة هذا الدين بدمانهم لاتعرف أسماؤهم ولا تحفظ كنانهم لقوا ربهم دون أن يهتف لهم هاتف او يصفق لهم المعجبون .

مضوا إلى الله عزوجل خالقهم الذي لا يضيع سعيهم ان غمطوا حقهم في الارض فلن يضيع لهم متقال ذرة في ميزان عدل لا يخس شعيرة ولا يضيع ذرة ، وإن لم يحتفل بهم اهل الأرض فقد ابتهج بهم الملائكة الأعلى واستبشرت الملائكة بارواحهم (اهتز عرش الرحمن لموت سعد واستبشرت الملائكة بروحه) (4).

هؤلاء هم بناء الامم ، هم صانعو الامجاد ، هم حماة البلاد رفعوا اللواء ومضوا إلى ربهم أعزة كراما و سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك

(1)-إسناده -صحيح رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

(2)-رواه أحمد والطبراني.

(3)-رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(4)-والرواية عن جابر بلفظ ( اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ أما بقية الكلام فهو من تفسير الامام النووي رحمه الله . . فاستبقوا الخيرات\* ]

[نشرت في مجلة الجهاد -العدد الرابع- 22مارس/1985م].

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وبعد.

إنها فرص يسوقها الله عزوجل للبشر لاغتنامها وقد لا تتكرر وهي أسواق تعقد ثم تقض يربح فيها من يربح، ويخسر فيها من يخسر، والمسلم سباق للخير لا يدع لحظة من لحظات حياته تمر دون فائدة والزمن له قيمة كبرى في حياة المسلم، بل الزمن هو حياة الانسان ولذا فقد كانوا يقولون: الوقت من ذهب ولكن الوقت أغلى من الذهب لان الوقت هو الحياة، والحياة لاتقدر بثمن.

وكما قال الوزير الصالح يحيى ابن هبيرة :

والوقت أنفس ماعنيت بحفظه وأراه أسهل ماعليك يضيع

ولقد كان سلفنا الصالح حريصين على وقتهم حتى تركوا لنا هذه الثروة الضخمة التي حفظ الله بها الإسلام وحمى بها هذا الدين من الضياع فابن الجوزي مثلا بلغت مؤلفاته خمسمائة وتسعة عشر مصنفا منها مائة وعشرون مجلدا ، قال ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (... قال الموفق عبداللطيف : كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئا يكتب في اليوم اربعة كرايس ويرتفع له كل سنة من كتابته مابين خمسين مجلدا إلى ستين ) (1)

(وقيل انه جمعت الكرايس التي كتبها ابن الجوزي وحسبت مدة عمره فقسمت على المدة فكان ماخص كل يوم منها تسعة كرايس)(2) ونقل الكمي (3) ان برابة اقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت ففضل منها).

وهذا الامام البيهقي أل ف جزء ١ ومكت يصوم ثلاثين عاما وهذا القاضي أبو بكر ابن العربي ال ف تفسيره في ثمانين ألف صفحة وترك ابن ابي الدنيا ألف مؤلف وكتب ابن عساكر (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا وكتب ابن شاهين ثلاثمائة وثلاثين كتابا منها التفسير في ألف جزء وترك ابن حزم اربعمائة مجلد تشتمل على قرابة ثمانين ألف ورقة وكتب الحاكم ألف وخمسمائة جزء وهو صاحب المستدرک وكتب ابن تيمية حوالي خمسمائة مجلد وكتب ابن القيم حوالي خمسين مجلدا وكان ورد القاضي ابي بكر الباقلائي لكل ليلة عشرين ترويقة ولا ينام حتى يكتب خمسا وثلاثين ورقة من حفظه وهذا اشرف التهانوي المتوفى سنة 1362 هـ قد مات عن احدى وثمانين عاما ترك فيها مؤلفات زادت على الالف مؤلف.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم:

( نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ ) (4)

والمقصود ان غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ .

قال رجل لعامر ابن عبد القيس ( احد التابعين الزهاد ) كلمني ؟ فقال عامر امسك الشمس يعني اوقف لي الشمس واحبسها عن المسير حتى اكلمك .

وقد روي أن أبا يوسف كان في النزاع والذماء ( بقية الروح ) وكان يناقش من حوله ببعض المسائل الفقهية وما أجمل أمير الشعراء شوقي:

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثوان

وقال ابن نباتة السعدي :

أعاذلتي على إتعاب نفسي ورعيي في الدجى روض السهاد

إذا شام الفتى برق المعالي فاهون فانت طيب الرقاد

وقد ألف الأستاذ جميل العظم الدمشقي المتوفى سنة 1352هـ كتابا أسماه ( عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فأكثر ) فذكر فيه خلقا كثيرا منهم ( ابن جرير الطبري وابن الجوزي والنووي وابن سينا والغزالي وابن حجر العسقلاني والبدر العيني والسبوطي وابن تيمية وابن القيم وعلي القاري والميناوي وعبد الغني النابلسي وعبد الحي اللكنوي . . . ) (5)

ايها الاخوة هؤلاء سلفنا الصالح قد قدموا ما قدموا وكانت حياتهم نذرا للاسلام وخدمة المسلمين

اولئك ابائي فجنني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

يامعشر الشباب ان لم تعبدوا الله اليوم فمتى تعبدون ؟ وان لم تجاهدوا الان فاماذا تنتظرون ؟ الا تنتظرون مرضا او صدمة او موتا؟

ان لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جبانا

استمع إلى وصية نبيك صلى الله عليه وسلم:

(اغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك ) (6)

لماذا تدخر هذا اللحم الذي وهبك الله اياه ولماذا تضن به؟ وهذا العزم الذي منحك الله لماذا تدخره ؟ وهذه العظام المتينة تنتظر حتى ترق وتضعف وتأكلفها الديدان.

هذه الحياة قصيرة والميتة واحدة فاحرص ان تكون في الله والله . . .  
(يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون )  
(آل عمران: 201)

من يحفظ الأعراض اذا تعرضت للانتهاك ؟ من يذود عن المقدسات اذا ديس ؟ من يحمي الاطفال والنساء والمستضعفين ؟ من للقيم والمبادئ ؟ من لدين الله ان يرفعه اذا تخليتكم ؟  
افنيت بامسكين عمرك بالتأوه والحزن  
وقعدت مكتوف اليدين تقول حاربني الزمن  
ان لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن

يأيتها الاخوة: ان الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك وان الفرص الثمينة لا تتكرر وان فرصة أفغانستان لا نظير لها في الارض ميدان واسع تؤدي فيه فريضة الجهاد، قم شاهقة تنتنس فيها الصعداء، نماذج فذة تستعيد بها قصص السلف، فهل تستطيع ان تؤدي الفريضة إلا في هذه الارض؟ هل أثرت العيش تحت لدغ السياط، انفاكس مكتومة، نبضاتك معدودة وحركاتك مرصودة؟ قد لا تستطيع ان تؤدي الجماعة في المسجد خوفا من الذين يكادون يزلقونك ببصارهم.

لقد فالتنا فرصة 1967- 1970 م حيث الحدود مفتوحة عبر نهر الاردن كنت اثناءها اخطب الجمعة فوق المنبر وانا اتكى على سلاحي (الكلشنكوف) ، كنا نمشي في شوارع عمان وفي الجامعة الاردنية والمسدد لا يفارقنا .  
كنا نمشي على الارض بأجسادنا ولكن ارواحنا معلقة بالملا الأعلى وكانت سيارتنا تمر من شوارع اربد وفوقها ينتصب الرشاش أو مدفع الهاون .

ثم مضت الفرصة الفريدة التي أضعتها وأصبح اقتناء رصاصة أو مسدس جريمة يقدم صاحبها إلى المحكمة العسكرية .  
وأصبحنا كالخوفا لا نملك سوى الحوقلة والمهممة والانات والحشرات تحت مطارق العذاب وكابوس الظلم وليس بيننا وبين النساء فرق .

أيها الاخوة:

(سار عوالي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض . . . )

(آل عمران: 133)

يأيتها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

(الصف: 10-11)

أيها الأحبة: أيها الشباب : يابناء هذا الدين ، يأنصار هذه الشريعة . لاتضيعوا فرصة أفغانستان على انفسكم كما ضاعت عليكم فرصة 1969م في غور الاردن .

أقبلوا تمنح لكم عزة الدنيا والآخرة واطلبوا الموت توهب لكم الحياة وان الامم التي عاشت وسادت هي الامم التي تحسن صناعة الموت. ومن حرص على الدنيا اذله ، ومن اذله اكبث على اقدامه . فأقبلوا على الله  
(والله معكم ولن يتركم اعمالكم ) . . .

(القتال: 53)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

(1)-1/412

(2)-تتمة المختصر في أخبار البشر 2/218

(3)-في الكنى والألقاب 1/142

(4)-رواه البخاري في صحيحه 11/229 والترمذي 3/377.

(5)-كل هذا منقول من كتاب الشيخ عبد الفتاح أبي غدة ( قيمة الزمن عند العلماء ) .

(6) -حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

العذاب العذب\*

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله .. أما بعد ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وانت تجعل الحزن اذا شئت سهلا .

فمن خلال نظرتي في هذا الدين وتمرسي بشعائره وعباداته وجدت أن أشق عبادة على النفوس هي الجهاد، ولذا كان قمة سنام الإسلام ولم يكن مصادفة عابرة هذ الثواب الجزيل الذي رتبته الله للمجاهدين ، ففي الصحيحين  
(عن أبي ذر قلت يا رسول الله أي العمل أفضل قال: الايمان بالله والجهاد في سبيله.) (1)  
وفي الصحيحين عن أبي هريرة:

(قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله قال: لاتستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين او ثلاثا .. كل ذلك يقول لاتستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لايفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى)(2) .

وفي الحديث الصحيح: (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)(3)  
ولذا فقد انعقد الاجماع كذلك أنه لا يعدل أجر الجهاد شئ وأن الرباط أفضل من جوار الكعبة وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعا وموقفا :

(لأن أربط ليلة في سبيل الله خير من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود) .

وفي محكم التنزيل:

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ) (التوبة: 19- 20)  
وقد جاء في صحيح مسلم أن سبب نزول هذه الآية هو اختلاف الصحابة في أعظم العبادات أجرا أهو سقاية الحاج أم عمارة المسجد الحرام أم الجهاد في سبيل الله ؟

ووجدت أن أصعب شيء في الجهاد هو انتظاره والمراقبة لانتظار المعركة أصعب من المعركة ذاتها .. إذ كلما طالبت المدة في المراقبة كلما بدأ الملل يتسرب إلى النفوس المتوقدة ويبدأ الحماس يخبو يوما بعد يوم إن لم تجد النفس من العبادات والزاد الروحي ما يحفظ عليها حماسها ويبقي لها شعلة وقودها ويقدر لها زناد حماسها وغلانها ويوجع نار شوقها للمعركة .  
والذي يعيش بين المجاهدين يدرك هذه الحقيقة بوضوح خاصة بين الذين يفدون إلى الجهاد من بعيد يتركون زينة الحياة الدنيا وزخارفها وبريق الأمانى ولمعانها يعود الشيطان ليسول له الرجوع إلى دنياه التي تركها ولكنه لا يدخل له إلا من مدخل المصلحة والموازنة بين المصالح والمقارنة بين الإيجابيات والسلبيات .  
لا يدخل له مباشرة من باب ترك الجهاد بل من باب أن الحي الذي تركته ضاع أبناؤه والمسجد الذي غادرته قل عماره والأسرة التي انتزعت نفسها منها تمزقت .

وتزداد آلام الحيرة ونار التردد إذا كان المجاهد ذا مكانة في بلده كأن يكون مربى جيل أو استاذ جامعة أو مدير شركة .  
ومما يوجع نار الشك والتردد والحيرة ، مبررات العودة التي تزداد يوما بعد يوم ...  
ومن أبرزها :

رؤية بعض الغناء في أرض الجهاد مما يسبب الغثيان لدى المهاجر المجاهد ، فقد تكون مقاديره القتل به بين مجموعة عضها الجوع بنابه أو الجأته الحاجة إلى الاحتيال والكذب للحصول على بعض المال من يده لكسب قوتها وتحصيل مائتد به رمقها .  
وتزداد الحيرة مع حواجز اللغة وبعض العادات وشطط الحياة ووعورة المسالك ، ووحشة السبيل .  
ولاشك أن طول الطريق مع علو التضحيات وفداحة الخسائر المادية الظاهرة تخفف من أوار حماس المجاهد وتعيق حركته .  
وكذلك فإن بطل التضحيات على هذه الجادة الطويلة دون جني ثمار عاجلة تجعل النفوس تتخاذل خاصة إذا لم تكن هذه النفوس قد تربت على البذل والصبر والمشقة حتى صلب عودها، إذ بقدر صلابة العود تحتمل المصائب وتبذل التكاليف .  
وأن النفوس الكبيرة والقلوب الحانية والصدور الواسعة التي تسبق في أرض الجهاد هي التي تشكل صمام الامان بالنسبة للذين يتفكرون ويتنظرون أدنى مناسبة للعودة من حيث اتوا، هذه النفوس الكبيرة تشكل الروضة الوارفة الظلال في هاجرة الهجرة لهؤلاء الوافدين للجهاد وتكون المستراح الهادئ لهم .

وكلما كثر أبناء اللغة الواحدة أو الأرض الواحدة مع الايمان الصادق كلما قلت الحيرة وزالت نار التردد لان النفوس بطبيعتها تميل وتحنو إلى سماع لغتها الخاصة وتقاليدها التي تربت عليها ومن هنا كان الدعاء الشريف: (اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة)

(5)

وإذا غاب الهدف الكبير الذي جاء من أجله المجاهد وضاعت معالم الطريق الذي يسير عليه فمن الصعب ان تقتعه بالبقاء او الاستمرار .  
أذكر اننا عندما من الله علينا فترة بالعيش في القواعد في شمال الاردن، كان بيننا شاب صغير في مقتبل العمر مؤدب قليل الكلام مطيع، فصرت أثني عليه حتى صار الجميع يحترمونه ويحلمونه ثم أصبح يواجه ضغوطا شديدة من والده الذي يعمل خبازا ، وتحين الشاب ( أبو صبحي )-رحمه الله -الفرصة حتى سمع مني كلمة توجيهية لإخوانه، وإذا به يهب غاضبا بين اخوانه ويقول : إن الشيخ عبد الله يقصدي ، وأكدت له أنها كلمة عامة ولم يكن هو واردا في الحسبان ، ولكنه أصر على مغادرة القاعدة بعد ان حزم أمتعته وعاد يعمل مع والده خبازا ، وظن والده أن ابنه قد نجا من الموت الزؤام الذي يلاقيه أهل القواعد ولكن القدر ليس بيد البشر .. فجاءت أحداث أيلول سنة 1970 ودخل الجيش مدينة جرش وقتل أبو صبحي في حضن والده ، وفي داخل مخبزه بينما لم ي جرح أحد من الذين ظلوا في قواعدهم .

وإن استمرار التضحيات وتوالي المآسي يهد العزيمة ويلين القناة (إلا من رحم ربك وقليل ما هم ) خاصة إذا فقد الطعام واللباس وتحول البيت إلى مأتم تصب فوقه كل يوم مصيبة .

ويعجب الانسان عندما يطالع على شريحة من شرائح المجتمع الافغاني المسلم كيف بقي ثابتا حتى الان واليك مثال من هذا المجتمع :  
جلست قبل أسبوع في بيشاور مع خمسة من القادة حول كابل وذهلت عندما سألتهم عن الشهداء الذين قدمتهم أسرهم: دوست محمد قائد في ب رام قتلت أمه وأخته وأخوه وابن أخته وزوجة أخيه، جلال الدين قائد في ديسبس قتل أخوه وخاله وابن خاله، ديدار قائد في بجرامي قتل له اثنان من أعمامه وخمسة من أبناء عمه وابن أخته ويشرف على 13 أرملة .  
شبيب أحمد قائد في بجرامي قتل أخوه وخاله وابن خالته وزوج خالته .

صوفي حبيب قائد في بجرامي مسجون له ستة من أقاربه ، وقتل له ستة شهداء ، ان لسان حال كل واحد منهم يردد:  
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الايام صرن لياليا

يقول ديدار: نكاد نجن ونفقد أعصابنا عندما نرى الاسر الجائعة والاجسام شبه العارية والحاجة المذلة، ونخفي هذه الآلام بسبب نصرة الله لنا في المعارك، وعندما نرى اخواننا المسلمين خاصة العرب يقفون بجانبنا ويواسون جراحنا ويكون دما لحالنا، كأن شيئا لم يكن، وننسى كل مأسينا ومصائبنا .

أقول: ان الصبر على مرارة الطريق لا بد أن ترافقها تذوق حلاوة عبادة الجهاد ولا تتم الحلاوة إلا بان يدرك المجاهد هدفه ويضع نصب عينيه غايته، فلا بد ان يستقر في اعماقه:

(1)-ان الجهاد ليس (عرضا قريبا ولا سفرا قاصدا) انما الجهاد رحلة العمر المرافقة للحياة فلا ينتهي الجهاد مادامت العروق تنبض بالدماء وليس الجهاد لتحرير افغانستان او فلسطين او لبنان انما الجهاد فريضة دائمة وعبادة لازمة لعنق الانسان مادام يدب فوق الارض وقادرا على حمل السلاح وكما ان الصلاة والصيام فرضان لازمان للانسان لا يسقطان عنه بحال حيثما حل واينما صار فكذلك الجهاد عبادة لا تسقط عن الانسان إلا في حالات الضرورة كالمرض والكبر المقعد عن الحركة وغيرها .  
ان جهاد المسلم ليس من اجل قطعة أرض وليست معركته معركة قوم انما مداها الارض كلها ومدارها الزمان كله وهدفها انقاذ جنس الانسان .

(2)-ان الغرض الأسمى للجهاد هو الثواب والصفقة بين العبد وربّه تمت على هذا

( ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون )  
(الصف: 13)

(3)-ان النصر في المعارك التي تهفوا اليه النفوس يقلل الاجر:

( واخرى تحيونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين )  
(الصف: 13)

وفي صحيح مسلم:

(مامن غازية او سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي اجورهم ، وما من غازية او سرية تخفق وتصاب إلا تم لهم اجورهم )  
(6)

(4) -مقارنة الدنيا بحطامها ومتاعها بالآخرة ونعيمها حتى تبقى الدنيا زهيدة صغيرة في عين المجاهد وهي كما جاء في صحيح مسلم أنها أحقر من الجدي الميت :

(للدنيا أهون على الله من هذه عليكم) (7) ، وفي الصحيحين

(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع صوت أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) (8)

وعندما ينظر المؤمن إلى حقارة الدنيا تهون عليه النفس وترخص في عينه التضحيات عندها يصبح العذاب عذبا ومرارة الحرمان والمآسي حلاوة ووحشة الطريق أنسا وينسى الإنسان الآلهة بل ينسى الدنيا بأسرها .

(عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) (9)

وعندها فقلب كل واحد ينشد ونفسه تردد عند رؤية المصائب :

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب  
حسبي من الحب اني لما تحب احب  
عندها له ان يردد ما رددت رابعة العدوية من قبل :

وليت الذي يبني وبينك عامر وبينني العالمين خراب  
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله إلا انت استغفرك واتوب اليك .

- (1) -فتح الباري / ج 5 / كتاب العتق برقم ( 2518 ) / شرح النووي / ج 2 / ص -73 وله عنده تنمية
- (2) -فتح الباري / ج 6 / الباب الاول برقم ( 2785 ) / شرح النووي / ج 13 / ص -24 واللفظ له
- (3) -عند أحمد ( 2/524 ) والترمذي ( 14 /3 ) بلفظ مختلف وهو في الاحاديث الصحيحة برقم ( 902 ) بلفظ ( مقام أحدكم في سبيل الله خيرا من صلاة ستين عاما خاليا )
- (4) -هو عند البخاري في التاريخ الكبير برقم ( 4 / 2 / 408 / 3507 ) وعند ابن حبان برقم ( 1583 ) وحافظ بن عسكر في ( اربعين الجهاد ) برقم ( 18 ) وهو في السلسلة الصحيحة برقم ( 1068 ) بلفظ ( لان احرس ليلة في سبيل الله أحب الي . . )
- (5) -فتح الباري / ج 11 / باب 43 / برقم ( 6372 ) وهو مرويا عن عائشة ( رضي الله عنها )
- (6) -شرح النووي / ج 13 / ص - 53 بدون كلمة ( لهم )
- (7) -شرح النووي ج 18 / كتاب الزهد / ص -93 (
- (8) -فتح الباري / ج 6 / باب 73 / برقم ( 2892 ) شرح النووي / ج 13 / ص -26 بلفظ آخر وهو عند الترمذي ( 4 / 1664 )
- (9) -رواه احمد والحاكم وهو في صحيح الجامع برقم ( 3942 ) وفي الاحاديث الصحيحة برقم ( 1941 )

#### الجهاد والصيف \*

[نشرت في مجلة الجهاد -العدد السادس- 5/مايو 1985].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد :

أقبل الصيف بشمسه وحره ، وبدأ الثلج يذوب ، وبدأت حركة المجاهدين من حول أفغانستان نحو داخلها إذ الشتاء يمثل درعا حصينا وترسا قويا يحتمي الروس بثلوجه وبرده ويهاجر كثير من المجاهدين تاركين قواعدهم في الداخل طلبا للدفع والطعام في مناطق القبائل الباكستانية التي تقطن على طول الحدود الأفغانية على الجانب الشرقي والجنوبي بخط (ديورند الانجليزي) والذي يمثل الحدود الأفغانية الباكستانية والممتدة على طول (2250) كم شرق وجنوب أفغانستان إذ انهم من العسير جدا ان يعيش المجاهدون في قمم الجبال المكسوة بالثلوج والتي تسد الطرقات إليها اكوام الجليد والثلج الذي قد يرتفع إلى متر في الطرقات فكيف في ذرى الجبال !! ولقد استغرقت رحلة أنس ومحمد أمين وابي بصير من بيشاور إلى بلخ اربعين يوما ذهابا فقط يخوضون فيها الثلوج وينامون فوق الجليد . واكثر مايطعم فيه المجاهدون خلال الشتاء هو المحافظة على قواعدهم حتى لا يحتلها الروس ولقد استمات الروس في هذا الشتاء ليسدوا معابر المجاهدين وطرقاتهم الموصلة من مناطق القبائل في باكستان إلى داخل أفغانستان لكنهم فشلوا ان يسدوا معبرا واحدا من هذه المعابر التي تعد حوالي (26) معبرا رئيسيا .

ان المعارك في الشتاء تكلف المجاهدين مشقة وعنتا بالغين إذ ان خروج المجاهد من قاعدته يعني احد امرين: إما ان يموت متجمدا في الثلوج وقد حدث هذا للكثيرين او تقطع اصابعه او تجمد اقدمه او يؤخذ اسيرا ان لم يدمر الدبابة التي امامه ، بينما يعيش الجندي الروسي داخل دبابه مكيفة بالدفئة وزنها <26> طنا، ومع هذا فقد حضرت بنفسي اثر معركة حاولت روسيا فيها ان تسد طريق جاجي وهي تشكل طريقا هاما لحوالي (17) ولاية افغانية والقت بثقلها ودباباتها وكان المجاهدون لايتجاوزون مئة في البداية، بينما الشيوخ يعمدون بضعة عشر الفا ، وكانت النتيجة ان قتل حوالي < 700 -800 > من الكفار بينما لم يستشهد سوى <7> من المجاهدين، والان نحن بانتظار المعارك الضارية التي ستدور رحاها في هذا الصيف ان شاء الله .

لقد اكرمنا الله في السنوات السابقة انه في كل صيف ترتفع خسائر الكفار سنة بعد اخرى، ففي هذا الصيف نحن ننتظر رحمة الله ونصره وان تكون خسائر الروس اضعاف مضاعفة عما شاهدناه في العام الماضي .

إن حول أفغانستان حوالي <160000> ألف من المجاهدين كل ينتظر سلاحه ومؤنثته لينطلق داخل أفغانستان وهؤلاء كل منهم يحتاج حوالي الف دولار اجرة طريق وكراية سلاحه وامتعته ، وهذه تحتاج إلى ايدي المسلمين السخية ، تحتاج إلى نماذج ايديها أتت نفائس الاموال لتعطيتها نماذج سيوفها أزهقة نفوس الابطال ، وتضعها في ايدي اناس امتطوا ليلي الدهر الأدهم وقلدوا أيامه سيوفا وصوارم .

إن الفترة تحتاج إلى افراد الجود في ايديهم خاتم ، ونفس حاتم في نقش ، ذلك الخاتم ، تعطيلها لاناس يروون الرصاص من دماء أكبادهم ويصنعون بسنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الأسنة ويخيطون بنجيهم الطاهر مسار التاريخ حتى تسلم لهم البشرية القيادة وتعطيهم الأعنة .

والمسلمون بطبيعتهم قد يعذرون بعض الناس لعدم شهودهم ساح النزال ولبعدهم عن ان يضطلعوا بأثقال القتال بسبب انشغالهم باعمالهم خلال العام ولكن لايمكن ان يعذروهم احد إذا اخذوا اجازتهم الصيفية خاصة المدرسين والطلاب من ان يسيحوا في الارض سياحة اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم بالجهاد بدل ان يقضوها على شواطئ البحار او في سويسرا او في اعماق الغرب او الشرق يبحثون عن الهواء العليل والنسمة المروحة فهيا إلى جبال الهندوكش هنا مصايف لا نظير لها احفظوا نفوذك في جيوبكم واقفحوا

صحائف اعمالكم لتصب عليها الحسنات صبا و (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ولغدوة او راحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه (1) .  
في الحديث الصحيح عن عثمان بن عفان قال وهو يخطب على منبره: اني محدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يمنعني ان احثكم إلا الضن -البخل-عليكم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
(حرس ليلة في سبيل الله تعالى افضل من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها) (2)  
ياشباب الإسلام اقبلوا على الله واستخدموا اجسادكم في طاعته واولفواكم في عبادته ولا تفوتوا الفرصة التي يسوقها الله لكم فان الانسان مسؤول عن اوقاته :

شبابنا هيا إلى المعالي هيا اصعدوا شوامخ الجبال  
هيا اهتفوا بامعشر الرجال قولوا لكل الناس لا نبالي  
شبابنا سيروا إلى الجهاد بعدة الايمان والعتاد  
لتوقفوا قوافل الفساد وتتشروا السلام في البلاد  
شبابنا قد حان ان تعودوا لواءة الايمان كي تسودوا  
غدا بكم سيسعد الوجود ويكبت المستعبد العنيد

ياشباب الإسلام : لقد طالعتنا الصحف العربية باخبار الفتاة سناء المحيدلي ابنة السادسة عشرة التي لم تترب على الإسلام وحب الجهاد والاستشهاد ولكنها قدمت نفسها فداء لوطنها فاستحييت من نفسي وتواريت خجلا من هذه الفتاة ذات الشعر المنثور .  
عندما قرأت قصتها تذكرت قصة ابي الهيثم الحداد اللص السراق قال عبدالله ابن احمد : كنت كثيرا اسمع والدي ( احمد بن حنبل ) يقول رحم الله ابا الهيثم غفر الله لابي الهيثم عفا الله عن ابي الهيثم .. فقلت له ياابي من ابو الهيثم ؟ قال إلا تعرفه قلت : لا، قال: ابو الهيثم الحداد اليوم الذي اخرجت فيه للسياط ومدت يداي للعقابين -هما خشبتان يشيح الرجل بينهما ليجلد- اذا انا بأنسان يجذب ثوبي من ورائي فيقول: تعرفني؟ قلت: لا، قال: انا ابو الهيثم العيار-اي النشيط في المعاصي-اللس الطرار -اي النشال من الجيوب-مكتوب في ديوان امير المؤمنين اني ضربت ثمانية عشر الف سوط بالتفريق ، وصيرت على ذلك في طاعة الشيطان لاجل الدنيا فاصبر انت في طاعة الرحمن لاجل الدين هل هذه الفتاة اولي منا بالتضحية ؟؟ ام احق منا في بذل النفس والروح؟  
ثم طرقت في مخيلتي لارى الشباب الطيب في العالم الاسلامي قد توقف عن بذل الدماء .. ورأيت شجرة دعوته تكاد تذوي مصفرة العروق شاحبة الاغصان يابسة الاوراق قد فقدت نضارتها لان ماء حياتها قد انقطع عنها ، وهو دم الشباب وعرقهم واشلاؤهم .  
ياشباب الإسلام : اليس لله زكاة في اوقاتكم؟ اليس لله تعالى حق على اجسادكم؟ اليس لآخوانكم المسلمين حق عليكم في نصرتهم وولايتهم؟

من يحمي الاعراض من الانتهاك؟ من يحمي الاطفال من الذبح؟ من يكفك دموع الثكالي ؟ من يهدد آلام الارامل والايام ؟  
( ومالك لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذك وليا واجعل لنا من لذك نصيرا )  
(النساء: 75)

لقد حدثني قاضي محمد امين رئيس اللجنة العسكرية في الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان أن الروس ذبحوا طفلا فخرج الحليب من عروقه بدل أن يخرج الدم ، وحدثني أن احد المجاهدين من قرية ( امام صاحب ) من كندوز يبكي دما بدل الدموع ، فذهب إلى الطبيب فأخبره أن هذه ضغوط الاحزان والآلام .

اخي هل تراك سئمت الكفاح  
والقيت عن كاهليك السلاح  
فمن للضحايا يواسي الجراح  
ويرفع رايها من جديد

وسبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله إلا انت استغفرك واتوب اليك .

1 - فتح الباري / ج 6 / باب 73 / برقم ( 2892 ) بزيادة ( و موضع سوط أحكم . ) شرح النووي / ج 13 / ص -26 من بداية قوله ( لغدوة .. ) 42 - 43 - الآية (75) النساء  
(2)-رواه احمد وصححه الحاكم واقره الذهبي وقال الحافظ اسناده حسن

مسؤولية العرب امام الله\*

[\*نشرت في مجلة الجهاد -العدد السابع- 3/يونيو/1985م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:  
فان كل أمة من الأمم عاشت كانت لها ميزة قدمتها إلى صفحات التاريخ وحفظت لها مكانتها في التراث الذي قدمته البشرية على مر عصورها.

والعرب من بين الأمم التي خلدت وتسلمت قيادة البشرية فترة وإن كانت لازالت تملك الكثير الذي تستطيع أن تقدمه للمائدة الانسانية مما يؤهلها مرة أخرى لاستلام زمام الركب البشري وقيادته.

لقد شرف الله العرب اولا باختيار النبي الكريم الخاتم منهم قال تعالى:

(الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير)

الآية 75 الحج

قال صلى الله عليه وسلم:

(إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم) (1)  
ولقد شرف الله العرب ثانية باختيار حملة الرسالة منهم، فكانوا القادة الفاتحين والدعاة المبلغين والأئمة الرائدین، وكما قال ابن مسعود رضي الله عنه:

(من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد، كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا byدينهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم) (2)

ولقد شرف الله العرب باختيار مكة في بلادهم، لتكون قبلة المسلمين في العالم كله ولا يقبل الله أحدا أن يتوجه إليه بالصلاة إلا إذا توجه شطر المسجد الحرام:

(ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره)  
الآية (144) البقرة

ولقد شرف الله العرب بأن يكون في أرضهم (المسجد الحرام والمسجد النبوي في المدينة) وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين: المسجد الأقصى.

وشرف الله العرب بأن تكلم بلغتهم وأنزل كتابه الخالد بهذا اللسان:

(وإنه لتنزيل رب العالمين# نزل به الروح الأمي# على قلبك لتكون من المنذرين # بلسان عربي مبين)  
الآية (192-195) الشعراء.

ولذا فقد خلدت اللغة العربية بخلود القرآن وحفظت بحفظ الله لكتابه:

(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

الآية 9 الحجر

وما عرفت قيمة هذه النعمة التي أنعم الله بها على العرب، حتى اختلطت مع الامم غير العربية في باكستان وأفغانستان، فعرفت هذه النعمة الجليلة التي أنعم الله بها علي؛ إني ولدت بين العرب، لأن أحكام التنزيل ومدارك الأوامر الربانية لابد لها من هذه اللغة.

ولقد كان العرب مادة هذا الدين وخامته الأساسية، وكانوا صفوة الأمة الإسلامية، ومحور قيادتها، ودانت الامم للعرب باسلامهم، وعرفوا لهم مكانتهم، وسلموا لهم قيادتهم ورضوا بأن يكونوا أئمتهم.

ولذا فقد حرص صلى الله عليه وسلم أن تكون جزيرة العرب محط أنظار الامم وحرص على صفاء عقيدة أهلها ونقاء مشاربهم وتفرّد مسلكهم ليكونوا شامة في جبين الأمة الإسلامية كما أن الأمة الإسلامية شامة بين الأمم جميعا .

فحرص على تطهير الجزيرة فكان صلى الله عليه وسلم يردد وهو على فراش الموت:

(اخرجوا المشركين من جزيرة العرب) متفق عليه (3)

(اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب) رواه مسلم (4)

فكان حريصا صلى الله عليه وسلم ان لا يلتقي دينان في جزيرة العرب، ولا تجتمع نحلّتان فيها، فكان مما بشر به صلى الله عليه وسلم أمتة في حجة الوداع:

(ان الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم)

رواه مسلم (5)

ولقد قاد العرب الامم بهذا الدين ورضيت البشرية لإمامتهم بهذا الكتاب الكريم وامتن الله عليهم قائلا :

(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)

(الآية 10 الأنبياء)

قال الطبري: "لقد أنزلنا كتابا فيه شرفكم . . . ثم قال: وهذا القول اشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه؛ وذلك انه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه. (6)

وقال الرازي: (7) (ذكركم: شرفكم وص ي تكم).

وقال القرطبي: (8) (فيه ذكركم: فيه شرفكم، فالقرآن نزل بلسان قریش، وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، فصاروا عيالا عليهم فشرّفوا بذلك على سائر أهل اللغات). (9)

وأنا أحدث عن مكانة العربي المسلم في نفوس المسلمين غير العرب مما رأيته وسمعت:

1- أن الطلاب في جامعة الجهاد والدعوة (وهم من أبناء المجاهدين والمهاجرين الأفغان ) يطلبون مني أن أحدثهم عن فلسطين وعن الحركة الإسلامية في مصر والعالم العربي، مع انهم يكتنون بنار الاحداث عندهم ويصطلون بجراحها، ويتجرعون ويلات الحروب والدمار يوميا.

2- المجاهدون الافغان يقولون: اللهم ارزقنا الجهاد في أفغانستان، وارزقنا الجهاد والاستشهاد فوق أرض بيت المقدس، فقيل لهم: ان الشهادة واحدة سواء في أفغانستان أو في فلسطين، فقالوا: إن فلسطين هي الأرض المباركة، وهي أطهر وأقدس وأكثر بركة من أفغانستان، ولذا فالشهادة فوق أرضها لها قيمة أجل واعظم.

3- كثيرا ما كنت أحدث المجاهدين الأفغان عن الجهاد فيصغون فاذا ذكرت فلسطين فاضت أعينهم بالدموع.

4- أن أكثرهم يردد: (من كابل إلى فلسطين).

5- أن امير المجاهدين سياف يردد كثيرا: أن قضية فلسطين، هي قضيتنا الاولى، وهي قضية الإسلام الأولى، ولكن الاحداث داهمتنا فأذهلتنا عن فلسطين.

6- لقد سألت الكثيرين منهم هذا السؤال: ماذا بعد أفغانستان؟ فكان معظمهم يجيب: الأقصى وفلسطين، وبعضهم يجيب إلى موسكو.

7- عندما دخل اليهود لبنان أرسل سياف وراء المندوب الفلسطيني وقال له: أريد أن اقدم كتيبة من المجاهدين تدافع عن المسلمين الفلسطينيين واللبنانيين، ولكن لي شرط واحد (أن يفرد لهم مكان ليقاتلوا من فوقه وتتفرد فوق رؤوسهم راية لا اله إلا الله).

8- لقد دخل بعض الشباب العربي المسلم المجاهد ليؤدوا الجهاد فوق أرض أفغانستان وليقدموا هذه العبادة-عبادة الجهاد-عز وجل من فوق هذه الأرض، منهم: ضرار واسماعيل: ذهبوا إلى زابل وهم شباب صغار حول العشرين فقط، قال لهم كبار قادة المجاهدين الأفغان:-

نحن لا نملك شيئا نقدمه لكم عنوانا لفرحتنا واحتفاء بقدمكم لو جاز لنا ان نذبح اولادنا تحية لكم لذبحناهم.

9- ومنهم: أنس ومحمد أمين وأبو أسيد إلى مزار شريف (بلخ)، قال أنس ومحمد أمين: كانت القرى المجاهدة في بلخ عندما تسمع بقدمونا تخرج وتصطف على الجانبين لتحظى بالسلام على العرب ويواصل قائلا : لقد كان الشيوخ الطاعنون في السن يمشون أربعة أيام على الجليد يقطعون المسافات الواسعة من أجل أن تصافح ايديهم يد عربي مسلم.

لقد جمعوا لي أربع عشرة قرية في مسجد واحد مع أن المنطقة كلها تحت الغارات اليومية بالطائرات الروسية-هذه الطائرات التي تخرج من مطار ترمذ (بلد الترمذي المحدث) ذلك المطار الذي يقع تحت قبضة الشيوعية منذ سنة 1918-تخرج منه الطائرات لتدمر القرى في الشمال خاصة-بلخ-وتعود.

ويستطرد أنس قائلا: جمعوا هذ الجمع الكبير الذي يعد آلافا مؤلفة في هذا الوضع الخطير ووضعوا مضادات الطائرات فوق المسجد، وبقيت أخطب فيهم من الظهر إلى العصر ولم يقطع الخطبة سوى النشيج والبكاء المرتفع واصوات التكبير التي كانت تجلجل في أرجاء المسجد.

كنا أحيانا نبقى في دروس مستمرة حتى الساعة الحادية عشرة ليلا، حتى إذا فرغنا في هذه الساعة قام أناس حاضرون في المسجد قائلين:

إن أهل قريبتنا ينتظروكم منذ ساعات فيضطر أنس والاخوة معه أن يذهبوا إلى مكان تجمع الناس فيمتد الكلام إلى الواحدة ليلا، لقد جاء كبار القادة الذين زلزلوا الأرض تحت اقدام روسيا يقولون لهؤلاء الشباب: (نحن طوع أمركم، ورهن أشارتكم، فمرونا بأمركم). لقد عرضوا على أنس أن يبقى بين ظهرانيهم ويزوجوه من بناتهم وبهونه دارا للسكن رغم حساسية هذا الموضوع عند شعب قبلي كالشعب الأفغاني).

10-لقد سمعت محمد صديق كري-قائد في كابل-يقول: إن عربيا واحدا بيننا احب الينا من مليون دولار تقدم إلينا رغم حاجتنا الماسة إليها.

هذه المكانة التي يحتلها العرب في قلوب المسلمين تضعهم أمام مسؤولية كبرى أمام الله ثم توقفهم أمام مسؤولية عظمى أمام التاريخ (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)

(الآية 44 الزخرف)

انها مسؤولية القيادة والريادة . . . مسؤولية تلقي على عاتقهم تبعه ثقيلة.

قد أهلكوا لأمرو لو فطنت له فاربا بنفسك أن ترعى مع الهمل

لا بد للعرب أن يحاولوا إعادة دورهم هذا، وأن يتحملوا تكاليف المسؤولية وأن يعرفوا تبعات هذا الطريق.

لا بد أن ينمحي من أذهاننا إلى الأبد الإسلام الاقليمي الذي يقع في الحدود الجغرافية التي خطها الانجليز او الامريكان.

لقد استطاعت الاجهزة اليهودية الدولية للاعلام ان تنقل قضايانا المصرية من قضايا اسلامية تعيشها الأمة المسلمة بكاملها بحاسيسها وقلوبها ومشاعرها، لقد نقلت القضية الفلسطينية-على سبيل المثال-من قضية اسلامية جهادية تفرض على كل مسلم ان يساهم في تخليصها فرض عين إلى قضية اقليمية، عربية، ثم من قضية عربية إلى قضية فلسطينية ثم اذابت القضية الفلسطينية في قضية أسمتها مشكلة الشرق الأوسط لتميعها وإنسانها للناس.

والآن استطاعت اجهزة الاعلام الشيوعية واليسارية في العالم العربي ان تلبس قضية الجهاد الأفغاني وتظهرها بمظهر المنافس للقضية الفلسطينية وبدأت بعض الأصوات ترتفع بالكثير على كل من نادى بدعم الجهاد الأفغاني، بل لقد أعرب بعض ابناء جلدتنا من فلسطين، قالوا: ان قضية أفغانستان أثارته الماسونية العالمية لطمس القضية الفلسطينية.

فاذا كانت الشيوعية العالمية ترمي الشعب الأفغاني عن قوس واحدة، وترمى اليمن الجنوبي والهند والدول الشرقية بابنائها في المحرقة الشيوعية في أفغانستان لتثبت تضامنها مع الشيوعية الدولية . . . فهل يحرم بعد هذا أن تنادي بعض المسلمين لدعم الجهاد الأفغاني بالنفس والمال؟

احرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

ولقد أصبح هذا الأمر مشكلة لدى بعض القوم حتى أصبح بعض الناس يلمزوننا لاننا نتكلم عن أفغانستان ولم نتورع صحيفتنا المسلمة (الأخبار) أن تنشر لأبي أحمد رسالة من حيدر آباد يتهمنا باننا نسيينا فلسطين معاذ الله ان ننسك يا فلسطين فإنقاذ فلسطين جزء من ديننا وعقيدتنا وفرض علينا ولكن مثلي ومثل فلسطين كرجل يصلي ثم أغرقت داره بالماء فبدأ يبحث عن مكان يصلي فيه فوجد دارا لآحد اخوانه ليس فيها ماء وباستطاعته أن يصلي فهل يقول عاقل أن عليه أن يترك الصلاة أو يصلي دون سجود لأن داره فيها ماء، وهل من العيب ان يصلي في بيت أخيه؟ إنه يصلي في بيت أخيه حتى لا يعطل فريضة الصلاة وينتظر الوقت الذي يستطيع الصلاة في داره وهذا شأن في فلسطين وفي أفغانستان، لقد أدبنا فريضة عبادة الجهاد في فلسطين ثم حيل بيننا وبين أداء هذه العبادة فبدأنا نبحث عن مكان نعبد الله فيه عبادة الجهاد فوجدنا أرض أفغانستان، فقمنا بأداء العبادة فوق أرضها ولكنها نترقب الوقت المناسب الذي نعود فيه لأداء هذه العبادة في أرضنا المباركة، فبدلا من أن نعطل الجهاد ونشغل بال الدنيا ونغرق في متاع الدنيا ونترهل أجسامنا ونثقل هممنا ونكتفي بالنواح على فلسطين كاجهزة الاعلام العربي . . .

بدلا من هذا التخلف قلنا: نواصل جهادنا في أفغانستان حتى يفتح الله علينا وييسر لنا الجهاد في الأرض المباركة وفي ربوع الأقصى، ولا بد أن ننبه أن الجهاد في أفغانستان فرض عين بالنفس كالجهاد في فلسطين، قال لي نور الدين الفلسطيني-وهو مجاهد في أفغانستان الآن-قال لي هذا الأخ: والله مازاد حنيني وشوقي للجهاد في فلسطين إلا بعد أن جئت إلى أفغانستان، وإذا كانت العصابات اليهودية قد اشتركت في الحرب العالمية الثانية في جيوش الحلفاء من أجل المزيد من الدربة والمران، وإذا كان موشي-ديان قد ذهب إلى فيتنام ليأخذ الخبرة في مقاومة حرب العصابات ليستعملها ضد الفدائيين الفلسطينيين، فهل لنا أن نخرج من دائرة القول والتمني إلى دائرة الجد والعمل لاسترداد فلسطين؟ . . .

هلا واجهنا الواقع بوسائل مكافئة ونزلنا من بروجنا العاجية الخيالية التي نحلم فيها بانقاذ فلسطين إلى إعداد النفوس والقلوب والارواح والابدان والعقول؟

ومن طلب العلا من غير جد اضاع العمر في طلب المحال

إن نار اعداء الله تلتهم كل ماتواجهه من اناس وقيم ومبادئ وديار، وكادت تأتي على البنيان العربي كله والخطر محقق فلا بد ان نوقظ قلوبنا بالقتال ولا بد ان نفتح افعالها بالجهاد في سبيل الله.

وهناك فرق بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة والقلوب الميتة المغلفة الجامدة التي تكفن موتتها بالهيو، وتواري جمودها بالاستهتار، ولا تتأثر ولا تتذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة.

إن النفوس الفارغة لا تعرف الجد وتلهو في اخطر المواقف وتستعثر في مواطن القداسة.

(ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد)

(الآية 37 سورة ق)

1-رواه مسلم وهو في الأحاديث الصحيحة برقم 302

2-مجموعة الفتاوى 1/138

3-فتح الباري / ج 6 / كتاب الجزية برقم (3168)

4-شرح النووي / ج 12 / كتاب الجهاد / ص-92 بلفظ (لأخرج اليهود . . .)

5-رواه مسلم

6-جامع البيان / ج 17 / ص-7 الطبعة الحلبية

7-التفسير الكبير ج 22 / ص-145

8-الجامع لأحكام القرآن / ج 11 / ص-273

كيف صبروا ؟! \*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثامن - 15/يونيو/1985].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فمن تحت شجرة سمره في سفح جبل يطل على معسكر سلمان بدأت انظر إلى الخيام التي تكاد تشتعل من الحر اللاهب، ولفح الهاجرة تحرق الوجوه، والافواه لا تكاد تستطيع ان تفتح أشداقها لجفاف لعابها، ونحن في العاشر من رمضان، وعندها بدأت الافكار تتنال علي والاسئلة تتراحم في مخيلتي والسؤال الكبير الذي فرض نفسه: كيف يصبر هؤلاء المجاهدون في هذه السنوات السبع العجاف لقد فقدوا كل شئ في هذه الدنيا؟

همم عالية . .

تركوا الارض العزيزة التي عليها دبوا ونبثوا، فما وهنوا ولا استكانوا، فقدوا الأم التي اغدقت عليهم من حنانها حتى شبوا على اقدامهم، تحول البيت الذي يقطنون ميمتا فيه الارامل والمشوهون والعجز، والبيت لا يتعدى خيمة تضرب الريح في ارجائها وتقتلع اطنابها، وبعد هذا كله فمسيرة الجهاد مستمرة والنفسيات عالية والهمم مرتفعة ولم يذل هذه الهامات استمرار المحن وتوالي المصائب: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (الآية 146 آل عمران)

ومقابل هذا جنود الروس تحميمهم الاساطيل البرية والجوية وطعامهم خاص يعيشون في معسكرات مدججة بأحدث الاسلحة وما ابتكره العقل البشري من اسلحة واجهزة المراقبة والاضواء والاسلاك والالات الحديثة الالكترونية. خواء الإلحاد:

ومع هذا كله يعيشون في فرع رهيب ورعب عجيب فروسيا تضطر لتغيير قواتها داخل أفغانستان كل ستة اشهر إلى سنة. سألت أحد الأسرى الروس واسمه عبدالحليم (كما سماه المجاهدون) فقلت له: كيف تعيشون في داخل معسكراتكم؟ فأجاب: كنت ضمن حامية في مطار في شمال أفغانستان ومع ذلك لا نضع رؤوسنا ليلة إلا ويكون الحديث الاخير الذي نتهامس به بيننا: الليلة يأتي ل محمد ويذبحنا، وأكثر ما يخشاه جنود الروس أن يذبحهم المجاهدون بالسكين. قارنت في نفسي بين هذه النفسيات المهزومة في اعماقها المضطربة في حياتها واعصابها وبين المجاهد الذي فقد كل شئ ومع ذلك فهمته كالسيف عزما ومضاء. عندها جاء الجواب: إنه الايمان بالله الذي غرس الاخلاق الاسلامية الرفيعة في نفوس هؤلاء وعلى رأس قائمة هذه الاخلاق الصبر والشجاعة والعزة والكرم والكرامة. ان كل واحد منهم يمثل أسدا رابضا في عرينه لا يستباح حماه ولا يقتحم بيته.

نماذج رفيعة:

إنهم بجمعون بين التواضع الجم والشجاعة الخارقة، جلس أحدهم بين يدي بأدب كأنه تلميذ مهذب بين يدي استاذة الكبير فسألت من هذا؟ قالوا: هذا محمد سهراب قائد المعسكر وقد كان لواء في الجيش الأفغاني قبل ان ينضم إلى المجاهدين، وأعطيت محمد نقيب أمير إحدى الولايات مبلغا بسيطا فقلت له:

استعن به على سد افواه ابنائك الجائعين وليس هذا المبلغ للمجاهدين فقال: أخذه بشرطين اولهما ان اخبر قائدي المسؤول، والثاني ان اضعه في صندوق المجاهدين لانك تعلم حديث ابن اللثبية الذي قال لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-هذا لكم وهذا أهدي إلي فقال: (أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فتتظر أيهدي إليك أم لا؟) (1)

وأعطيت صدر الدين مبلغا ليوصله إلى ولاية لغمان فحمله وعندما سلمه إلى القائد سأله من اين هذا؟ فقال: من أحد الاخوة المسلمين العرب فرد عليه القائد أخشى أن يكون من إحدى الجهات التي تحاول احتواء الجهاد كالغرب مثلا ، فأكد له بأنه من اخوانك المسلمين، قال القائد: لا أستلمه حتى أستشير واستشير وفي اليوم التالي أخذ القائد المبلغ ولكن نفسه لم تطمئن حتى ارسل المبلغ إلى بيشاور ليستفسر وبطمئن عن مصدر هذا المبلغ.

عفة وظهر . . .

هذه النفوس الرفيعة التي عضها الجوع بنابه وتعيش مرارة فقر يهز العمالقة من الرجال ومع هذا فالهمم عالية والهام مرتفعة، قال لي أحد ابناء حماة: إن الاصاله عريقة في حماة فرغم قتل الرجال وغيبة الرقيب والموجه عن النساء إلا أن المرأة لا زالت تحافظ على خمارها فقلما تجد في شوارع حماة امرأة سافرة الوجه . . . فقلت له: مابالك تشعب بكامله تحدث في أرجائه مئات المذابح وفقد مليون وثلاثمائة الف شهيد ومع هذا لازالت المرأة الأفغانية تغدق قباءها دون الرجال رغم تسلق الجبال ووغول الادغال ولسان حالها يردد مارددته الصحابية رضي الله عنها: (إن أرزا ابني فلن أرزا حيائي) (2)

الاجل والرزق . .

ان أثر العقيدة في أتباعها عجيب جدا ولقد غرس القرآن هذه العقيدة في النفوس وأول ما حرص القرآن على بنائه في النفوس عقيدة الاجل والرزق وذلك لان محور الحياة يدور حول هاتين القضيتين.

فاما الاجل فكثيرا ما يردد القرآن الكريم:

(فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

الآية (34) الأعراف-(61) النحل

(وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا . . )

(الآية 145 آل عمران.)

لقد وردت هذه الآية في أثناء التعقيب على غزوة أحد وفي ثنايا القصة جاءت الآية، فالقرآن الكريم يربي النفوس من خلال الاحداث ومن المعلوم ان غزوة أحد حفرت أثارها في اعماق النفوس وبينما كانت الجروح تشخب دما والقرح يهز القلوب جاءت آية الاجل لتأخذ مكانها في الأفئدة الحزينة وجرت مع الدم الذي لازال يغلي لهذا الحدث الجلل الرزق أقسم عليه رب العزة بذاته الكريمة: (وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون) (الآية 23 الذاريات)

الصبر والشكر . . .

والنفوس تسير في هذه الحياة وهي مطمئنة لرزقها راضية لقضائها هادئة الاعصاب مستقرة الضمير لاجلها وأقدارها سيان عندها أن تبثلى فتصبر أو ينعم عليها فتشكر وفي الحديث الصحيح:

(عجا لا امر المؤمن، ان أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن). (3)

لقد أصبحوا بفضل هذه التربية الربانية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(لو كان الصبر والشكر جوادين ماباليت أن أركب أحدهما) بل لقد تعدوا هذه المرحلة إلى مافوقها إذ يصبح القدر النازل من السماء هو سرور النفوس وروح الارواح كما قال عمر بن عبدالعزيز:

(أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء والقدر).

لم تعرف البشرية مبدأ ولا ديناً جعل الاستشهاد وبذل الروح أسمى آيات العبادة وقمة سنامها مثل الاسلام.

ولم يعهد التاريخ عقيدة تجعل الشجاعة والكرم قمم السمو الاخلاقي وذروة الرفعة البشرية مثل هذا الدين.

معدن صفقه الإسلام

إن هذا الدين يتعامل مع معادن فيصقلها ويسمو بها حتى لتكاد تتخيل أحيانا أنك تتعامل مع ملائكة يدبون على الأرض بصفائهم ورفعتهم:

(الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) (4)

لقد صقل الإسلام معدن الشعب الافغاني: فاصبح الوفاء لهم سجية والشجاعة صيغة والعزة لهم طبعاً والحياء لهم خلقاً والنخوة لهم أرومة، واصبح الزهد دينهم والرجولة عنوانهم والغيرة سمتهم.

لقد حمل الشعب الافغاني الإسلام فنشره كذلك في اواسط آسيا وشرقها.

اننا نرى الانسان في العالم الاسلامي-الذي لا يزيد الإسلام عن ان يكون قشرة خارجية لكثير منهم-سرعان ما يسقط لاول هزة وسحابة صيف عن قليل تفسح.

مقارنة

ونرى المرأة خاصة قليلة الاحتمال عديمة الصبر-إلا من رحم الله-فاذا غاب عنها زوجها ليلة او بعضها اقامت الدنيا وما اعدتها بل لقد اصبح المصير يثير الذعر في البيت إذا رآته المرأة، فكيف إذا رأت ابو بريص فانها لا تتمالك نفسها من الخوف فتصيح من اعماقها طالبة العوذ، ودعك عن الضفدع التي قد تحرم المرأة ان تفتح بابها خوفاً ولها.

لا تستبعد ان تكون هذه المرأة داعية إلى الله-بزعمها-وتتولى عملية التربية لأترابها-بظنها-قارن هذه المرأة مع المرأة الأفغانية التي قلما تضع جنبها إلا على الصخور التي تكن الافاعي تحتها. والغابات التي لا تقطنها إلا الوحوش الكاسرة والهوام السامة.

ان السكين الحاد لا يكاد يفارقها وهي متربصة الساعة التي تنتفض فيها على روسي يقتحم حرمة بيتها لتقتله.

انها لم تر زوجها منذ انقلاب تراقي 1978م، أو منذ الدخول الروسي 1979م، مع ذلك فهي صابرة محتسبة، تغالب مرارة العيش وتصارع الحرمان والفقر والفاقة وتقتات السغوب والألام وكما قال الشاعر:

امسكت ما أبقي الأسى من مهجتي

كي أسأل الربع الحزين وماب

ما للمنازل اجثت شرقاتها

ما للمساجد اطفأت أنوارها

فوق الاحبة والدهان سخام

في شهر فرحتها وعم ظلام

صفات أصيلة:

إن الصفات الاسلامية هي التي أهلت هذا الشعب الاسلامي الكريم العريق في اصالته أن يخوض هذه المعركة الطويلة المدى وإن يعتبر هذا الصبر الذي لو صب على الجبال لذابت من اصولها، إن النفس البشرية لا تكاد تصدق ما يتحملة الإسلام فوق أرض أفغانستان

ولكنه الصبر الذي يلقيه الله في القلوب بقدر البلاء الذي يتصيب عليها من السماء.

إن الصبر بحد ذاته كرامة كبرى تدل أن يد الرحمن هي التي ترعى هذا الجهاد وأن عين الديان هي التي تحرس القتال المبارك.

هذه بعض اجوبة سؤالي الكبير.

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

(الاية الأخيرة من سورة العنكبوت)

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

(الاية الأخيرة من سورة آل عمران)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك واتوب إليك .

1-شرح النووي / ج 12 / كتاب الامارة / ص-220

2-هي أم خالد وقد جاءت متفقه تسأل عن ابنها الذي قتل فقيل لها: جئت تسألين عن أبناك وأنت متفقه؟ فقالت قولتها . . . والحديث عند ابي داود

3 -شرح النووي / ج 18 / كتاب الزهد / باب احاديث متفرقة / ص-125

4-فتح الباري / ج 6 / كتاب المناقب برقم (3496) عن ابي هريرة وله زيادة

وقفوهم إنهم مسؤولون

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره . . وبعد:

إن الله عز وجل -قوانين ونواميس تسير حسبها الحياة الاجتماعية والاجيال عبر تاريخ البشرية.

هذه القوانين لا تحيد الإنسانية عنها ومهما حاولت مصادمتها فانها لا محالة فاشلة خاسرة، والانسان هو الذي يدفع الثمن لانه هو المتحطم في النهاية لانه يحاول أن يصطدم بهذه القوانين ظانا أنه يستطيع أن يوقف عجلة الكون الدائرة بإذن الله ربها-والله المثل الأعلى-كطفل صغير يحمل حجرا صغيرا بيده يريد أن يوقف فرقة متقدمة من الدبابات لا بد أن تطوية عجلة إحدى الدبابات دون أي جهد.

ومن هذه القوانين: أن النفس البشرية لا تجد سعادتها وطمأنينتها ولا يتذوق الانسان حلاوة ولا يحس بهدوء أعصابه وقررة عينه إلا في ظل المنهج الرباني وتحت كنف النهج الالهي، هذا القانون الذي تتضمنه الآية الكريمة:

(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه:124)

ولذا فان كل المناهج البشرية التي وضعت لملء فراغ الانسان وحل عقده قد باءت بالفشل الذريع، من رأسمالية إلى اشتراكية وشيوعية وقومية، ونظرة واحدة إلى العالم العربي والاسلامي الذي يعتبر مزرعة تطبيق المناهج الوضعية الجاهلية تجعلك مطمئنا لما نقول لما تراه من شقاء الانسان مع انهيارات هائلة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، مع التخطب الشديد والخط العجيب في محاولات الانقاذ اليائسة للوضع بعيدا عن منهج الله.

ومن هذه القوانين: قانون الدفع ( الصراع ) بين الحق والباطل: هذا قانون لا يمكن أن يتخلف في حياة البشرية، فالدفع بين الخير والشر والصراع بين الايمان والكفر مستمر منذ أن غادرت قدما آدم عليه السلام الجنة ناداهما ربهما:

(اهبطوا بعضكم لبعض عدو)

البقرة: (36)-الاعراف: (24)

وجبهة الخير والحق يمثلها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتباعهم وجبهة الشر والباطل يمثلها الشيطان واتباعه، أو كل جبهة اخرى غير جبهة اتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومن جبهة الباطل: اليهود والنصارى (اهل الكتاب) والوثنيون والبوذيون والهندوس والبهائيون والقاديانيون والشيوعيون والملحدون والمشركون والمنافقون

هذه الجبهة لا يمكن ان تهدأ في الكيد للاسلام واهله اما المشركون فيقول الله عنهم:

( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا)

(البقرة : 217)

أما اهل الكتاب فيقول الله عز وجل فيهم:

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملثهم)

(البقرة : 120)

ولئن كفوا عن القتال او الكيد الظاهري برهة من الزمن فالكف خلاف القاعدة ويعتبر شذوذا في سير التاريخ الاسلامي.

وما دام المؤمنون مؤمنين والكفار كافرين فلن يهدأ اوار الحرب ولن تخبو نارها.

(قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا إلا ان آمنا بالله وما انزل إلينا وما أنزل من قبل وان أكثركم فاسقون)

(المائدة: 59)

فالنقمة والحدق امر دائم لان السبب موجود وهو ايمان المؤمنين وفسق الكافرين وظلمهم .

ومحاکم التفتيش في اسبانيا التي شنها الفونسو السادس الصليبي على المسلمين حتى اجتثهم واباد نسلهم واهلك حرثهم خير شاهد، والحروب الصليبية التي استمرت حوالي قرنين من الزمان يوري نارها و يذكي لهيبها بطرس الناسك والبابا من الشواهد كذلك.

وفلسطين من الشواهد الكبرى على حقد اهل الكتاب ونقمتهم على اصحاب هذا الدين، ولقد اتفقت الصليبية الدولية واليهودية العالمية معا على سلب هذا الجزء من أرض المسلمين والاستيلاء عليه، وهاجر ابناء فلسطين بعد ان تأمر عليهم الكافرون الشيوعيون (انصار المستضعفين) واهل الكتاب واتفقت روسيا وأمريكا والمعسكرات على حربهم بجانب اليهود، ووقف المنافقون من صف العرب

والمسلمين بجانب أعداء فلسطين-الأرض المباركة-وصمد الشعب الفلسطيني صمودا عجيبا ولم يستطع اليهود ان يحصلوا خلال نصف قرن (1897 م حتى 15 أيار 1947 حتى دخول الجيوش العربية) على أكثر من 3 مليون دونم ولكن خلال عام واحد تقريبا اصبح

اليهود يستولون على حوالي 22 مليون دونم من مجموع 26 مليون دونم مساحة فلسطين كلها.

ولاحق الكفار الشعب الفلسطيني في كل مكان: سجنا وتشريدا وتمزيقا وتقتيلا.

أوصدوا في وجهه الحدود دون مقاتلة اليهود، منعه من الاعداد، حرموه من حقوقه الاساسية في الحياة-كالوظائف والتنقل-حتى الورقة التي تشهد له بمواطن (جواز السفر) لم يمكنوه من حملها وحرموه حقوقه بل لقد حرموه الكلام وبث الشكوى واما مجالس الشعب

الاستشارية في العالم العربي فهي لا تزيد عن الوصف الذي اطلقه هاشم الرفاعي على مجلس الشعب ايام عبدالناصر:

هاهم كما تهوى تحركهم دمی لا يفتحون بغير ماتهوي فما

انا لنعلم أنهم قد جمعوا ليصفقوا ان شئت أن نتكلما

اذكر في الخمسينات والستينات ان الدوريات اليهودية كانت تصل احيانا قرب بيتنا-اذ اننا نسكن في قرية حدودية-وذات يوم ذهب جارنا وبث شكواه إلى مركز الشرطة فالحقه في السجن وبدأ التحقيق مع الايذاء والاهانة، ولم يفلته من الورطة إلا ذكاء ضابط طيب من ضباط

التحقيق نصحه ان يقول للجنة التحقيق: لعلي كنت احلم، فأفلتوه بعد أن نفى رؤية اليهود في القطة!!!

لقد جرد الفلسطينيون من الارض والهوية ومن أي حق إنساني وحتى حق الكلام والشكوى.

وطوردوا فوق كل أرض وتحت كل سماء، واصبح كل جزار يريد ان يستلم مسلخا في العالم العربي يجرب سكينه في هذا الشعب ليثبت جدارته في إدارة المسلخ المعد له.

سكنوا لبنان وعندما قامت عليهم كتائب المارون اضطروا أن يدافعوا عن أنفسهم فشبت كتائب النصيرية بجانب الكتائب الصليبية لتكسر شوكة المسلمين الفلسطينيين ولترجح كفة الصليبية اللبنانية بعد ان خضدت شوكتهم ونكسوا على رؤوسهم ولتمسح مخيم تل الزعتر من فوق الأرض، تابعوهم وفي كل عام مذابح ومجازر، دخل اليهود لبنان ليخرجوا الايادي المسلحة القوية من ارضها.

ثم يتعاون اهل الكتاب (الصليبية مع نجمة داود) لنهب ابناء صبرا وشاتيلا.

والآن وبمباركة النصريرة الحاقدة تلتقي الشيعة في حركتها أمل الكفر والدروز الكتائب الصليبية وتحاصر مخيم صبرا وشاتيلا وتبدأ المذابح ووراءها الجرافات التي تدفن الجثث وبقايا الاحياء وألت على نفسها إلا ان تسوي المخيمين بالارض لا تريد ان تبقى أطلالا خربة ولا منازل مهمة حتى لا يقال في المستقبل هنا كان يسكن الفلسطينيون ولئلا يقال:

يادار مافعلت بك الايام ضامتك والايام ليس تضام  
عزم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنون وللزمان عرام  
وحتى لا يسمع:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل

أو يتغنى أحد قانلا :

وكل دار وإن طاللت سلامتها يوما ستدرکها النكباء والحب

لا نريد الدار ولا الاطلال، ولا الاطفال ولا الرجال.

والغريب العجيب: الصمت الرهيب المطبق حيال هذه المجازر الرهيبة هناك مجازر المسلمين الفلسطينيين في لبنان، وهنا مجازر المسلمين الأفغان، في كل يوم تسمع مجزرة في كمر، وردك، لوكر (زرغن شهر) قصاب، ملو، وعيسى خيل (كندوز) وفي تخار مجازر تشبه مجازر الفلسطينيين ولا تحس من أحد ولا تسمع لهم ركز.

فهل يقف ذو لب أو ذو بقية فيسال هذه القبور الصامته والاجداث الوحشية بأي ذنب قتلت؟

ان لم يسأل أحد في هذه الارض فسيسمعون صوت الحق يوم القيامة يناديهم:

(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله وأهدوهم إلى صراط الجحيم # وقفوهم إنهم مسؤولون)

(الصافات: 22)

وسبحانك اللهم وبحمدك، اشهد ان لا إله إلا انت أستغفرک وأتوب إليك.

أبين الصحفي المسلم ؟!

[نشرت في مجلة الجهاد -العدد العاشر- 1/أغسطس/1985م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله، اما بعد:

على أبواب بكتيا وأثناء عودتنا من معسكر (ليجا) على مشارف خوست كنت جالسا ذات مساء وبجانبني صاحبي ينتظر أذان المغرب ليفطر-إذ كان صائما يومه السادس من شوال ولم يكن أمامه سوى هذا اليوم من شوال ليصومه إذ كنا في اليوم التاسع والعشرين منه-أقول: بينما كنا جالسين دخل شاب اشعث اغبر لم تعد تعرف لون وجهه ولا لون ثيابه من الغبار الذي يكسوه والعرق الذي اختلط بالثرى الذي يكاد يغير ملامحه تماما .

الشباب اشقر طويل ازرق العينين تبدو سحنته الغربية واضحة جلية.

فيادرننا بلغته الانجليزية: أيكم يعرف الانجليزية؟ فقلت له: ماذا تريد؟ فقال لي: هل جاءت حقيقتي من (ليجا)؟ قلت له: من أنت؟ قال: أنا (كرستيان روبين) قدمت من فرنسا صحفيا مبعوثا من وكالة الانباء الفرنسية المسماة (سيغما) ومكثت في داخل أفغانستان أربعة أشهر ونصف في وردك وغزني وخوست-بكتيا.

قلت له: هل تؤمن بالله؟ قال: نعم وازداد ايماني في داخل أفغانستان عندما رأيت الكلاشنكوف يقاتل طائرات الجيت والدبابات، ثم استمر الحديث بينما فقلت له: هل تظن أن روسيا ستنصر؟ قال: لا بل ستهزم ولكن بعد فترة، فسألته عن السبب؟ فقال لي:

لأن الشعب الأفغاني شعب متدين شجاع يقاتل لغاية والروسي لا يدري لماذا يقاتل؟! بالإضافة إلى النفقات الباهظة والخسائر الفادحة التي تتكبدها روسيا بلا عائد (2.5 بليون دولار سنويا) هذا الرقم الذي ذكره الصحفي الفرنسي وإن كنت اعلم ان الرقم اعلى من هذا بكثير فلقد سمعت من رجل شيوعي كبير في مخابرات كابل قد استسلم للمجاهدين: ان نفقات الجيش الروسي يوميا (26 مليون دولار على الأقل)، وباختصار لقد قال لي الصحفي الفرنسي الكاثوليكي: أن هذا الجهاد الذي في أفغانستان سينتصر لأن الله مع المجاهدين.

قلت له: كيف صبرت في أفغانستان على شطط العيش وقسوة الجو؟ قال لي: هي بسيطة، ان هي إلا الخبز والشاي: فطوري خبز وشاي، غدائي شاي وخبز وعشائي خبز وشاي قال: لا حاجة للتفكير في اختيار الاصناف، ثم سألته هل تمتعت في رحلتك؟ فرد قائلا: انها اكثر رحلة تمتعت بها في حياتي، فسألته عن السبب فقال: لقد احببت شعب الأفغان لانه شعب كريم، شجاع متدين يقابل الموت، فكم كنت أعجب عندما ارى القذائف من الطائرات كوابل من المطر وهم يمزحون ويهزلون كأن الأمر لا يعينهم.

أقول ولقد رأيت بنفسي الحفر التي خلفتها غارات الطيران في معسكر ليجا الذي كان فيه هذا الصحفي ورأيت الماء قد خرج من الأرض في احدى الحفر.

ثم سألته بعد أن قال اثناء الحديث مازحا بلكنته الاعجمية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هل تؤمن بهذه الكلمة؟ فقال: أؤمن بالشرط الأول اما محمد فاني أريد أن أدرس عنه فسألته عن مدى معرفته لجارودي وموريس بوكاي الطبيب الذي اسلم فقال: اعرف جارودي فنصحته الشباب ان يقابل جارودي بعد عودته ثم وعدته ان اعطيه بعض الكتب الانجليزية عن الاسلام، وطال الحديث اثناء رحلتنا الطويلة من ميران شاه إلى بيشاور (من حدود بكتيا إلى بيشاور) ثم اخبرني انه راجع إلى بيشاور ليرى برقية جاءت من فرنسا تخبره ان امه على فراش الموت وهو عازم على العودة إلى أفغانستان.

لقد تملكني العجب وانا ارى صبر هذا الصحفي الكاثوليكي على مشاق الحياة ولأوائها في أفغانستان وذلك لأنه يشبع رغبة في نفسه؛ وهي نقل صورة حقيقية عن الجهاد وأهله داخل أفغانستان ومن اجل تلبية هذه الرغبة تهون عليه كل المصاعب مع انه لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا من رب العالمين ولا يطمع في شهادة يدخل بها جنات عرضها السموات والأرض.

لقد رأيت آثار الجروح في بدنه اثر غارة جوية على معسكر (ليجا) وقد اخبرني المجاهدون بذلك اثناء وجودي بينهم، وهي ان الصحفي الفرنسي قد اصيب وهي كرامة من كرامات الجهاد اذ انه الشخص الوحيد في المعسكر الذي اصيب لانه ليس مسلما واستقرت عن عدد الصحفيين الغربيين في الداخل-وليس في الداخل إلا صحفي كافر-قال: الذين اعرفهم خمسة عشر والذين لا اعرفهم كثيرون.

لقد كنت أقارن بين هذا الصحفي وبين الصحفيين المسلمين العرب وحتى الباكستانيين الذين يعيشون على حدود الجهاد وشطايا القذائف تصل قراهم احيانا ومع ذلك فهم ينقلون ما يترجمونه عن النيوزويك واليوموند والتايم وكريستيان ميرر ولا يطمع أحدهم ان يصل حدود أفغانستان هربا بالنفوس من الحياة (الجهاد):

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

وصدق الله العظيم:

(يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم)

(الآية 24 الأنفال)

وقد روى عن ابن كثير: معنى (لما يحيكم ..) أي للحرب التي اعزكم الله تعالى بها بعد ذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم (1)

فموتي في الوغي عيش لاني رأيت العيش في ارب النفوس  
ولبت الصحفيين (المسميين بأسماء المسلمين) يكتفون بما ينقلونه عن الصحف الغربية .. بل يعكسون ما في قلوبهم على صورة الجهاد الأفغاني إلا من رحم ربك وقليل ما هم، فينقلون صورة قاتمة مظلمة عن الجهاد وأهله يعتمون على الصور المشرقة والانتصارات الباهرة. .. فإذا دخل الروس قرية من القرى أو قتلوا مجموعة من المدنيين انطلقت اقلامهم اسبوعا كاملا تصور انتصار الروس وهزيمة المجاهدين .. وما اكتفوا بصمتهم المطبق عن النبا الذي زلزل العالم بأسره وشد انتباه الدنيا وأهلها فصدق الله فيهم: (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون إلينا إلا قليلا أشحه عليكم)

(الأحزاب: 18)

والمنافقون لا يأتون إلينا إلا قليلا وهؤلاء لا يأتون إلينا ولا كثيرا، وهم أشحه والشح: اشد البخل فهم بخلاء اشد البخل حتى بالكلمة الطبية. .. بل ان بعضهم يرجف ويخذل ويصور الجهاد الأفغاني مجموعة من قطاع الطرق يقبعون على حدود باكستان يترصدون سيارة ينهبونها ويقتسمونها وان أفغانستان خاضعة تماما لروسيا مع ان كل من دخل أفغانستان يدرك الحقيقة: ان الروس يعيشون كالفئران المدعورة في داخل حصونهم المحاطة بأسوار الاسمنت وحقول من الألغام وسيج من الاسلاك الشائكة ولا تستطيع عشرات الدبابات ان تسير في الشارع العام.

لقد كنت جالسا في هذه الرحلة على اطراف بكتيا واذا بطائرتين فوق رؤوسنا مشحونتين بالسلح والصوراخي البارزة منها لا ترتفعان اكثر من خمسة عشر متر ثم حطتا بجانبنا، فهرع اليها الناس واذا بهما طائرتان روسيتان هاربتان ليستسلم اصحابهما للمسلمين .. فهل تستيقظ ضمائر اصحاب الاقلام ام تبقى سادرة في غيها وما اجمل قول الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك

(1) تفسير ابن كثير 2/297.

المعركة بين الجت والحصان\*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد الحادي عشر 31/أغسطس/1985م].

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .. وبعد

من حدود باكستان حتى حدود الاتحاد السوفياتي وعلى طول الطريق العام في أفغانستان، من شمالها إلى جنوبها، تجد قوافل الحمير والبغال والخيول محملة بالأسلحة والذخائر، وبالصوراخي بانوعها، لا تجد فوق الارض من يستطيع مقابلتها في المعركة، وكل الذي تخشاه ان تفاجأها الطائرات ميج 27.23.21 أما الدبابات فلم يعد بمقدورها ان تسير على الطريق العام حتى بقوافل وفرق تصل إلى خمسمائة دبابة.

رأيت هذا في الطريق المؤدية من جاجي (حدود باكستان) إلى كابل رأيت الخيول محملة بالصوراخي والطريق أهلة لا يسير فيها إلا مجاهد.

يمشي المجاهد من جاجي إلى كابل لا يخشى إلا الله، ومن الحدود إلى بدخشان (على حدود الاتحاد السوفيتي)

والبغل يعتبر دبابة المجاهد وهو يشكل وسيلة نقل هامة لاسلحة المجاهد وفي اختراق سلاسل الجبال وتحدي الثلوج والتلال والادغال. وعلى طول الحدود في باكستان تجد اصحاب البغال ينتظرون المجاهد ليستأجر البغل، وصاحب البغل يأخذ عشرين روبية؛ اجرة الكيلو غرام الواحد من الحدود إلى شمال كابل. أما إلى هرات و إلى بادغيس ومزار شريف فقد تصل اجرة الكيلو غرام الواحد من 40-50 روبية وإلى بدخشان 42 روبية، والحصان والبغل يحمل في المسافات البعيدة 140 كغم، ولذا فاجرته حوالي ثلاثة آلاف روبية، أي ما يعادل مائتي دولار امريكي إلى قرب كابل، بينما تصل اجرته إلى بدخشان حوالي اربعمائة دولار.

ولقد كنت اظن ان دور الخيل قد انتهى في الحروب ولكنني وجدت دورها الكبير في أفغانستان، مصداقا لقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم- كما رواه عروة بن الجعد البارق:

(الخيل معقود في نواصيها الخير-الاجر والمغنم-إلى يوم القيامة) (1)

وهذا الحديث دليل على ان الجهاد ماض إلى يوم القيامة ويؤيده حديث أنس مرفوعا:

(والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى ان يقاتل آخر امتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل) (2)

وكل افغاني يفخر ان يكون لديه حصان، وتراهم في قواعدهم، فمن كان عنده حصان ربطه أمام خيمته يعني بطعامه وشرابه، ويحافظ عليه حفاظه على نفسه وهو يذكرنا العزة في جاهليتهم واسلامهم من حيث اعتناءهم بالخيول، اذ كانوا يهنتون بميلاد الف ر س، وكل ينطق وشعاره كلام خالد رضي الله عنه يوم اليرموك:

(وددت أن الأشقر قد برأ وأن عدد الروم قد تضاعف).

كان في جاجي شاب يسمى (باري هوا) مسؤول عن تبليغ الاوامر للمراكز المحيطة فكان يسابق السيارة على فرسه، وكم هو جميل ان ترى هؤلاء الفرسان يمتطون صهوة خيولهم يذكرونك بالسلف الصالح أيام اليرموك والقادسية ونهاوند.

وكراية السلاح (اجرة السلاح) تشكل عقبة كبرى أمام المجاهدين وقد ينتظر المجاهد تسعة اشهر ينتظر ان يوفر الله له سلاحه ومؤنثته، ثم تبرز عقبة اخرى هي عقبة اجرة سلاحه، واكبر المشاكل هي ما يواجه القائد حين يعيش متقلبا على أحر من الجمر، اذ على جبهته التي تركها في الداخل قوات يخشى أن يفجأها الروس بجيش عرمرم وبهجوم سريع وليس عندهم ما يكفون به عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، وليس عندهم إلا ما يسدون به رمقهم ويوارون بشرتهم من كساء، والقضية الاخرى: كيف يستطيع تدبير اجرة سلاح كنيته.

جاءني احد القادة الكبار حول كابل فقال لي: نريد ان تدبر لنا اجرة ذخيرتنا وسلاحنا، فقلت له: نحن لا ندفع اجرة السلاح وانما نساعد من اجل إنشاء المدارس في داخل أفغانستان فقال لي: اذن سأبقى في بيشاور ولن يدخل السلاح إلى الداخل، وقد رأيت حالات كثيرة من القادة يبقون يتضورون على الحدود يتلهفون رؤية زائر قادم يشكون له حالتهم لعله يرق لهم ويحل مشكلتهم أو يساهم في حلها.

قال لي صاحبي متعجبا: اذن اين تذهب الاموال التي يدفعها المحسنون العرب؟ اين تنفق الزكاة التي تجمع بالملايين؟ فقلت له: هل يستطيع العرب ان يدفعوا ثمن الخبز الذي يأكله المجاهدون؟ هلم الي لأريك الحساب، ان كل مجاهد يحتاج ثلاثة أرغفة يوميا، ثمنها

ثلاث روبيات فهو يحتاج في الشهر: تسعين روبية؛ ثمن الخبز، فإذا كان عدد الذين يحملون السلاح داخل أفغانستان نصف مليون، فهذا يعني أنهم يحتاجون خمسة وأربعين مليون روبية شهريا، أي ما يعادل ثلاثة ملايين دولار.

فهل يدفع العرب هذا المبلغ؟ هل تريد مزيدا من الأمثلة التي توضح لك الصورة لقد وصل جبهة بنجشير خلال ستة أشهر من عام 1985 أربعون ألف روبية وجبهة بنجشير تعد سبعة آلاف مجاهد متفرغ من خيرة المجاهدين، أي أن نصيب المجاهد شهريا روبية واحدة، ووصل جبهة هرات خلال ستة أشهر سنة 1985 مائة ألف روبية وهم يعدون خمسة عشر ألف مجاهد، كذلك نصيب المجاهد روبية واحدة ويصل جبهة كندر 16 ألف روبية شهريا وعددهم 17 ألف مجاهد فنصيب كل واحد منهم أقل من روبية وفوق هذا كله تجد أناسا متبرعين يتتبع عورات الأفغان وينشر عيوبهم فتجده يزورهم عدة أيام ليرجع إلى بلاده داعية لنشر مساوئهم وبينه إلى بعض الأخطاء الفردية والعيوب الشخصية مثل تعليق الرقي والتمايم والتوسل بتنقيض الصدور من الجهاد الأفغاني وتمسك الأيدي عن البذل حتى قال بعضهم: ليس في أفغانستان جهاد وإنما (قتال بين المشركين الأفغان والملحد الروس).

وهؤلاء ينسون أن هؤلاء المجاهدين يواجهون أعظم قوة في المعمورة منذ سبع سنوات ولم يبق بيت إلا تحول إلى ميثم ومأتم وهم صابرون محتسبون يأتي أحدهم خبر استشهاد ابنائه فيردد بلكته الاعجمية: شكر الله حمد الله. وينهى الناس عن البكاء حتى لا ينتقص اجر الشهيد، أي إيمان هذا! ليس هذا تعاملا مع صفات الله الرقيب الحسيب الشهيد البصير؟

ينسى هؤلاء المتحمسون الذين يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في الصميم أنه لو سقط الجهاد الأفغاني لعظم البلاء واشتد الخطر على مسلمي العالم أن هؤلاء يغفلون عن مقاصد الشريعة العامة، فليسمعوا قول الجامعين لمرامي النصوص وأهدافها الكلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لاخلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه إذا لم ينفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهه بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يبق إلا على هذا الوجه) ويقول ابن تيمية في الفتاوى أيضا (اجتماع القوة والامانة في الناس قليل ولهذا كان عمرين الخطاب رضي الله عنه يقول: [اللهم أشكو اليك جلد الفاجر، وعجز الثقة]، فالواجب في كل ولاية الإصلاح بحسبها فإذا تميز رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة... قدم انفعهما لتلك الولاية واقلهما ضررا فيها، فيقدم في إماره الحروب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور - على الرجل الضعيف العاجز وإن كان آمينا، كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى فقال: أما الفاجر القوي: فقوته للمسلمين وفجوره لنفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القوي الفاجر (4)، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) (5) وروي: (بأقوام لا خلاق لهم) فليت انصاف المتعلمين يطلعون على نهج خيار الأمة قديما وحديثا، وليتهم يعرفون مدارك التنزيل، وليت شعري لو يطلعون على اسرار التأويل في نصوص الأحكام. وفي الصحيح: (أعظم الناس فرية إثنان شاعر يهجو القبيلة بأسرها ورجل انتفى من أبيه) (6) وفي الصحيح: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (7) وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

- 1-فتح الباري / ج6 / باب 44 / برقم (2852) شرح النووي / ج13 / ص 27- بتأخير عبارة -الأجر والمغنم. 2-الحديث سكت عنه أبو داود والمنذري وفي إسناده يزيد بن أبي شيبه وهو مجهول، وله شواهد.
- 3-الفتاوى 28/506
- 4-الفتاوى 28/245
- 5-الحديث عند البخاري فتح الباري / ج6 / باب 182 برقم (3062) من حديث عن أبي هريرة.
- 6-الحديث عند ابن ماجه عن عائشة وقد رواه بن أبي الدنيا في باب / ذم الغضب وهو في صحيح الجامع برقم (1066)
- 7-الحديث متفق عليه عن أبي هريرة فتح الباري / ج 11 / كتاب الرقاق / باب 23 / برقم (6475) شرح النووي / ج 2 / كتاب الإيمان / ص 18- بتقديم وتأخير في عباراته.

معادلة ربانية\*

- [\*نشرت في مجلة الجهاد -العدد الثاني عشر 10 صفر 1406 هـ -15/أكتوبر/1985م].
- ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد:
- فلقد اقتضت ارادة الله وحكمته ان يكون الجزاء من جنس العمل، فقال عزوجل:
- (فاذكروني اذكركم) (البقرة: 152)
- (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: 19)
- (نسوا الله فنسيهم) (التوبة: 67)
- (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (محمد: 7)
- (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) (البقرة: 40)
- وفي الاحاديث: ( أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) (1)
- (إذا تقرب العبد الي شبرا تقربت اليه ذراعا وإذا تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتاني مشيا أتيت هرولة)
- رواه الشيخان (2) ومنها أيضا
- (من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)
- رواه الشيخان
- (ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) .
- (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)
- رواه الشيخان (3)
- (ومن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع عورته فضحه ولو في جوف بيته) (4)
- (ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله) (5)
- وقد قضى الله قضاء لا يرد، أنه بقدر اشتغالك بأمور الآخرة وتنفيذ شريعة الله والجهاد في سبيله بقدر ما يبسر الله أمر دنياك:

( ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) الآيات 2-4-3-4 الطلاق

يقول ابن سيرين عندما ركبته الدين وحبس به: (اني اعرف الذنب الذي اصابني هذا، عبرت رجلا منذ اربعين سنة فقلت له يا مفلس). ويلمس المسلم هذه القاعدة واضحة في الجهاد، فيقدر ماثبت الظروف وتقل الدنيا وأسبابها المادية بين يدي المجاهد، يوسع الله عليه بعوض عظيم من جهة التأييد الالهي والنصر المؤزر الخارج عن طاقة البشر وامكانياتهم، ويحس المجاهد في اعماقه بسعادة غامرة يجدها في حناياه من انشراح الصدر وراحة الضمير وقرة العين. فاذا شح الطعام وفقد الادم بيدل الله المجاهد لذة بالخبز الجاف لا يجدها الذين يجلسون على الموائد الفاخرة التي تضم اصناف الطعام وانواع الحلويات والفواكه.

واذا بعد المجاهد عن الاهل ابدله الله عن الوحشة بفرانهم أنسا يحسه في قلبه وسعادة غامرة تبذل لها جوانحه حتى لا يعود يذكر أن له أهلا وزوجة وولدا، وأي أنس ومحبة هذه؟ أصبح المجاهد مع اخيه أسعد منه بزوجه وأولاده وأهله. يقول لي ابو الحسن السوروي ونحن نشهد معركة مع المجاهدين: والله مانسيت ابني ياسر يوما واحدا منذ ان استشهد إلا في هذا اليوم . وهنا يجعل بنا ان ننقل كلمات ابن تيمية (ماذا يصنع في اعدائي؟ ان جنتي وبستاني في صدري لا تفارقي، ان سجنى خلوة، وان نفيتى سياحة وان قتلتى شهادة).

وكان يقول: لو اعطيت الذين سجنوني ملء هذه القلعة ذهباً ماكفأتهم لما رأيت من الانس والخير الذي اعطانيه الله. انك تعيش مع المجاهدين يوما او اكثر فتتركهم وقلبك معلق بهم وتعيش معهم شهرا على الخبز والشاي والمرق فما ان تغادرهم حتى يحن قلبك اليهم وتهفو للعودة معهم.

قال لي ابو سيف (فتحي): هل يحق أن نترك أرض الجهاد ونذهب لحج الفريضة؟ فقلت: إن لم يؤثر الحج على سير المعركة فلا بأس وأنا أعلم انه لم يحج الفريضة ولكن قلبه معلق بالجهاد، وهو يأبى ان يترك الجهاد ويذهب للطواف بالبيت العتيق. انها المعادلات الربانية، انها التعويضات الالهية، إنها موازين القسط بيد رب العالمين.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه احمد والنسائي (6) (من استغنى أغناه الله ومن استغنى أغناه الله ومن استغنى أغناه الله)

وفي الصحيح عن الترمذي (7) مرفوعا (من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أسخط الناس برضى الله كفاه الله مؤنة الناس) وفي البخاري (8) مرفوعا (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)

وفي الصحيح عند احمد وابي داود (9) (من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أوشك له بالغنى إما بموت أجل او غنى عاجل). والمعادلة الربانية التي لا تتخلف أنك بقدر اشتغالك للاخرة ييسر الله أمور دنياك ويريحك في حياتك وينزل السكينة على قلبك. وفي الحديث الصحيح عن ابن ماجة (10) (من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له).

ولقد رأينا هذا في الجهاد رأينا عندما كان السلاح شحيحا والخيرة مفقودة ومضادات الدبابات والطائرات معدومة كانت الغنائم كثيرة وفي الصحيح (11) (عليكم بالجهاد فانه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) وتجد مصداق هذا احداثا واقعية في دنيا الجهاد، وذلك لان الجهاد هو العلامة الظاهرة للصدق والاخلاص ولذا سمي الله عزوجل المجاهدين صادقين فقال عزوجل:

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) الآية 15 الحجرات

واذا كان العمل صادقا فان الله عزوجل يسهل على صاحبه أداءه مهما كان العمل ثقيلا وشاقا (والمطالب العالية-كما يقول ابن القيم موقوف حصولها على همة عالية ونية صحيحة، فمن فقدوها فقد تعذر عليه الوصول اليها، فاذا كانت الهمة عالية تعلقت به وحده دون غيره، واذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة اليه، فالنية تقود له الطريق والهمة تقود له المطلوب) (12) وتعجب وأنت ترى حال المجاهد وقد فقد كل شي في الدنيا، فقد سقط على طريق الجهاد احباؤه واخوانه وأهله وجيرانه وهو يعيش في شظف من العيش وشدة من الحياة لا تكاد تصدق ومع هذا فانك تجدهم يمزحون ويهزلون والقذائف تنصيب فوق رؤوسهم !! قلت لصحفي فرنسي عايش الأفغان فترة في معاركهم: كيف تجد الشعب الأفغاني؟ قال: احببته كثيرا، فسألته لماذا؟ فقال لانه شعب متدين كريم يستقبل الموت بابتسامة.

والحق من ترك شيئا لله عوضه الله عنه، وقال ابن سيرين سمعت شريحا يلحف بالله ماترك عبده شيئا فوجد فقده، اجل ما يعوض به المرء الانس بالله ومحبه وطمأنينة القلب به وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى.

وقد جاء في الصحيح (13) قالت ام سلمة رضي الله عنها سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتى وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبتى وأخلف له خيرا منها)

فلما توفي ابو سلمة قلت كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلف لي خيرا منه، رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: (فعندما قلت في نفسي ومن خير من أبي سلمة؟ )

والشواهد اكثر من ان تعد وتحصى في أرض الجهاد يقول لي عمر حنيف: جئت أتزوج في بيشاور منذ عشرة أيام وتركت الجبهة وسأرجع خلال ايام، لان سعادتى هناك لاننا والجهاد كالمسك والبحر!!

ويقول لي الشيخ تميم العدناني: لقد دعت أهلي وزوجتي وأولادي عندما جئت للجهاد ولكنني لم ابك وبقيت في جبهة (شهرناو) اسبوعا فودعت المجاهدين باكيا!

وحدثني شاب عاد من بغمان اسمه بلال: لقد مكثت سبعة عشر يوما في لغمان فودعني المجاهدون وهم يبكون! والتأييدات الربانية والتكريمات الرحمانية واضحة جليلة.

يقول سيف: كنا في تلك الايام نرسل المجاهدين الخمسة ببنادقهم الخمسة فيأتوننا بخمسائة او اكثر من الغنائم! وفي مزار شريف قبل شهرين هجم الروس بخمسائة دبابة وحوالي اربعين طائرة على ستين مجاهدا، ووقف المجاهدون امامهم ثمانية أيام، واستشهد من

المجاهدين عشرون مجاهدا ، وقتل من الروس خمسمائة وحطمت لهم ست عشرة دبابة، فهل هذه طاقة البشر ام تأييد رباني وتعويض هؤلاء الصابرين، انها المعادلة الربانية وليتنا نستيقن.  
وصدق ابن مسعود رضي الله عنه (من اليقين ان لا ترضي الناس بسخط الله ولا تحمد احدا على رزق الله، ولا تلوم احدا على مالم يؤتكم الله فان رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، وان الله بقسطه وحلمه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).  
اللهم اجعلنا ممن يوقنون بالغيب ويستيقنون وبطمئنون لقدرك ويفرحون لقضائك اللهم انزل السكينة على قلوبنا واغفر لنا ذنوبنا واسر افنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.  
وسبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك

- 1- الحديث عند مسلم عن ابي هريرة شرح النووي / ج 17 / كتاب الذكر / ص-2
- 2- الحديث عند البخاري عن انس فتح الباري / ج 13 / باب 50 / برقم (7536)
- 3- هذه قطع ثلاث من حديث متفق عليه فتح الباري / ج 5 / كتاب المظالم برقم (2442) وهو عنده عن ابن عمر بلفظ ( . . . كربة من كريات . . . ) شرح النووي / ج 16 / كتاب البر والصلة/ ص -135 وهو عنده عن سالم عن ابيه بلفظ ( . . . فرج الله عنه بها . . . )
- 4- رواه ابو داود والترمذي وهو حسن ورجاله ثقات
- 5- هو في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري فتح الباري / ج 3 / باب 50 / برقم (1469) شرح النووي / ج 7 / كتاب الزكاة ص -145 بلفظ ( . . . ومن يصبر يصبره الله . . . ) وهو في المختصر برقم (555) الآية (2-3) الطلاق
- 6- هو في الاحاديث الصحيحة برقم (2314) وفي صحيح الجامع برقم (5903)
- 7- هذا النص عزاه الألباني إلى صحيح ابن حبان والحلية لأبي نعيم وهو عند الترمذي برقم (2414) عن عائشة بلفظ (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الله بسخط الله وكله الله إلى الناس) وهو في صحيح الجامع برقم (6010)
- 8- هو عند احمد في المسند وقد اخرجه ابن ماجه (2411-2) بلفظ (من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله) وهو في صحيح الجامع برقم (5856)
- 9- هذا النص رواه ابو داود برقم (1645) عن ابن مسعود وهو عند أحمد برقم (3696) وقد رواه الترمذي برقم (2326) بلفظ قريب وهو في صحيح الجامع برقم (6041)
- 10- عند ابن ماجه برقم (4105) عن زيد ثابت بلفظ قريب، وهو عند الترمذي برقم (2465) عن انس بلفظ قريب، وهو في صحيح الجامع برقم (6516) وفي السلسلة الصحيحة برقم (949)
- 11- رواه الحاكم (74/2-75) واخرجه احمد (314/5-316-326) بلفظ (عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى . . . ) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1941)
- 12- الفوائد / 162
- 13- شرح النووي / ج 6 / ص -221 وهو في المختصر برقم (461)

ويل للشجي من الخلي\*

[\*شرت في مجلة الجهاد -العدد الثالث عشر 1985].

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره . أما بعد:

فقدت مضى الصيف بأحداثه الضخمة ، وفشلت روسيا أن تسد ثغرا واحدا من الثغور التي تفصل باكستان عن أفغانستان ، بعد أن أقلت بثقلها، ولم تدع وسيلة من وسائل التدمير البشري إلا استعملتها.

ويبدو أن روسيا قد استنفذت وسائلها في إيقاف هذا السرطان الذي يأكل دماغها، ويشل حياتها -الجهاد الأفغاني -وانتهى مخزون الذخائر الذي تدخره منذ الحرب العالمية الثانية حتى أصبحت تستعمل القذائف التي كتب عليها إنتاج 1985م ولم يعد كبيرا على نفس المسؤولين الروس أن يعلنوا قبولهم للجلوس مع دولة من دول العالم الثالث -باكستان -لحلها تخلصها من ورطتها ، بعد أن كان هذا الأمر أثقل من الجبال على أنفسهم أن يتنازل الروس -كأشرس طاغوت، وأطغى عملاق على الأرض-من عليانهم وكبريانهم فيجلسوا على مائدة المفاوضات مع دولة فقيرة ليست مسجلة في دفاترهم ، وليس لها أي وزن حتى على هامش حياتهم ، بل أخذ سفراؤها في العواصم يتدسسون بل يتوسلون ليلتقوا على انفراد وبخفية عن أعين الناس مع بعض قادة الجهاد الذين يأفون الجلوس مع هؤلاء إلا في وضح النهار، دون تنازل عن شرطهم الأساسي الانسحاب الكلي من أفغانستان قبل البدء بأي حديث آخر:

ولكن مع هذا يجب ألا يغيب عن بالنا قضايا :

1-القضية الأولى: أنهم فقدوا كثيرا من قادتهم: إن أفغانستان فقدت عام 1405 هـ زهرة أبنائها، وخيرة قادتها، وذلك لشراسة المعارك، ولهول اللقاءات والاشتباكات واستشهاد القائد يؤثر كثيرا في سير المعركة ووحدة الصفوف، وكلنا يعلم أثر إشاعة خبر قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد في بليلة الصفوف، وحيرة الصحابة وهزيمتهم، وكما قال الله عز وجل في القرآن:

إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون

(آل عمران:153).

وكلنا يعلم كذلك أثر نبا قتل عبد الرحمن الغافقي قائد معركة بلاط الشهداء (بواتيه) في أواسط أوروبا، في هزيمة المسلمين التي كانت قاصمة في تاريخ الفتح الإسلامي والتي جمدت ارتفاع الخط البياني للفتح، وهصرت غصن المد الإسلامي النامي في أوروبا وإلى يومنا هذا، وحرمت أوروبا من الاستفادة من الحضارة الإسلامية لعدة قرون.

لقد اختلطت يد المنون في هذا العام الأخير سنة 1405 هـ مجموعة من خيرة قادة الجهاد وزهرة بنائه.

لقد استشهد ذبيح الله في بلخ، ونيازي في برون، ومولوي شفيق الله في كابل وغوث الدين في هرات، ود. عبدالولي في لوكر، وعبد الواحد في بغمان، وأحمد جل وفتح الله في خوست/ بكتيا، وخياط في لوكر، وجل آغا في جاجي، ومن القادة الذين استشهدوا: خواجه عصمت الله، ومحمد شريف، وخالو عرب، وقاضي سيد ملا، ومعلم بادشاه جل، واستاذ منور، وسيد باد شاه، وزرخان، وخواجه سفر، وقاري عبد الصمد، ومولوي حبيب الرحمن وخير أفضل، ومولوي عبد الصبور، ورحيم الله، ومولوي طالع محمد، وعبد المتين، وجيلاني هؤلاء كلهم قد استشهدوا في عام واحد تقريبا 1405 هـ بل معظمهم استشهد في آخر شهرين من أشهر الصيف لهذا العام وهذا يؤثر تأثيرا عميقا على الجهاد وبنيته واتجاهه.

فهؤلاء مضى عليهم الآن قرابة سبع سنوات ونيف وهم يتقدمون الصفوف ويلمون الشتات ويجمعون المجاهدين ولقد لمعت اسماءهم واحتلوا مكانتهم في القلوب وأثبتوا وجودهم على أرض الواقع بتوفيق الله وعونه خلال هذه الفترة، وليس من السهل تعويضهم خاصة وأن هؤلاء قد نالوا قسطا لا بأس به من التوجيه والتربية والتعليم ويعز على الإنسان أن يجد لهم نظائر ولما ترى لهم ولو بعد حين بدائل، قال لي أحد الإخوة: هل يربى الأفغان طبقات بديلة من القادة فقلت له: رجل شبه مغمى عليه لشدة الضربات على رأسه ولا يصحو من ضربة حتى تقع عليه غيرها هل تطلب منه التخطيط البعيد؟ هل تريد منه أن ينفرد ليضع منهاجها لأجيال وأمم؟، وقال لي آخر: حبذا لو فعل المجاهدون الأفغان كما فعلت الثورة الفلسطينية أن تقيم مصانع وموارد تدر على الثورة دخلا فيما إذا انقطعت بها السبل وسدت الأبواب.

فقلت له: رجل جائع منذ أيام لم يجد للخبز طعما وجاءه رغبة أفتطلب منه أن يقيم مخزنا كبيرا لحفظ الدقيق؟ فإذا كان أحمد شاه مسعود يطلب من المجاهدين عنده أن يعيش الواحد منهم على حبة من البطاطا كل يوم ولا يستطيع أن يوفر ثمن الدقيق لاثنتين وعشرين جبهة يصل تعداد مجاهديها إلى سبعة آلاف فهل تطلب من هذا أن يقيم موردا ثابتا ودخلا مستمرا لجبهته؟ أم تريد أن تقول كما قالت الملكة انطوانيت زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا للشعب الهائج الذي خرج يحطم سجن الباستيل لشدة الجوع والظلم فتسأل: ما بال هؤلاء ثائرين؟ فقليل لها أنهم لا يجدون الخبز فقالت: لماذا لا يأكلون البسكوت!

القضية الثانية: أنهم يلقون العنت حتى من بعض المسلمين: إن الجهاد الأفغاني الآن يتعرض لحملة تشكيك خطيرة جففت موارده وقللت أصدقاءه، وجعلت الأيدي تنقبض عن الدفع، ففي الوقت الذي يسد فيه العدو ضرباته تثار الشبهات حول المجاهدين الأفغان من أعز أصدقائه الذين يظنون أنهم يخدمون الإسلام ولا يعلمون أنهم يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في مقتلته فهناك الجهود الدائبة المتواصلة لإثارة الفتن التي تنشأ من بعض ضيقي النظر من الشباب المتحمس الذين يرمون معظم الشعب بالشرك والكفر لأجل التمانم والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويصرح البعض أن (القتال في أفغانستان بين المشركين الأفغان والملحدين الروس، ويرد بعض الأفغان أن هؤلاء الفتية يريدون هدم جهادنا وتمزيق وحدتنا. وحبذا لو تربث هؤلاء الشباب ولا نشك في صدق الكثيرين منهم في إطلاق الفتاوى على عواهلها دون تقدير النتائج والآثار البعيدة لما يتفوهون به.

ليت هؤلاء الفتية تركوا الأفغانيين بجراحاتهم وأحزانهم، فما من أفغاني تقريبا إلا وتحس أن وراء تجاعيد وجهه وكسوف جبينه وسهومه قصصا منطمرة في أعماقه تكفيك لعمل مرثاة طويلة. لقد مرت عليه أحداث لو صبت على الجبال لزلزلتها، فإذا فتح لك بعض ما في قلبه ترى كأن أحشاءه تنقطع حزنا ولهفا، وبزفر الزفرة تلو الأخرى حتى تظن أن ضلوعه تنقص وهو يخرج الكلمات، ففي أعماقه كمد تنقض له الجوانح، وتنفطر له المرائر، وفي اغواره هم يذيب لفائف القلوب مما يجعلك تشرق بعبرتك وتخفق بدمعتك وتشجى بغصتك وتغص بريقك. إن قصة من قصصهم ترمض جوانحك أسي، وتضرم أنفاسك حزنا وتمزق أحشاءك غما، وتجعل منك إنسانا يتقلب على الجمر ويتوسد القنات، ويعالج برحاء الهموم. فبدلا من أن تسري عنه همومه وتذهب برحاء صدره تتسلى بتعداد مصائبه ونشر مثالبه، وقديما قالوا: "ويل للشجي من الخلي" أي ويل للمهموم من الفارغ.

القضية الثالثة: إنهم محاصرون عالميا: يتعرض الجهاد الآن إلى مؤامرة عالمية لاحتوائه وقطف ثمراته فهناك المكائد تقوم على قدم وساق فالدول الغربية وعلى رأسها أمريكا تريد أن تقامر على الجهاد الأفغاني وتراهن عليه، وأمريكا منذ بداية الجهاد جذلة مسرورة لأن الجهاد يحطم عدوتها التقليدية روسيا ويستنزف طاقتها ويمتص قوتها وفي نفس الوقت يدمر قوى الشعب المسلم المتعصب!! ولكنها غاصة بريقها بسبب قيادة الجهاد الذين تسميهم (بالمطرئين المتشددين) وتود لو استطاعت أن تجد بديلا للقيادة، دينهم إسلام أمريكي، مرنين متطورين ليس عندهم التزام ولا وجه يثبتون عليه.

القضية الرابعة: إنهم يعانون الهجرة والفقر: إن الجهاد الأفغاني يعيش مشاكل تنأى بحملها الرواسي على رأسها مشكلة الهجرة الاضطرارية نتيجة الهجمات الشرسة والمذابح الجماعية والجهل نتيجة هجرة كثير من العلماء أو استشهادهم والعوز الشديد للطعام واللباس، والفقر ثقل على النفس خاصة على شعب كالشعب الأفغاني الذي لا تلين قناته ولا تعصب سلماته ولا تفرغ صفاته ولا يستباح ذماره يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا..

(البقرة: 273)

فالجهاد الأفغاني الآن بحاجة إلى اليد الحانية التي تواسي جراحاته والنفس الكريمة ذات الهمة الشماء التي تجود حتى بأرواحها فضلا عن مالها والداعية الصادق الذي يذخر نفسه لخدمة أمة وبناء جيل وإنقاذ دين فأين الدعاة الصادقون؟ وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

ولكن الروس لا يعلمون\*

[\*نشرت في مجلة الجهاد -العدد الرابع عشر- ربيع الثاني/ 1406هـ، 13/ديسمبر 1985].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وبعد: فلقد فطر الله النفس البشرية بارادته وصنعها بيده، واقتضت مشيئته سبحانه أن تسير النفس الإنسانية على خط ذي حافتين كالقاطرة فوق السكة الحديدية:

(خط الروح، وخط الجسد)

ولا يمكن للنفس أن تستقيم في سبورها ولا تؤتي أكلها ولا تحقق غايتها إلا إذا صلح هذان الخطان المتوازيان اللذان يكونان النفس وتعطيل أي خط من هذين الخطين إنما هو تعطيل للحياة الإنسانية وقلب لحركتها وفقدان لهدف وجودها.

وقد حاولت الفلسفات الأرضية أن تشغل النفس الإنسانية عن أحد هذين الخطين على انفراد ففشلت فشلا ذريعا، وتحطمت النفس على صخرة فطرتها التي صنعها الله كما يشاء، وكيف يشاء.

لقد حاولت النصرانية أن تعطل خط الجسد لينطلق خط الروح، برهبانيتها وأعلنت شعارها "عذب الجسد لتسمو الروح" وحرمت الزواج على من أراد التبتل لعبادة الله

ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها .

(الحديد: 27)

وأقلت بالآلاف المؤلفة من الشباب والشابات بين جدران الأديرة وفي زوايا الكنائس، وحاولت جاهدة أن تحيي صوت القيم والمثل العليا وتستثير الأشواق العليا بعيدا عن حاجات الجسد، فاستطاعت قلة قليلة أن تنتصر على فطرتها بالكبت والضغط والحرمان والعزم ولكن الكثرة الكاثرة من الرهبان في الأديرة لم يطيقوا أن يعيشوا طويلا بعيدا عن فطرتهم وتغلبت شهوة الجسد في أوقات الضعف الإنساني فسقطوا في الرذيلة وغرقوا في الفاحشة، وتحولت الكنائس إلى بؤرة عفنة للزنا والمباة فذرة للفواحش.

مما أدى إلى ثورة أوروبا على الدين نفسه، واتخذ العلمانيون حياة الرهبان مبررا للتمرد على الكنيسة والفرار من قبضتها الحديدية وقيدها الجبار، ونشرت الثورة البلشفية قصص (راسبوتين) وتعني الكلب القذر بالروسية على الدنيا بأسرها وهي قصص الكاردينال الكبير في روسيا الذي لم تنجو منه واحدة من الأميرات اللواتي وقعن في قبضته من خلال كرسي الاعتراف وخلوات التوبة.

وأرادت أوروبا أن تسيّر النفس على خط الجسد وأهملت خط الروح، فأطلقت العنان لشهواتها، وسخرت بكل شيء روحي، واحتقرت جميع القيم، وأعلنت: (إننا نستطيع العيش على الأرض دون الحاجة إلى الله ولا إلى المبادئ ولا إلى رهبان الكنيسة، نحن نصنع قيمنا بأنفسنا بعيدا عن الله، نحن نصوغ حياتنا وقوانيننا كما نشاء دون حاجة إلى وحي ولا ضرورة للتحذير الكنيسي ولا لتوصيات البابا).

وكان شعار أكبر ثورتين في أوروبا إعلانا عاما بالتمرد على الدين:

1- شعار الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) يعني اقضوا على الملكيات والأديان في أوروبا.

2- وشعار الثورة البلشفية (لا إله والحياة مادة) (الدين أفيون الشعوب).

فماذا جنت أوروبا؟ لقد حصدت الشوك والشقاء، وأثمرت الأمراض العصبية والعقلية والنفسية التي أصبحت سمة عامة للحضارة الأوروبية والأمريكية، لقد كان الناتج رهيبا دمر المجتمعات في أوروبا، ولعلك لست بحاجة أن أنقل إليك الإحصائيات المذهلة التي تدل على أن المجتمع الغربي الآن في حالة من المشاكل المعقدة التي يستعصي حلها على المصلحين من جهابذة البشر، ولا أظنه قد فاتك أخبار أمراض (الإيدز، الهيريس) التي أصبحت شيجا مفرغا يطارد الغرب في يقطته ومنامه.

إن حاجة الإنسان إلى الدين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب كما يقول ابن القيم في زاد المعاد 1/15: (ومن هنا نعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول.. فالضرورة إلى الرسل أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها، فأية ضرورة وحاجة فرضت فضرورة القلب وحاجته إلى الرسل فوقها، بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه طرفة عين فسد قلبك وصار كالصوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة؟).

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (9/39) (فالرسالة ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والعبد مالم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وبناؤه من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات).

والشاهد على ما نقول: تجربة الثورة الشيوعية (البلشفية).

لقد حاولت روسيا أن تنتزع الدين من أعماق الشعوب الإسلامية، وحاولت أن تنشئ جيلا متمردا على الله، ملحدا كافرين بكل القيم، ولكن محاولتها كلها تحطمت على صخرة الفطرة الإنسانية، ورأينا مصداق هذا في أفغانستان.

إن الجندي الذي جاء مع الجيش الروسي من المقاطعات الإسلامية تاجكستان وأوزبكستان عندما رأى المصاحف مع الشعب الأفغاني صار يدفع إليهم سلاحه ويأخذ المصحف بيده.

وإليك القصة التالية التي دارت أحداثها قبل شهر في قندز لقد جرت الأحداث في (دشت آب دان) أي (حوض الماء السهل) (ودشت آب دان) هذه إحدى أربع قواعد كبرى في أفغانستان.

وقاعدة دشت آب دان، فيها ثلاث فرق عسكرية للروس لا يدخلها شيوعي أفغاني أقام بعض الجنود في الجيش الروسي من التاجك المسلمين علاقة مع المجاهدين الأفغان، وكان الروس اطلعوا على هذه العلاقة فأعدمو مسلما برتبة لواء من التاجك، فظن التاجك أن ساعة الانتقام من الروس قد حانت، فاتفقوا على تقجير القاعدة بأكملها وتبرع أحدهم أن يفجر مخازن المتفجرات بنفسه!!

فدخل شاب من التاجك وأشعل الفتيل في مخازن المتفجرات وبدأت أصوات القذائف تدوي في كل مكان، وأصبحت الشظايا المتناثرة تصل إلى مسافات بعيدة، مما أدى إلى تدمير فرقتين بالكامل وفرت الفرقة الثالثة وسقط 560 قتيلًا من الروس وجرح أكثر من ألف، واحترقت القاعدة بأكملها وتحولت القاعدة إلى أكوام من الرماد تخفي بينها قطع من الآليات المحترقة التي دمرت ووصل عددها إلى حوالي ثلاثمائة تقريبا.

ودارت معركة بين التاجك وبين الروس سقط حوالي ثمانين شهيدا من التاجك. فهل يتعظ الروس ويصدقون أن الدين فطرة الله؟ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ..

(الروم: 30)

ولكن الروس لا يعلمون!!

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

اليوم أفغانستان وغدا عربستان\*

[\*نشرت في مجلة الجهاد - العدد الخامس عشر - 1 جمادي الأولى/ 1406 يناير/ 1986م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.. وبعد:

فلقد حدثنا التاريخ أنه على أثر دخول الشيوعية الحمراء بخارى وسمرقند وطشقند وبعد أن هدمت عشرات الألوف من المساجد وحولت إلى مكاتب للحزب الشيوعي ومخازن الحبوب وبعد أن ماتت الألوف المؤلفة بل الملايين جوعا حتى أكلوا جثث الموتى من أبنائهم وإخوانهم الذين توفوا قبلهم، بعد هذا كله نشأت حركة مقاومة في طشقند وسمرقند وبخارى وتركستان الغربية تسمى حركة (الباسمشي) وكان من أبرز المجاهدين في هذه الحركة -رجل من سمرقند يسمى (إبراهيم بك) ودخل إبراهيم بك أفغانستان وبدأ ينتقل بين تخار وقندز وأخيرا استقر إبراهيم بك في (عنبر كوه) جبل في مركز تخار وكان حول إبراهيم 400 فارس وكم عانى الروس في معاركهم معهم وكانوا يجيدون الفروسية فكانوا يختبئون تحت إبط الخيل فكانت الخيل تبدو للجيش الروسي وكأنها سائبة دون فوارس يمتطون صهوة هذه الخيول حتى إذا اقتربت الخيول من الجيش الروسي دون أن يعيروها اهتمامهم إذ بهؤلاء الفرسان يبرزون فجأة فوق هذه الخيول كأن أحدهم مارد من الجن المؤمن انشقت الأرض وألقت هؤلاء وتخلت.

وكتب ستالين إلى أمان الله ملك أفغانستان بشأن هؤلاء الذين يستقرون في أفغانستان ويخترقون نهر جيحون (درياي أمو) ويعملون عملياتهم الجهادية ثم يعودون لمستقرهم، وهدد ستالين باجتياح أفغانستان فخاف أمان الله وأراد تسليم إبراهيم وأصحابه إلا أن القدر عاجل أمان الله بثورة شعبية عارمة على إثر إصراره إدخال السفور والفساد وبعد أن أقنعه مصطفى كمال أتاتورك بإدخال الحضارة الغربية المادية (مفاسدها الخلقية والتحلل من ريقة الإسلام) فأطاحت هذه الثورة الشعبية بأمان الله، وجاء بنادر شاه والد ظاهر شاه ونفذ ما طلبه ستالين، دعت الحكومة إبراهيم بك إلى حفلة طعام فذهب إليها مع فرسانه وهو مطمئن إلا أنه بقي اثنان من حرسه متأهبين

وعندما وصلوا مكان الحفلة وإذا بالحفلة ليست طعاما وإنما هي مصيدة للقبض عليهم ونجا إبراهيم ولكن حكومة أفغانستان طلبت من إبراهيم أن يغادر البلد وقال كلمته المشهورة التي أصبحت مثلا ، قال: اليوم بخارى وغدا أفغانستان.

وحدث ما قال إبراهيم فدخلت الشيوعية أفغانستان بعد أربعين سنة وعبرت دبابات تي54، تي55 نهر جيحون وارتفع العلم الأحمر البلشفي فوق كابل/عبد الرحمن بن سمره.

ونحن نقول: اليوم أفغانستان وغدا عربستان.

أما بالنسبة لإبراهيم فإنه عبر النهر بعد كلمته التاريخية، ودخل في معارك مع الروس وجرح إبراهيم في إحدى المعارك وأمسك به الروس ثم استشهد فطاف به الروس في كل قرية يبشرون الناس الذين أقض إبراهيم مضاجعهم وأرق أجفانهم حتى تهدأ نفوسهم وترتاح أعصابهم وتطمئن قلوبهم، ومضى بعض أتباعه يواصلون طريقهم ويصرون على جهادهم منهم محذوم فضيل، ومحذوم دويلار، واستمرت المقاومة الجهادية أواسط الخمسينات ثم اختفت نهائيا .

اليوم روسيا في أفغانستان تشن حربا لا تأكل إلا البشر وهي لا تبقى ولا تذر ودفع الشعب الأفغاني من التضحيات مالم يدفعه شعب آخر فقد قدم حوالي مليون ونصف مليون شهيد .

ولا أظن بيتا في أفغانستان خلا من يتيم أو أرملة أو معوق فهذا طارت عينه وذاك يده وهذه طفلة قد حرق وجهها بالنابالم.

لقد وضع ابني الصغير يده في إبريق شاي ساخن فارتبك البيت كله واضطرب اطمئناته فترة نيفت عن الشهر والشهرين فقلت لهم مذكروا أفغانستان وأطفالها تذكروا بيوتها المدمرة وأطفالها المشوهة تذكروا أنات التكالى، وزفرات الأياى، وحسرات اليتامى تذكروا هذا وعندها تستحيون من أنفسكم أن تذكروا يد طفلنا الصغير هذا.

اليوم أفغانستان تواجه مصيرها وحدها بأيد عزلاء وصدور عارية يشمون فوق الثلوج خفاة حتى سقطت أصابعهم ويتسلقون الجبال عراة إلا م ن أسمال بالية وأخلاق فانية رقيقة تغطي عورتهم، وقد حدثني هذا الصباح شاب عائد من أرض المعركة في "كونر" أن سبعة من المجاهدين قد ماتوا ومرض آخرون بسبب الثلوج والبرد والصقيع.

لقد صرخنا في كل مكان ونادينا بأعلى أصواتنا نحن نريد فقط ثمن الخبز للمجاهدين.

وبعملية حسابية بسيطة كل مجاهد يحتاج ثلاثة أرغفة يوميا ثمنها ثلاث روبيات باكستانية فإذا كان هنالك نصف مليون مسلح في داخل أفغانستان فهذا يعني أننا نحتاج مليون ونصف من الروبيات ثمننا للخبز يوميا ، وهذا يعني أننا نحتاج في الشهر الواحد 54 مليوناً من الروبيات ثمننا للخبز (أي ما يعادل ثلاثة ملايين دولار شهريا ) فهل تقدم الشعوب المسلمة ثمن الخبز ؟

لقد قلنا أن هنالك 23 منظمة صليبية تعمل في بيشاور، وليس فيها إلا منظمة رسمية عربية إسلامية واحدة وهي الهلال الأحمر السعودي، وثلاث منظمات شعبية أخرى (الهلال الأحمر الكويتي، والإغاثة الإسلامية الأفريقية، ولجنة الدعوة التابعة لجمعية الإصلاح).

طالما نادينا حتى بحت أصواتنا أن الأمريكان والسويديين والفرنسيين والبلجيكيين والألمان كلهم دخلوا أفغانستان باسم الطب والزراعة والتعليم، فهل دخل طبيب واحد محتسبا في جبهات أفغانستان؟ نعم لقد دخل طبيب عربي واحد، لقد قلنا: نريد مختصين في جراحة العظام والجراحة العامة فهل يصدق أحد أنه لم يصلنا حتى الآن طبيب ماهر واحد مختص في العظام والجراحة من كل بلاد العرب؟.

لقد بحت أصواتنا ونحن نقول: إن روسيا تأخذ كل سنة 25 ألف طفل من أطفال أفغانستان لتربيتهم على الشيوعية وترجعهم جنودا مخلصين للكرملين يتولون بأنفسهم دك معقل الإسلام ومطاردته في كل مكان .

لقد قلنا أن الكنائس العالمية تتسابق في بيشاور على تعليم أبناء الأفغان حتى أن ممثل الكنيسة الكاثوليكية يدير بنفسه 120 مدرسة في بيشاور، ويتولى بنفسه توجيهها وهو منذ أشهر يأكل ويشرب وينام في مكتبه.

وقد صرحنا وقلنا وخطبنا وحاضرنا عن هرات وبادغيس التي أصيبت بالقحط بعد هدم سدودها التي تروي المزارع، وأن أهلها قد عضهم الفقر بنابه وجاءتنا رسالة من القائد العام هناك-محمد اسماعيل-أنهم باعوا البسة نساءهم من أجل شراء طعام المجاهدين.

وجاءنا أهل بادغيس وقالوا: إما أن تؤمنوا الخبز أو نضطر لترك البلاد والهجرة.

ونادى أحمد شاه مسعود مهيبا بالمجاهدين أن يكتفوا بحبة من البطاطا يوميا .

وأخيرا لقد حذرنا أصحاب الجزيرة العربية أنه إن سقط الجهاد الأفغاني (لا قدر الله) فإن بلوشستان مفتوحة إذ أن الشيوعية ضاربة بجذورها العميقة في قبائل البكتي ومري وأن زعماءهم: غوث بزنجو، وعطاء الله منجل، ورحيم هؤلاء ينادون بفتح الطريق أمام جيوش الروس لتصل المياه الدافئة، وأن رحيم أزداد الشاعر البلوشي قد أقام مهرجانا في نقابة المحامين في كراتشي يوم 28/4/85 في ذكرى انقلاب تراقي الشيوعي في أفغانستان في 27/4/87.

ونبهنا أن المسافة بين بلد عطاء الله منجل "نوشكي" وبين جواهر الميناء الباكستاني على بحر العرب لا يزيد عن 400 كم فلا تحمل الدبابات أكثر من 7 ساعات.

ووضحنا أن منظمة الطلبة البلوشية (بي، اس، أو) في 27/12/1984 ذكرى الغزو الروسي قد رفعت الأعلام فوق جامعة بلوشستان وأنزلت أعلام باكستان.

فليتنبه العرب والمسلمون وإلا:

فإن اليوم أفغانستان وغدا عربستان

كما قال إبراهيم بك: (اليوم بخارى وغدا أفغانستان).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

بوابة المجد\*

[نشرت في مجلة الجهاد -العدد السادس عشر - [جمادي الآخرة 1406هـ، 1/فبراير/1986م].

إن الحمد لله حمدته ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا وبعد: فلقد شأنت إرادة الله أن تحيا الأمم بالنماذج الفذة، وأن تبني الأمجاد بالقلم السماء، وأن تنصر المبادئ بتضحيات الأفراد الأفاضل، هؤلاء الأفراد يكونون غرباء في مجتمعاتهم ولكن المجتمعات بهم تحفظ وبهم وبأمثالهم تنصر وترزق..

هؤلاء الأذكاء لأنهم عرفوا طريقهم إلى الله وإن كان غيرهم يرثي لحالهم ويسخر من تفكيرهم، هم السادة وإن كان أهل الدنيا المحرومون من لذة العيش الحق يردون هؤلاء عن أبوابهم، ويدفعونهم من مجالسهم.

هم القادة لأنهم يملكون نياط القلوب ويأسرون الأفئدة بحبيهم.

وقادة الدنيا هم المنبوذون حقا لأنهم كما قالت أم هارون الرشيد عندما رأت الآلاف المؤلفة تجتمع حول رجل فقالت: من هذا؟ قالوا: هذا عبد الله بن المبارك عالم خراسان فقالت: هؤلاء هم الملوك وليس أمثال هارون الذي لا يستقبل الناس إلا بجنود وشرط. هم الملوك كما قال ابن المبارك عندما سئل من الملوك؟ قال: هم الزهاد، فقيل له: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم فقيل له: فمن سفلة السفلة؟ قال: هم الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم. هم الذين يخطون تاريخ الأمم: لأن تاريخ الأمم لا يخط إلا بالعرق والدم. هم الذين يبنون صرح المجد: لأن صروح المجد لا تبنى إلا بالجماع والأشلاء. هم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تصمحل أو تنوي لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء. هم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء: لأن بذكرهم تحيا القلوب وإذا رؤوا ذكر الله. وفوق هذا كله جنة عرضها السموات والأرض تنتظرهم، وحرور تشناق للقائهم وتتحرق للقرب منهم. هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله يأتون في المرتبة بعد النبيين والصديقين، بل تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهادة في سبيل الله.

ففي الصحيحين (1):

(والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل).

وفي الصحيحين (2):

(لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها).

وفي البخاري (3):

(طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماء، إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقية كان في الساقية، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

وتلاحظ العبارة النبوية الكريمة إن كان في الحراسة كان في الحراسة: أي حيثما أقامه الأمير أقام وحيث أمره أن يبقى لزم مكانه وصبر. والأحاديث في فضل المجاهد كثيرة لا نستطيع أن نلم بها في هذه العجالة وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خير الناس (ألا أخبركم بخير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ألا أخبركم بالذي يتلوه رجل معتزل في غنيمته له يؤدي حق الله تعالى فيها ألا أخبركم بشر الناس رجل يسأل بالله ولا يعطى به) رواه مالك والترمذي والنسائي (4).

هؤلاء يقتلون لتحيا أممهم ويحيون هم أنفسهم هؤلاء عشاق الموت لتوهب لهم الحياة وكما قال المغيرة: أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه

(من قتل منا صار إلى الجنة، فلنحن أحب في الموت منكم في الحياة)

أخرجه البخاري تعليقا (5).

هؤلاء يبحثون عن الموت وكما قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم (6):

(من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على منته كلما سمع هيعة أو فرعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه).

ولتلاحظ معي: ممسك بعنان فرسه فهو لا يرخي العنان كناية عن تمام استعداده.

يطير على منته: فهو في سرعة استجابته كالطير لا يركض ولا يسرع فقط بل يطير طيارا.

كلما سمع هيعة: أي فرعة ترعب الأمة وترهبها فهو يفرع ويسرع ويهرع من أجل أمن الأمة واطمئنانها.

يبتغي القتل مظانه: أي حيثما ظن مكان الموت أسرع إليه ومضى مسرعا يطلب الموت.

ومن هؤلاء-إن شاء الله-شهداءنا الذين مضوا بعد أن بلغوا أمتهم ومجتمعهم وأسره وأجبتهم بالدم لا بالمداد، أن المبادئ أثمن من الحياة وأن العقائد أعلى من الأجساد وأن القيم أعظم من الأرواح.

ورأيت معظم الشهداء الذين عشت معهم تجمعهم صفات على رأسها:

1-حفظ اللسان عن المسلمين.

2-سلامة الصدر على المسلمين.

3-العمل بصمت والبعد عن ضجيج الإعلام.

4-طاعة الأمير-إن كان في الساقية فهو في الساقية.

5-قلة النقاش فيما يوجهون إليه.

6-الحياء الجم والأدب الرفيع والاحترام الشديد للعلماء والكبار والمسؤولين.

7-الحرص الشديد على البقاء في داخل الجبهة والنفور من جو الراحة والدعة والاستقرار.

8-ألسنتهم لا تلهج إلا بذكر محاسن المسلمين ولا يرون للجبهات ولا للمجاهدين إلا فضلا عليهم، ويرون أنفسهم صغارا بجانب هؤلاء الذين صمدوا صمودا تنوء به الراسيات، ورحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده.

من هؤلاء عرفت:

1-أبا حمزة (ماهر شليك) عمل بصمت وبأدب رفيع وحياء وأحب الأفغان وأحبوه فاختره الله شهيدا بينهم.

2-أبو عثمان (عبد الله الفيلاوي) لا يعرف النقاش، سألتني سؤالا واحدا ما عقب عليه ما رأيك أذهب أم أبقى فأشرت عليه بالذهاب فلم يلفظ ببنت شفة ومضى في رحلته وإلى الأبد.

3-بحيي كان فرحا بما يوكل إليه من أعمال، سعيدا بتنفيذ الأوامر مع سلامة صدر ومرح برئى ومزاح مؤدب فاختره الله.

4-أما شهيدنا اليوم فهو عبد الوهاب بن عبد الله بن سعيد.

هجر الدنيا وعاف المقام بين أعطاف النعيم، استقال من وظيفته وهو من أسرة ذات منزلة اجتماعية وثراء لا بأس به، أدبه رفيع حتى بت أتساءل: كيف يربى هؤلاء؟

من أين لهم هذا الحياء الجم؟ كيف نال هؤلاء هذه الدرجة من الحرص على الجهاد والطاعة والانضباط مع الأدب والتنفيذ والعمل؟ قابلته منذ عام فقال: علمت أن الجهاد فرض عين فنفرت في سبيل الله لا إذن لأحد علي وقد حسمت القضية في قلبي وذهن.

كان يتحرق على المسلمين ويتأرق لمصائبهم، لقد أقض انتهاك الحرمات جنبه فجافى مضجعه وأقبل بكله ونفسه وقلبه على الجهاد.

طلب الموت مظانه: من جاجي-بكيتا-الوجر-كونر-ننجرهار-أو-أخيرا كان اللقاء مع الشهادة في شلمان على أرض ننجرهار.

صامت لو تكلمنا لفظ النار والدماء قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما

5-وأما عبد الصمد مفتاح: فهو من هذه النماذج: أدب، وصمت، وعمل، لا يعرف الكلام، طاعة لا يخالطها نقاش، تصميم لا يمازجه تلثم ولا تردد كان لسان حاله يقول:  
 إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا  
 سألني في الصيف ما حكم الجهاد؟ قلت: فرض عين فقال: إذن نزول بلا رحيل هنا طاب المقام فالحياتة حياتكم والممات مماتكم. وهو وحيد أمه ولقد ذرفت عيني عندما اطلعت على رسالتها بالأمس وهي تتناشده بخنائها وعطفها وفؤادها وأعصابها تتناشده الرحم أن يرجع وأن لا يدعها تموت شوقا إليه وجوى عليه.  
 وفي شلمان جرح وفي ورسك ثوى في مرقد الهاديء، بجانب الشهداء حوله حتى بيعت معهم-إن شاء الله-يوم القيامة وأما الشهيد الثالث فنكف عن الكلام عنه وإن كان في النفس كلام كثير أتحرق لذكره لأنه نموذج فذ ما تفتحت عينا على شاب ممن مضوا على هذا الطريق مثله.  
 نكف عن الكلام عنه لأنه أوحى أن لا يشار إليه بتصريح ولا تلميح فاحتراما لوصيته نمسك ألسنتنا وأخيرا حق لنا أن نقول: (هذا شلمان جبل نحيه ويحبنا).  
 وفي النفس حاجات وفيك فطانة.  
 ونرجو الله أن يجمعنا بهم في الجنة.  
 وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

- 1-فتح الباري / ج 6/ باب 7/ برقم ( 2797 ) شرح النووي / ج 13 / ص 19 وهو قطعة من الحديث طويل.
- 2 -الحديث متفق عليه فتح الباري/ ج6/ باب 37/ برقم ( 2892 ) وهذه قطعة من الحديث شرح النووي/ ج 13/ ص 26
- 3 - فتح الباري / ج 6 / باب 70 / برقم ( 2887 ) /وهو قطعة من حديث عن أبي هريرة
- 4- عند الترمذي برقم ( 1652 )
- 5 -فتح الباري / ج 6 / باب 22 / بعنوان: الجنة تحت ظلال السيوف . وهو عن المغيرة بن شعبة
- 6 -شرح النووي / ج 13 / ص 24- وهو قطعة من حديث عن أبي هريرة

#### القبائل والجهاد\*

[\*نشرت في مجلة الجهاد -العدد السابع عشر- 1/ رجب 1406 هـ 11/مارس 1986م].  
 إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد:  
 فإن كثيرا من الناس يتوجسون خيفة من مغبة اتصال روسيا بالقبائل التي تشكل حزاما أمنيا لأفغانستان وعلى طول خط ديوراند الذي يبلغ حوالي 2250كم من الناحية الشرقية الجنوبية لأفغانستان، وكثير من المتشائمين يرون أن هذه القبائل ستسد الطريق في المستقبل على المجاهدين مما يؤدي إلى خنق الجهاد والحد من حركة المجاهدين عبر حدود باكستان ولكن هذا الظن بعيد الوقوع-والله أعلم-إن لم يكن ضريبا من الخيال وذلك لأسباب على رأسها:  
 1-إن هذه القبائل هي من العرق البشتوني الذي ينتمي إليه حوالي 60% من القبائل الأفغانية، ولقد وصل الأمر بدادو خان وعلى مدى فترة طويلة أن يقتنع هذه القبائل أنها جزء لا يتجزأ عن أفغانستان واستطاع من خلال أجهزة البث أن يشعرها بقوميتها وعصبيتها ويفهمها أنها جزء من أفغانستان سلخه أعداء الأمة-وهم الإنجليز-وسلموه إلى باكستان ليمزقوا الأمة البشتونية ولذا قامت مشكلة بين باكستان وأفغانستان وتآزمت وسميت هذه القضية بقضية (بشتونستان) وكانت روسيا توجب هذه العصبية مما أدى إلى إغلاق الحدود بين باكستان وأفغانستان سنة 3691 ولم تفتح الحدود إلا بعد أن أقال الملك ظاهر شاه رئيس وزرائه-محمد داود-عاد داود بعد أن اعتلى رئاسة الجمهورية سنة 1973 يطالب بهذه المنطقة ويعلن في كل مجال أن أرض البشتون لابد أن تتوحد وتصبح قطعة واحدة وأن تخضع لسلطة واحدة ولا زالت صور محمد داود حتى الآن معلقة في كثير من الحوانيت والشوارع العامة في هذه المنطقة.  
 وليس من السهل أن تبيع هذه القبائل أرحامها بثمان العنز بل إنه يستبعد أن تساو على دماء بني عمومته وأعراض نسايم بثمان بخس دراهم معدودة فإن لوشائج الدم وصلات القرابة أثرا كبيرا في الحياة القبلية التي قال عنها قديما دريد بن الصمة:  
 وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد  
 2-الأصالة التي لا زالت القبائل تتمتع بها، فلم تقسد فطرتهم ولم تهن عليهم كرامتهم ولم تلن قناتهم وطابعها العام الكرم والشجاعة والنخوة والمروءة ولا زالت خامتها نظيفة وأخلاقها سليمة مع الحاجة إلى تهذيب وتوجيه.  
 لقد حاولت بريطانيا في بداية القرن العشرين أن تبسط سلطتها على هذه القبائل فجاءت وعسكرت في منطقة ميدان وسط قبائل الافريدي وبقيت ستة أشهر فقامت عليها القبائل وخاضت معها معارك عنيفة انتهت بالهزيمة الساحقة للكراء لبريطانيا ولاحققتها القبائل حتى منطقة درا قرب بيشاور وأغرقت الأرض بالمياه حتى تغوص سياراتها بالطين مما دفع بالجنود الإنجليز أن يتركوا سياراتهم الغارقة في الوحل وينجوا بأنفسهم.  
 3-لا زال الطابع العام لهذه القبائل هو التدين الفطري دون المعرفة الصحيحة لتعاليم هذا الدين ولا يمكن لهذه القبائل أن تتفق مع روسيا التي تدرك إلحادها وأنها تحارب الأديان جميعا .  
 4-لقد شهدت بنفسها الحفاوة البالغة التي تستقبل بها هذه القبائل المجاهدين على امتداد الطريق من لاندكوتل حتى نجرهار/ ماري إذ أن بيوت قرى القبائل تعتبر مضافات للمجاهدين وقلما تمر ليلة دون أن يبيت في البيت الواحد مجموعة من المجاهدين ولا يقدمون للمجاهدين إلا اللحم المشوي!.  
 لقد بنتا ليلتين على الطريق إلى نجرهار أولا هما في قرية زير/منطقة بزار وقد تقاسما أهل القرية وكنا نيفا ومائتي رجل، وبت مع قرابة خمسة وعشرين رجلا في بيت واحد فسألت القائد الذي يرافقتي أتعطون هذه القبائل شيئا من المال أو الهدايا قال: لا وإنما هذه سجي تهم وعادتهم.  
 وفي الليلة الثانية دخلنا بيتا للمنام فيه، فسألت عن هذه الدار فقالوا للحاج مانج هذا الرجل الذي جاء، مستقبلا على مسافة تبعد عن بيته ساعات، وهذه الجبال المحيطة ببيته مع غاباتها له ولا يسمح لأحد أن يحل فيها أو أن يقطع خشبها سوى للمهاجرين والمجاهدين الأفغان والحاج مانج من زعماء عشيرة زخاخيل من قبائل الأفريدي وهو يشارك في الجهاد إذا حصل هجوم من قبل الروس.  
 وقد شربنا الشاي في أحد البيوت فسألت: من صاحب البيت؟ فقالوا هذا الرجل مير سهند وقد أوى خمسين عائلة مهاجرة وهو يقول: سأقاتل روسيا ولو وحدي!!

وفي إبانها من ننجرها أقامت لنا عشيرة زخا خيل غداء حافلا دعت رجالاتها وأجلست حكمتيار على كرسي وألبسته عمامة وضعها الشيخ سليمان والحاج مالنح بيديهما على رأس حكمتيار وأطلقوا عليه لقب ملك أفريدي.

فاين الصلة بروسيا؟ وأين رجال القبائل الذين يعارضون الجهاد كما يحلو لإذاعة بريطانيا وغيرها أن تضخم الأحداث الصغيرة وتجعل منها قاعدة ثابتة لرجال القبائل؟! ويظن بعض الناس وهو يقرأ الصحف التي تشرف عليها العقول الغربية أو اليسارية أن القبائل تحمل أسلحتها وتسد الطريق على المجاهدين!

5- تحيط بأفغانستان خمس قبائل كبرى أكبرها قبائل وزير ومن زعمائها نياز علي خان ويطلق عليه الناس أمير المجاهدين لكثرة تعاونه مع المجاهدين.

وهناك قبائل مسعود وقبائل سالارزاي وقبائل مهمند وقبائل الأفريدي.

وقبائل الأفريدي الممتدة في منطقة خيبر ويقع فيها ممر خيبر الشهير وهي تقع بين بيشاور ونجراهار وهي التي مررنا بها وزعيمها الحاج نادر خان وقبائل الأفريدي ثمانية عشائر هي:

- 1- ملك زخا خيل: وزعيمها الحاج فضل الحق.
- 2- ملك دين خيل: وزعيمها حضرة خان.
- 3- قمر خيل: وزعيمها الحاج خان زادة.
- 4- قمبر خيل: وزعيمها الحاج عبد الغفور.
- 5- كوكي خيل: وزعيمها الحاج عبد الله باز.
- 6- سي باي: وزعيمها الحاج وارث خان.
- 7- آكوخيل: وزعيمها الحاج أرباب خان.
- 8- آدم خيل: وزعيمها الحاج عجب خان.

وهؤلاء جميعا يعادون الشيوعية عدا ولي خان كوكي خيل، ويتنافس على زعامة كوكي خيل ولي خان والحاج عبد الله باز، ويطمع ولي خان كوكي خيل في زعامة عشائر الأفريدي بكاملها وعندما تولى الحاج نادر خان زعامة الأفريدي نقم عليه هذا وحاول أن يظهر نفسه فذهب إلى كابل وأحضر كمية من الأسلحة خاصة بندقية (16م) التي غنمها الشيوعيون في فيتنام من أمريكا ويقال أنه أحضر 3-6 آلاف بندقية فغضب زعماء عشائر الأفريدي على ولي خان وعقدوا اجتماعا لمجلس زعماء عشائر الأفريدي ويسمونه (أعلى حركة: أي المجلس الأعلى) وتكلم الحاج مراد ابن أخ ولي خان كوكي خيل وبدأ يحذر من الشيوعية ويقول: إن لم ننتبه فإن هؤلاء الكفار قادمون.

وبدأ يشرح عن المصائب التي تحدثها روسيا في أفغانستان فقام عمه ولي خان كوكي خيل ووضع يده على فمه ولشدة الوجد والغم سقط مراد خان ميتا في نفس المجلس!!

وعاتب زعماء العشائر ولي خان كوكي خيل على إقدامه على التعاون مع روسيا الملحدة الكافرة فقال: أنا أردت أن أحفظ لكم حريتكم حتى لا تضع باكستان يدها علينا، فعارضه جميع الحاضرين معارضة شديدة وأخيرا جمعوا الناس الذين استلموا السلاح واستتابوهم، في المسجد وجمعوا السلاح الأمريكي الذي وزعه ولي خان.

وأصبح حمل هذه البندقية معرة على كل من يحملها، وصار الناس يرد دون كل من حمل هذه البندقية فقد باع زوجته وأخذها!

ولذا وباختصار فليس من السهل على روسيا أن تشتري هذه القبائل ولا أن توجهها ضد أبناء عمومته مهما أنفقت من أموال ومهما بذلت من جهود وصدق الله تعالى:

إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسيفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون (الأنفال:36).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

الآن حمي الوطيس\*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد السابع عشر - 15 رمضان 1406 هـ، 23 مايو 1986 م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. وبعد:

يروى الإمام مسلم في باب غزوة حنين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال شهدت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يركض بغلته قبل الكفار قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أي عباس: ناد أصحاب السمرة -وهم أصحاب الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان- فقال عب اس وكان رجلا صي تا فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب الس مرة قال فوالله لكان عطفتهم -أي رجوعهم- حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يالبيك يالبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يامعشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يابني الحارث بن الخزرج فأنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا حين حمي الوطيس- أي التنور أو الضرب في الحرب- ثم أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حصيات فرمى وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حد هم قليلا -أي قوتهم ضعيفة- وأمرهم مدبرا .

وفي رواية لمسلم:

(ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال شأهت الوجوه -أي قبحت- فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة) (1).

وما أجمل هذه اللفظة البديعة التي لم تسمع من أحد قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- (الآن حمي الوطيس) لقد اشتد الوغى وشممت الحرب عن ساق ودارت رحى الموت تطحن البشر وتبتلع الأناسي .

لقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه العبارة والناس قد انفضوا من حوله وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت كما جاء في النظم الرباني الكريم ولم يبق كنفه سوى افاذ من الرجال وتلفت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلت الساحة من فرسان الميدان فلم ير بدا من الإعلان عن نفسه فأخذ يرجز

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لقد كان حبيب براح - أي كانه لثباته شد بالحبال- أشجع من أسود ببشة، فما كانت قتاته -صلى الله عليه وسلم- تلين لغامز ولا يستباح ذماره.

ومن تراه ينادي في هذه الساعة العصبية سوى الذين بايعوه قبل ثلاثة أعوام وعلى مشارف الحرم في الحديبية أن لا يفروا؟ سوى أولئك الذين تبوأوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم، سوى أولئك القادة الذين قالوا له منذ اللحظة الأولى ليلة العقبة: ربح البيع لا نفيل ولا نستفيل، وفي هذه القيسة من هذه الغزوة معجزتان نبويتان أولاهما أنه أخذ حفنة من تراب فلأنت عيون القوم جميعا ، والثانية أنه قال: انهزموا ورب محمد في الوقت الذي لم يكن حوله حوالي مائة رجل.

أتذكر هذه القصة من السيرة الشريفة وأنا أرى الحرب الضروس التي تدور رحاها الآن في أفغانستان وخاصة على الحدود والروس قد استماتوا ليسدوا منفذا من منافذ المجاهدين على الحدود، لقد شهدت في الشهر الماضي آثار معركة ضارية استمرت حوالي اثنين وأربعين يوما في (نازيان/شنوار/ننجرهار) وهل بإمكانك يا أخي أن تتخيل معركة على موقع واحد فيها روسيا بأساطيلها الجوية والبرية ولا تدع شيئا من المبيدات الإنسانية من قذائف أو صواريخ أو راجمات أو مدافع.

ودعك عن طائرات الميج والسوخوي -المقاتلة- والهليكوبتر المصفحة التي لا يؤثر فيها الرصاص، ويقابل هذا كله مجاهدون قد يعوزهم الطعام ولا يستغرب أن يرى فيهم الحفاة، أيديهم فارغة إلا من الرفع بالدعاء، ولا يملكون شيئا سوى إيمانهم وثقتهم بالله وينفض المجاهدون وقد قل- ت الذخيرة وكفهر الجو واشتدت الأزمة ولم تبق سوى مجموعة قليلة محتسبة يردد لسان حالها: صبور ولو لم تبق في بقية شديد على الأعداء غضب لسانيا

وما كان قولهم إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين -آل عمران:147-

وفتح الله على هذه الحفنة القليلة ونصرها نصرا مؤزرا .

وشهدت في الأسبوع الماضي معركة في جور/ بكتيا معركة استمرت قرابة شهر ابتدأت بعملية إنزال أربعمئة من رجال الكوماندوز أنزلتهم بطائرات الهليكوبتر، والحمد لله لم ينج واحد من هذه المجموعة إلا أصابه القتل أو الأسر لقد رأيت الطيارين والضباط في أيديهم الأغلال مصفدين وكان عند الشيخ جلال الدين قرابة مائة وعشرين من هؤلاء الأسرى.

وهنا جن جنون الشيوعية وبدأت الطائرات تقصف بقذائفها وحممها فانهار الجبل على المجاهدين في كهوفهم، قذائف وزنها خمسمئة أو ألف كغم ولشدة تأثيرها تخرج النبع من الأرض فيقل مفعول خرابها واتلافها ولذا صارت روسيا تنزلها بالمظلات حتى لا تتعمق في الأرض كثيرا .

لقد كان أبو الحسن أحد اخواننا في إحدى هذه الكهوف إذ هب لنجدة إخوانه بتقديم الغذاء والمساعدة فجاءت القذيفة وأهالت الجبل كثيبا مهيبا ، وأغلق باب الكهف ثلاثة أرباع الساعة، وأصبح الذين في داخل الكهف يعدون الدقائق التي يودعون بها الحياة خنقا ، ثم جاءت رحمة الله وألقت الطائرات قذيفتها الأخيرة لتفتح لهم كوة في جانب الكهف فيخرجون منها وألقت الطائرة قذيفة بجانب القائد البطل العالم جلال الدين فيحمله هواؤها ثم يسقط على النيران الملتهبة حيث لم يستطع حراكا فهرع إليه ضابطان من مساعديه ويجرانه من السعير المنطفي فينقذانه من موت محقق فجاءت قذيفة أخرى لتقتل أحدهما وتجرح الآخر ، وأما الشيخ جلال الدين فيحمل لتعالج حروقه التي أصابت رقبته وجانبه ويرفض أن يبعد عن أرض المعركة فأقام في بيته القريب يدير المعركة عن كئيب وأناب أخاه الذي شاركه الطريق منذ الأيام الأولى للجهاد قبل عشر سنوات وهو مولوي أرسلان.

حدثني أبو داود قال: كنت على مضاد الطائرات ZK/1 فجاء صاروخ فحمل هواؤه من كان بجانبني وجرح الآخر وطفقت أبحث عن حملة الصاروخ فلم أعر له على أثر وأخيرا وجدته فناديتيه فشخص ببصره وأسلم الروح. وحدثني أبو عبيدة: قال لقد أثرت القذائف التي لا تتوقف بأصواتها المدوية على أذان وعقول بعض الإخوة حتى إنني حملت جريحا يهذي قد ارتج دماغه لكثرة الضرب فسألني هل أنا حي أم ميت؟

ولقد صرح العسكريون الباكستانيون الذين يشهدون المعركة على الحدود أن القصف الذي صب على معسكر "جور" الصغير هذا لم تشهده القارة الهندية طيلة تاريخها ولم يحصل في الحروب الهندية الباكستانية مثل هذا.

وأخيرا دخل الشيوعيون معسكر جور واستمروا فيه يومين فهجم المجاهدون عليهم وأخلى الشيوعيون الموقع بعد خسائر ضخمة في الجانبين فقد بلغ عدد الشهداء التابعين للشيخ جلال الدين قرابة المائة ووصل عدد الجرحى حوالي 220 جريحا وأما خسائر العدو فحدث عنها ولا حرج.

والآن أما أن للمسلمين أن يقفوا بجانب إخوانهم المجاهدين الذين أصابهم القرع؟ أما أن للشباب المسلم أن يقضي ولو إجازته الصيفية بجانب هؤلاء يواسي جراحهم ويمسح كلومهم ويهددهم ويثبت قلوبهم -بإذن الله-؟

إلى من يتلفت هؤلاء المجاهدون الأفغان ومن ينادون وقد بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالا شديدا ؟

من هم أصحاب الشجرة الذين يمكن أن يستخدمهم قادة الأفغان؟ أينادون الحكام أم المحكومين؟ أيستصرخون النساء أم الرجال؟ أيدعون أصحاب الدعوات الإسلامية؟ أم عامة المسلمين؟ أم العلماء أم العامة؟ من الذي يلبي نداءهم مرددا :

وإني لعطاف إذا الخيل أدبرت سريع إلى الهيجا إلى من دعانيا

أين حولة وقد أسر ضرار؟ أين أبو طلحة بقوته الذي يعدل ألف رجل؟ أين العباس ينادي أصحاب البيعة؟ أين القعقاع وعاصم؟ أين سلمى تصيح وامتنياه! ولا مثني للخيل بعده؟

من تراهم ينادون: المثقفين أم الأميين؟ الأطباء أم المهندسين؟ العسكريين أم المدنيين؟ أصحاب العقائد الصحيحة أم الصوفيين؟ الحركيين أم التقليديين الباردين الجامدين؟

أصحاب الشعارات الصارخة أم أصحاب الفرق المظلمة؟

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا البيت

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

السائرون على الجمر \*

[\*نشرت في مجلة الجهاد - العدد السابع عشر - 15/شوال 1406 هـ، 21 حزيران/ 1986م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . وبعد:

فلم أجد عنوانا يليق بمسيرة الجهاد الأفغاني المباركة مثل هذا العنوان، كنت أريد أن أبدله بعناوين (القابضون على الجمر) (الصراع مع الموت) (الغارقون في الرمضاء) (المتقلبون على اللظى) (الزاحقون على الرضف) وكل هذه لا تستطيع أن تنقل الصورة الحقيقية للآلام التي يعانيها المجاهد الأفغاني ولا تعكس حقيقة المشقة التي يتكبدها أولئك الذين يعيشون فوق قمم الجبال وفي الذرى الشواقي تحت قصف لا يكاد ينقطع من العذاب الواصب الذي تصبه قذائف الطائرات والصواريخ والمدفعية والألغام التي أصبحت شبحا رهيبا يهدد أقدام الذين يواصلون هذه المسيرة.

لقد مارسنا الشجاعة والعبادات كلها فلم أجد أشق على النفس من الجهاد ولذا فقد جعل الله عز وجل للجهاد أجرًا وأعظم أجر.

ففي صحيح البخاري (1):

إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض .

وكذلك جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد (2):

من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة

والفواق مقدار ما بين الحلبتين.

والنصوص من الآيات والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة يرجع إليها من شاء الاستزادة.

وقد أجمع العلماء على أن الجهاد أفضل من جوار المسجد الحرام وبنص القرآن الكريم

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوفون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين

(التوبة: 19)

وفي الحديث الصحيح (3)

لأن أحرس ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود .

ولم يجعل الشارع الحكيم هذا الأجر العظيم لهذه العبادة جزافا بل حكمة الشارع تقتضي أن يكون الثواب على قدر النصب والأجر على قدر الجهد إذا أخلصت النية وصدق الطوية.

كنت ممن شهد معركة جاجي الأخيرة في رمضان 1406 هـ وكل من عاش ساعة تحت غارات الطائرات التي تمطر القنابل وراجمات الصواريخ BM41 التي تطلق بالضغطة الواحدة 41 صاروخا يتذكر عذاب أهل النار ويشخص بمخيلته قول الله عز وجل

لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون، بل تأتيهم بغتة فتبهم فلا يستطيعون رد ها ولا هم ينظرون

(الأنبياء: 110)

ويتذكر قول الله عز وجل:

ويأتية الموت من كل مكان وما هو بميت

(إبراهيم: 111)

كنت أرى الطائرات السوداء وكما قال ذوي الاختصاص أن هذه الطائرات اسمها توبوليف TU22-TU، TU26، 28M.

فرجعت إلى الموسوعة العسكرية فوجدت أرقامًا خيالية لطاقتها فمثلا TU26 المدى القتالي لها بالوقود الداخلي 3400 كيلومتر أي تستطيع أن تخرج من روسيا وتضرب أفغانستان وترجع وسرعتها القصوى 2445 في الساعة، قوة الدفع 22000 كغم (22) طنًا وزنها فارغة 54 طنًا وزنها بالحمولة القصوى (105) طن وأبعادها (الطول×العرض×الارتفاع) 44×34×40.32×11 م .

أما TU/22 المدى بالوقود الداخلي = 2450 كم وقوة الدفع 12250 كغم (اثنا عشر ألفًا ومائتان وخمسون كغم) الأوزان فارغة 6,38 طن وبالحمولة 84 طن، السرعة القصوى حمولة عادية على ارتفاعات عالية 0841 كم في الساعة، الارتفاع العملي 18.000 م الأبعاد 27/70×40/53×67، التسليح، مدفع 23 ملم وخليج داخلي بحمولة لا تقل عن 9070 كغم لقنابل حرة الاسقاط أو صاروخ بعيد المدى.

التطوير، قاذفة قنابل أسرع من الصوت وأكبر وأثقل من الطائرة الأمريكية ب58 وت بو 28.

كنت أرى الرصاص من مضادات الطائرات التي بين أيدي المجاهدين ينطلق عليها من كل مكان ولكن أنى للرصاص أن يؤثر في الطائرات المصفحة .

ودخلت معسكر جاجي أثناء المعركة وكنت صائما وكانت الشمس تلم أذنيها لتغيب وراء الأفق فتجمعنا قرابة 60 شخصا في أحد الكهوف وأغار الطائرات وكان يكفي ليقفل كل من في الغار قذيفة واحدة ذات وزن (1000) كغم التي تخترق سبعة أمتار داخل الصخر وأما في التراب فلقد رأيت بعيني رأسي النبع يخرج من جراء انفجارها، كان في جيبتي بضع تمرات بدأت أحسها وأخرجتها بيدي انتظر الأذان وجاءت الأوامر بالتفرق وبدأت الصواريخ تنهال علينا من كل مكان إثر مغادرتنا المغارة وألقينا بأنفسنا على هذا السفح ننتظر القذيفة التي نودع بها الدنيا ولم أستطع خلال ساعتين أن أكمل حيات التمر التي بيدي.

وفي هذه الظروف العصيبة والأجواء الحالكة ترى أسود الشرى فوق الذرى خلف رشاشاتهم يتابعون الطائرة بنيرانهم وأغرب من هذا أنك ترى شابا يحمل (أر بي جي 7) الذي لم يستعمل ضد الطائرات في حرب قط سوى في الجهاد الأفغاني الخارق لكل القوانين العسكرية المخالف لكل التقديرات البشرية والتصورات الإنسانية والمنطقية تجد هذا الشاب يمتشق هذا المدفع ينتظر قرب الطائرة وطائرة تخر عليه برشاشها وأخرى تمطره بوابل صواريخها وهو واقف شامخ الرأس عزيز النفس يتحرك بين فكي تنين الموت وترى الطائرة تسقط قذيفتها فتقتل طاقم الرشاش فيحمل هؤلاء الشهداء والجرحى ويحل محلهم على الفور الطاقم الذي يرقب الساعة التي بعدها هول ساعته.

إنهم بشر ليسوا كالبحر وكما علق أحد ضباط الروس بعد معركة عنيفة قائلا : هؤلاء ليسوا بشرا .

وكل واحد منهم يودع في كل ساعة شقيقا أو قريبا أو صديقا دون أن تلين له قناة أو يهتز له جنان.

كنا في طريقنا إلى المعركة فلاقنا سيارة تقل بعض الشهداء فنزل أحدهم فوجد شقيقه من بين الشهداء فألقى عليه نظرة الوداع الأخيرة وواصل مسيرته.

وكم يذهلك وأنت ترى أميرهم في قمة جبل يحمل البوق ليوجه عبارات الطمأنينة والسكينة للمجاهدين بين غارات الطائرات ودوي المدافع ونيران القذائف.

وبعد كل غارة تأتي لتسأل طاقم ZK/1 عن حالهم فيردون بلغتهم البوشتونية (خير، خيرات).

وفوق هذا كله بينما هم مشغولون بهذا الجحيم المستعر تحط طائرات الهيلوكبتر وتفرغ على رؤوس الجبال المطلة عليهم مجموعات الكوماندوز القادمين من روسيا.

والمجاهدون في هذا الخضم المتلاطم من أمواج الموت محتسبون صابرون يحدهم الأمل أن يروا أفغانستان إسلامية مطهرة من رجس الكفر ترفرف فوقها راية دولة الإسلام وكثيرا ما يدعون اللهم أفر عيني بتحرير أفغانستان وأمتني على الشهادة في بيت المقدس حول المسجد الأقصى وهم إذ يحتلمون ما يحتلمون من البلاء تأمل من الله أن تصيبهم أحاديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- منها حديث الترمذي الصحيح (4):

ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة .

وفي الصحيح (5):

ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها .  
والنفس إذ تتحمل ما لا يطيقه إلا أفاذ من البشر ترقب الأمل الكبير المنتظر من رؤية الإسلام وكما قال الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها      عن الشراب وتلهيها عن الزاد

لها بوجهك نور تستضيء به      على الطريق وفي أعقابها حادي

إذا شكت من كلال السير أو عدها      روح القدوم فتحيا عند ميعاد

فهل من كلمة خير تشجع بها هؤلاء؟ هل من كلمة رحمة نواسي بها جراح هؤلاء الأسود؟

هل من فضول مال نعالج به جراحاتهم؟

هل من قلب حي ينبض بحبهم ويتألم لألمهم؟! فإن لم يكن لدينا هذا فهل لنا أن نكف ألسنتنا عنهم؟

أقلوا عليهم لا أبا لأبيهمكم      من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وإلا فيصدق علينا قول الله عز وجل:

قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا

(الأحزاب: 18-19)

إن الدين والمروءة والرجولة توجب علينا أن نستحي إذا فكرنا بانتقادهم أو طالعت ألسنتنا فنزيد جراحاتهم ونغمد في أعماقهم نصلا فوق التي تصيبهم من كل جانب.

ولو كان سهما واحدا لا تقيته      ولكنه سهم وثن وثالث

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(1) فتح الباري / ج 6 / باب 4 / برقم (2790) وهو قطعة من حديث عن أبي هريرة

(2) رواه أحمد وأخرجه أبو داود برقم (52 14) و الترمذي برقم (7561) - وهو في الجامع الصحيح برقم (2926) (3) هو في السلسلة الصحيحة برقم (8601).

(4) عند الترمذي برقم (2410) عن أبي هريرة

(5) الحديث متفق عليه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .

فتح الباري / كتاب المرض / باب 1 / برقم (5641) واللفظ له .

شرح النووي / ج 16 / كتاب البر والصلة / ص - 130 بلفظ قريب.

أمريكا وتجارة الدماء\*

[\* نشرت في مجلة الجهاد - العدد العشرون - ذو القعدة/ 1406 هـ، يوليو/ 1986م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:

فإن لله سننا وقوانين قد أنزلها في كتابه العزيز ووضحت معالمها وتبينت أصولها في مواضع كثيرة من القرآن على رأسها قانون العداء المستحكم بين الحق والباطل منذ بداية السيرة البشرية فوق هذه الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين

(البقرة: 36)

ومنها المعركة المستمرة بين الكافرين والمؤمنين

«ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا...»

(البقرة: 217)

ومنها نقمة أهل الكتاب علينا بإيماننا وفقهم

قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون

(المائدة: 59)

ومنها تولي أهل الكتاب بعضهم لبعض ضدنا

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين

(المائدة: 51)

ومنها استحالة رضا اليهود والنصارى عنا حتى نخلع ربقة الإسلام من أعناقنا وندخل في دينهم:

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم

(البقرة: 120)

يقول الطبري في تفسيرها: "إن ترضى عنك يا محمد اليهود ولا النصارى أبدا حتى تتسلخ عن دينك وتكون يهوديا أو نصرانيا فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله فيما بعثك فيه من الحق" (1).

وعليه فإنه يستحيل اللقاء بين أهل الإيمان وأهل الكفر في منتصف الطريق مهما حاولنا أن نقدم أنفسنا بثياب الانفتاح والمرونة والبعيد عن التوقع والانغلاق وضيق الأفق كما يحلو للبعض أن يصفوا الملتزمين والمتمسكين بمبادئ دينهم، نحن مع أهل الكتاب على مفرق طريق فإذا سرنا معهم خطوة واحدة فقد أضعنا الطريق كله.

والآن لنرجع إلى موقف أمريكا

لقد انبسطت أسرارير أمريكا وهي ترى انزلاق أقدام الدب الروسي فوق جبال الهندكوش كما غرقت أقدامها هي من قبل على شواطئ نهر الميكونغ في فيتنام.

وظنت أمريكا أن الفرصة قد حانت للتفيس عن أحقادها في فيتنام ولتخطيم أعدائها التقليديين معا - الشيوعيين والمسلمين - ولاستنزاف قوى الطرفين البشرية والاقتصادية والعسكرية.

وكانت أمريكا تظن أن بإمكانها أن تحتوي الجهاد الأفغاني أجلا أو عاجلا ، وتلمع البديل الذي تقدمه للمسلمين إسلاما ولكنه بالثوب الأمريكي والعقيلة الغربية كما قدمت للعالم الإسلامي كثيرا من هذه النماذج.

وحاولت أمريكا أن تعجم عود القادة الأفغان فوجدتها صلبة المكسر غير لينة المعصر. وأولكت إلى السادات أن يشترى القادة وأنابته لتمزيق الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان فقام بالوكالة الأمريكية بأمانة وإخلاص ومزق -بقدر من الله- الاتحاد.

وقد حاولت أمريكا أن تقيم الملك ظاهر شاه على أرجل من خشب ولكنها لم تستطع أن تنفخ الروح في العظام الرميمة وسقطت المحاولات الأمريكية في تقديم الملك ظاهر شاه أو رئيس وزرائه محمد يوسف في صورة أنيقة تخب الباب عقول الشعب الأفغاني أو تخدع به عقولهم.

ولقد كانت المناورات الأمريكية الروسية تدور حول البديل عن روسيا إثر انسحابها، ولم تستطع أن تتوصل إلى الشخصية العلمانية اللادينية التي تقدم للشعب الأفغاني بأثواب المسلمين.

ولكن واضحا منذ بداية الطريق أن الطاغوت هو الطاغوت سواء كان أمريكيا أو عربيا أو أفغانيا أو روسيا .

ولكن واضحا منذ الخطوة الأولى أن الذين بشرعون بغير ما أنزل الله هم كفار وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر وسي إن في نظر المسلمين من حيث الكفر ظاهر شاه وحفيظ الله أمين وبابرك كارمل.

ولكن مستقرا في القلوب أن الشرع الذي يطبق فوق الشعب والقانون الذي يحكم في الأعراض والدماء والأموال هو الذي يحدد هوية الحاكم من حيث الكفر والإيمان فإن كان الشرع والتشريع بغير ما أنزل الله فهو الكفر الصريح وإن كان التلفاز يظهر الحاكم بثياب القديسين وبهالات الأبرار المخبئين.

ولنوقن منذ البداية أن الكفر ملة واحدة وأن ملل الكفر تنازع بعضها على مصالح دنيوية أما العدو المشترك في نظرها فهو الإسلام.

ويجب أن يكون واضحا : أن الاستعانة بالكفار لا تجوز إلا بشروط:

1- أن يكون حكم الإسلام هو الظاهر بحيث لا يستطيع الكافر الذي يعطي مساعدته أن يتغلب على المسلمين في النهاية.

2- أن تكون الإعانة دون قيد ولا شرط.

3- أن يكون المسلمون بحاجة إليها.

4- أن تؤمن خيانة الكافر وأن نثق أنه يساعدنا نكاية بالعدو المشترك.

جاء في المبسوط (1) "قال أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن المسلمين يستعينون بأهل الشرك على أهل الحرب قال: لا بأس بذلك إذا كان حكم الإسلام هو الغالب الظاهر لأن قتالهم بهذه الصفة لإعزاز دين الله والاستعانة عليهم بأهل الشرك كالاستعانة بالكلاب".

وهناك قضايا أولية وأساسية قد تغيب عن الأذهان:

1- أن الركون إلى الكفار والظالمين يعيق النصر بل يمنع نزوله:

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون (هود: 113)

2- إن هذا الجهاد لم يبدأ ضد الروس بل بدأ ضد الحكام الأفغان أنفسهم ابتداء من محمد داود ثم تراقي ثم حفيظ الله وانتهاه بكارمل.

3- إن هذا الجهاد رفع لواءه الشباب المسلم مع العلماء لتكون كلمة الله هي العليا ولرفع راية الإسلام وإقرار دين الله في الأرض وإقامة نظام إسلامي في أفغانستان.

4- لقد كانت الانتصارات في بداية هذا الجهاد باهرة والكرامات كثيرة بسبب إخلاص التوكل على الله وصندوق التوجه إليه ولم يكن أحد من المسلمين ملتفتا إليهم، فعندما اشتهرت القضية الأفغانية وجاءت المساعدات قلت الانتصارات وقلت الكرامات.

يقول القادة المجاهدون: (في بداية الجهاد كان خمسة ينزلون فيغنمون (500) بندقية وعندما جاءت المساعدات قلت الغنائم والانتصارات).

5- إن انحراف الجهاد عن غايته الأساسية يعني سقوطه وانتهائه، فإذا فقد المجاهدون الهدف الأسمى وهو (لتكون كلمة الله هي العليا) فقد تحول الجهاد إلى قتال قومي ويصبح الخروج للجهاد حمي ة ويفقد الجهاد قدسيته التي استحوذ بها على قلوب المسلمين واستقطب أفئدة الصادقين في الأرض كلها.

إن حياة الجهاد وروحه إنما استمدتها من رايته الإسلامية التي رفعها فإذا سقطت الراية فقد الجهاد روحه ومات وأصبح القتال انفعالات وقتية كزوبعة سرعان ما تزول أو كسحابة صيف عن قليل تقشع.

6- إن الحل السياسي الذي تسعى إليه أمريكا مع روسيا باطل شرعا ممنوع عقلا ولقد علمتنا التجارب كلها في فلسطين وغيرها أن الحل لا يكون إلا من خلال فوهات البنادق وإن إحالة القضية إلى المجالس الدولية والمحافل العالمية تعني إحالتها إلى سلة المهملات والسير بها إلى موتها المحتوم.

والحل السياسي باطل شرعا جاء في فتح العلي المالك(3) "إذا أوقع الخليفة الصلح مع النصارى والمسلمون لا يرون إلا الجهاد فمهادنته منقوضة وفعله مردود وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح كما لو كان العدو غالبا على المسلمين وكل ماتعي ن في فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنفاد، والصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين، وترك الجهاد المتعين من متنع وكل متنع غير لازم".

لقد حاولت أمريكا أن تسير غور الجهاد وأبعاده الإسلامية، فأرسلت الرئيس الأمريكي السابق نيكسون لزيارة مخيمات المهاجرين والحدود وزار مخيم ناصر باغ وتقدم نيكسون ليسلم على شيخ بلغ من العمر عتيا وقد لحب الجنان واحدودب الظهر وإذا بالشيخ يقبض يده قائلا : (أنت مشرك نجس لا أسلم عليك)، وتقدم شيخ آخر طاعن في السن فقال لنيكسون: (لماذا أعطيتكم فلسطين لليهود ؟ ) .

رأى نيكسون شعبا بكامله طفله وشيخه البنات والعجوز فيه والأرملة والعواتق والمجاهد والمهاجر فيه كلهم تحركهم كلمة الله أكبر وهم يرددون : الجهاد سيبلنا.

رأى الطريق المؤدية إلى أفغانستان فيها قوافل المجاهدين كاسراب النمل رغم دوي الطائرات وأزيز المدافع وانفجار الصواريخ وهدير الدبابات فاهتز كيانه وارتجفت أوصاله فعاد مرتعد الفرائص منذراً قومه والرائد لا يكذب أهله. ففقد مؤتمراً صحفياً وسأله الصحفيون: ماذا أعدتكم للقضية الفلانية فقال هذه سهلة، والقضية كذا فقال: هذه ميسورة، وبعد عدة أسئلة وهو يجيب بابتسامة إنها سهلة قال له الصحفيون إذن ماهي المشكلة الأساسية؟ فقال: المشكلة الأساسية هي الإسلام فقالوا له: إذن ما الحل؟ فقال: أن نأتي بأبناء المسلمين ثم نرسلهم إلى بلادنا كي نحققهم بثقافتنا ونعيدهم إلى بلادهم، ثم قال: يجب على روسيا وأمريكا أن تتحداً للحيلولة دون قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

ثم جاءت بعدها محاولة استدراج القادة الأفغان لمقابلة ريجان بحجة إلقاء خطاب في الأمم المتحدة في نيويورك وحدد ريجان موعد مقابلته مع حكمت يار رئيس الوفد والناطق الرسمي باسمه ورفض حكمت يار ومنذوب الاتحاد الإسلامي/ سي اف أن يقابل ريجان في الثلاثين من أكتوبر 1985 وكذلك رفض زيارة الكونجرس الأمريكي بعد أن وجه إليه دعوة حارة وقد اطلعت على بطاقة الدعوة وفيها " لأنكم شعب يؤمن بالله وضرب أروع الأمثلة للشعوب التي تريد استرداد حريتها نتشرف بدعوتكم ". وأسر ها ريجان في نفسه وامتلأ غيظاً إذ أنه كما قال سفير دولة إسلامية لحكمت يار أترفض مقابلة ريجان وهو يرفض مقابلة ستين رئيساً وملكاً؟

ثم حصل لقاء القمة بين ريجان وغورباتشوف في نوفمبر 1985 وأخرج غورباتشوف من حقيقته خارطة الدولة الإسلامية في أوج عزها وأرفع دهورها وبني له أن معظم أراضي أوروبا كانت تخضع للمسلمين وأن المسلمين قد دقوا أبواب أوروبا مرتين ووقفوا في شوارع النمسا ثم حذر غورباتشوف ريجان وقال له:

لقد بدأ المسلمون يتململون وينفضون الغبار عن أنفسهم ويحاولون أن ينطلقوا، وإذا انطلقوا لن يقف في وجههم شيء وإن المستفيد الوحيد من اختلاف أمريكا وروسيا هو الإسلام فلا بد من إنهاء مشاكلنا للوقوف في وجه العدو المشترك وأطرق ريجان ملياً وأعجب بالفكرة. وكان أحد المفكرين الأمريكيين قد كتب كتاباً يحذر فيه من الجهاد الأفغاني ويتوقع له أن يهزم روسيا ثم يقتحم روسيا نفسها ثم يتوغل في أوروبا حتى يصل أعماقها وعندها تضطر أمريكا لدخول الحرب بنفسها ويحذر أمريكا من الانتظار ويحثها على اتخاذ اهبتها وإعداد عدتها لهذا الأمر الخطير ثم قدم كتابه على التلفاز الأمريكي.

ثم زار مستشار الإدارة الأمريكية البابا في الفاتيكان وقال له: لا بد أن تثار حرب صليبية قبل أن تتم الصحوة الإسلامية وقبل أن يقفز المسلمون مرة أخرى على قمم أوروبا.

وباختصار: إنهم جميعاً يقولون: لا بد من إعادة العماق الجبار الإسلامي إلى القمم قبل أن ينطلق وقبل أن يمسك بقيضته الحديدية رقابنا ونودي الجزية له عن يد ونحن صاغرون.

ثم كانت المحاولة الأخيرة واستدراج أخيراً وفد إلى أمريكا ليجلس مع ريجان لينقل التلفاز في كل العالم صورة اللقاء، وعاد أعداء هذا الجهاد يفركون أيديهم فرحاً وصاروا يعزفون على تلك السيمفونية القديمة: إن الجهاد الأفغاني صراع بين أمريكا وروسيا وإن الجهاد الأفغاني بحركه وتوجهه المخابرات الأمريكية C.I.A وتمده بالمال والسلاح.

وقد صدم الصادقون لهذا اللقاء وصعقوا لهذا المنظر، وللعلم:

1- فإن هذه المقابلة يرفضها الأستاذ سي اف أمير الاتحاد الإسلامي لأفغانستان، والأستاذ حكمت يار أمير الحزب الإسلامي وقوتها معاً تزيد عن نصف قوة المجاهدين مجتمعة ووجود هذين القائدين -إن شاء الله- يحفظ للجهاد أصالته ويحمي خطه من الانحراف وقد صرح كل منهما بذلك للصحف.

2- إن أمريكا غير مقبولة أبداً لدى جمهور المجاهدين الذين يحملون السلاح في خنادقهم وقد تجد أكثر من 90% ناقلين على أمريكا نقمتهم على روسيا.

3- إن المجاهدين المخلصين يرفضون أن يتسلموا روية واحدة من أمريكا وهذا الذي صرح به حكمت يار في أمريكا لدى الصحفيين بأننا لم نناق أي مساعدة من أمريكا ولا من مخابراتها.

4- هنالك خمسون مليون دولار خصصتها أمريكا للتعليم في داخل أفغانستان هذا العام ورفض المجاهدون وعلى رأسهم سي اف وحكمت يار أن يتسلموها بعد محاولات يائسة من المستشار الأمريكي عن التعليم في السفارة الأمريكية في باكستان وقد يرجع هذا المبلغ في شهر أكتوبر إلى الخزينة الأمريكية مرة أخرى.

لقد رفضوا أن يفتح الأمريكيين مدارس سواء في بيشاور أو أفغانستان رغم أنه يوجد أكثر من مليون طالب أفغاني يتسكعون في الطرقات ليس لهم مدارس حتى في الخيام.

إن ابن الأستاذ سي اف نفسه عمره في الخامسة عشرة ولم يكمل الأول الابتدائي، أما عن التعليم في داخل أفغانستان فيحتاج مجلداً كاملاً لوصف مأساته ومصيبته.

5- إن المناورات الحالية بين أمريكا وروسيا إن خدع بها المجاهدون فستؤدي إلى إلقاء المجاهدين للسلاح من أيديهم لتستقر روسيا أو حكومتها إلى ما شاء الله في أفغانستان ريثما يأتي موعد للقفزة الأخرى على المياه الدافئة في بحر العرب عبر إقليم بلوشستان.

6- لقد خدعت روسيا بخاري من قبل فهادنت المجاهدين البسمشي على أن تعطيهم استقلالهم وحريتهم وبعد ستة أشهر عادت واحتلت بخاري بعد أن سقط السلاح وانتهى الجهاد وانتهت بخاري إلى أجل لا يعلم مداه إلا الله.

بني أفغان فلتدعوا الأمانسي والقوا عنكم الأحلام ألقوا

فمن خدع السياسة أن تغروا بالقباب الإمارة وهي رق

وختما نبتل إلى الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

7- أن أمريكا تريد أن تظهر بمظهر الوصي على الجهاد الأفغاني وإنها أمه التي تحضنه وطره التي ترضعه وإن الأمور بأيديها وإن مقاليد الجهاد في قبضتها فنعود بالله من ولاية الكافرين ومساندة الظالمين. قال تعالى:

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين. يأليها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون. يأليها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين

(المائدة: 5157)

فنرجو الله أن ينصر الجهاد والمجاهدين وأن يحفظ ثمرات الجهاد للأبرار وأن يحررها الطغاة والأشرار وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

- (1) مختصر الطبري (1/43)
- (2) المبسوط للسرخي (01/128)
- (3) فتح العلي المالك (1/289)

المفتي "جل الرحمن"\*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد الواحد والعشرون - ذو الحجة 1406 هـ، أغسطس/1986م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا وبعد:

فلا زال هذا الجهاد العظيم يحيي النفوس بما يقدم يوميا للساحة الإسلامية من أفاذا وما يسطر في واقع الناس من أساطير أبعد من الخيال ولكنها واقع مكتوب بالدماء متوج بالجمامج والأشلاء.

عرفت على طريق هذا الجهاد المبارك نماذج ليس لها ذلك البريق الإعلامي الجذاب ولا دوي الشهرة الخادع الذي غالبا ما يخلب ألباب الجماهير ويضيق الحقيقة تحت أبواق الإعلام والمزامير.

فمن عرفت: أسد كورن (جل الرحمن أي زهرة الرحمن) شاب في السابعة عشرة من عمره مشرق الوجه لم يكتمل نبات الشعر في وجهه بدأ الجهاد وهو في العاشرة من عمره إذ أنه فجر دبابه بلغم وهو في العاشرة، وواصل جهاده في منطقته مع أقاربه وأصبح الموت يفزع منه، كان يحمل نفسية رقيقة ولكنه في شجاعة الأسد، حياته الجهاد ونعيمه الجلال لا يهدأ ولا يقر إلا إذا دوت المدافع وهدرت الدبابات ولعلت الرشاشات.

قتل أكثر من مائة شيوعي، وذات مرة أسر أسيرا من الشيوعيين وأجبره أن يحمله بين كتفيه وبعد أن أوصله إلى نصف الطريق نزل عنه وقتله، كان في أيامه الأخيرة يقوم بعملية كل يومين وفي إحدى الهجمات الروسية حيث هجم الروس على معسكرهم (أسامة بن زيد) كان يضرب عليهم بالرشاش -الدوشكا- فقتل بشهادة قائد المعسكر حوالي خمسين منهم حيث كانت دماء الروس تغطي بقعا كثيرة من سفح الجبل الذي دارت فوقه رحى المعركة.

وفي اليوم الثاني من نيسان 1986 دخل الروس معسكر أسامة بن زيد ولم يكن جل الرحمن حاضرا ، وهرع عندما سمع الخبر وأخذ على عاتقه هو وأربعة آخرون من شباب المعسكر (أسد الله وجعفر ومستقيم ورابع) أن يطهروا المعسكر من الروس، وأخذ يتابعهم من موقع إلى موقع وهم ينسحبون يجررون ورائهم ذبول الخزي والهزيمة، وفي اللحظات الأخيرة أصابت جل الرحمن رصاصة تلقتته المنية أثرها فورا ، وبقي جل الرحمن بعد استشهاد على هيئة الرمي بصوب رشاشه نحو الروس فظنه الروس حي ١ بطاردهم فلم يجرؤوا أن يقتربوا منه لأخذ رشاشه، وبعد انتهاء المعركة جاء أسد الله والمجاهدون ليروا جل الرحمن بابتسامته التي كانت تسبغ على وجهه إشراقة عجيبة بقيت هذه الإشراقة والابتسامة بعد الشهادة ولكن مع الهيبة والصفاء.

كان يراه الرائي يظنه نائما ، يتثنى بين أيديهم كالنائم...

مضى جل الرحمن إلى ربه وترك في قلوبنا أثارا عميقة وبصمات واضحة لا تنسى تذكرنا بأن القتال هو مصانع الرجال.

مفتي القدس يصرح :

الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يواجه روسيا:

أقارن بين جل الرحمن الذي استشهد وهو في عمر الورود وبين مفتي القدس (سعد الدين العلمي) الذي يصرح في مقابلة صحفية إلى جريدة النور القاهرة في 3 ديسمبر سنة 1985 أن الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يواجه روسيا وأن أمريكا قد زجت بالشعب الأفغاني في هذه المعركة ليكون وقودا لأهوائها ولتشغل به روسيا وتستنزف طاقاتها العسكرية والاقتصادية، ثم ينصح سماحة المفتي الشعب الأفغاني بأن يصالح روسيا، ولت مفتي القدس جاء بنفسه إلى حدود أفغانستان لأخذ بيده إن كان يستطيع المشي، أو أركبه على حصان على حسابي وأوصله إلى حدود روسيا في مسافة تصل إلى ألف كيلومتر لا يرى فيها جنديا روسيا واحدا وليس للروس إلا الطائرات التي تحلق في السماء.

الفرع العالمي بسبب استمرار الجهاد :

ليت سماحة المفتي عرف التوكل الذي يعرفه غلمان الأفغان الذين لا يحفظون إلا الفاتحة، وليته رآهم وهم يشيرون إلى الطائرات المارة يرددون (افعلوا ماشئتم لن ندع لكم شيئا من أرضنا).

ليت سماحة المفتي سمع أحد الضباط الروس يعلق على معركة جاجي رمضان 1406 هـ قائلا : (لو أردنا أن نقاتل حلف الأطلسي ما استعملنا خططنا ولا أعدنا عددا غير هذه ومع ذلك لم نستطع أن نحزز نصرا).

ليت سماحة المفتي كلف نفسه أن يزور حدود أفغانستان لأريه حطام مائتي دبابة وآلية في (تشمكني) في معركة رجب 1406 هـ على مركز واحد صغير (تشمكني).

ليت سماحة المفتي قد اطلع على خسائر الروس في سنة 1985 وعرف أن المجاهدين قد أسقطوا 302 طائرة ودمروا 1328 دبابة وحطموا 3002 سيارة وناقلة، وخرّبوا 75 مدفعا .

فأما الطائرات فقد اعترفت بهذا الرقم الدوائر السياسية وأجهزة المراقبة المهمة بهذا الجهاد، فقد سجلت دوائرها سقوط 305 طائرات أي أكثر من الرقم الذي ذكره المجاهدون.

لقد نسبنا بعد الهزيمة الروحية والنفسية أمام ضغط الواقع الحاضر وبسبب الهجوم الاستشراقي الماكر (عقيدة التوكل على الله) وغاب عنا طويلا التعامل الحق مع الملك الحق سبحانه بصفاته وأسمائه، لقد بتنا وليس لصفات الله تعالى أثر في التعامل الحياتي في شوارع بلاد المسلمين ولا في أذهانهم ولا مشاعرهم، صرنا لا نصدق أن الله عز وجل أقوى من روسيا وأمريكا وإن كنا نتكلم أحيانا كلاما لا يتجاوز اللسان بهذه الصفات.

ولو استيقنا حقيقة من أعماقنا أن الله أقوى من اليهود ما وصلنا إلى هذا الحضيض الأسنى في مستنقع الذل.

ولو اعتقدنا فعلا كما يقول الأفغان أن الله أقوى من روسيا فسيهزمها، لم تجثم حفنة من اليهود على قلب العالم الإسلامي آخذة بخناقها، مهددة استقراره وأمنه ودينه وحضارته.

ليت شعري لو أدرك سماحة المفتي مقدار الفزع العالمي بسبب استمرار هذا الجهاد وإيقاظه مشاعر المسلمين حتى باتت أمريكا نفسها تفكر ليل نهار بالخروج الحسن من هذه الورطة التي أيقظت ألد أعدائها (المسلمون) وأخذت تفكر جديا في وضع كلام نيكسون موضع التنفيذ إذ قال لها نيكسون بأن تتفق مع روسيا للحيلولة دون قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

الصلح مع الكفار باطل إذا تعي ن الجهاد :

وأتمنى لو رجع سماحة الشيخ إلى كتبه التي درس بها في الأزهر ليرى حكم الجهاد في فلسطين وأفغانستان، وسيرى الشيخ في كتب المذاهب الأربعة هذا النص الفقهي: (إذا وطئ الكفار شبرا من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها والولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دوائه والعبد دون إذن سيده)، وسجد الشيخ في الكتب الفقهية كذلك أن الصلح مع الكفار باطل إذا تعي ن الجهاد، ولذلك فنحن ننصح للشيخ أن يستغفر ربه وأن يحث الشباب الفلسطيني حوله أن يرفعوا راية الجهاد ليظهروا القدس من الأوغاد، ومن أدناس الرجس والفساد لأن الأمم التي تعيش هي التي تحسن صناعة الموت.

وإن شاء الشيخ فعلى الطريق عنده في فلسطين نماذج رفيعة قدمت لهذا الدين واستشهدت لرفع رايته وإعلاء مبادئه.

وقارنوا بين موقف الشيخ والآلاف المؤلفة من الشباب في أفغانستان فقد أعاد الله بها العزة للأمة الإسلامية بكاملها، وعادت دماء الحياة تسري في عروقها من جديد وعاد المسلم الحق يحس أنه أعز إنسان على وجه هذه الأرض بإسلامه، وأنه الأعلى بآيمانه.

ولا زالت صورة محمد شاه في مخيلتي، شاب بدأ الجهاد في الرابعة عشرة من عمره في "مزار شريف" وقد نظر لاغتيال كبار الشيوعيين فكان يلبس لباسا كأبناء الشوارع (الجنيز) وبطيل سالفه وشعره كالخنافس ويركب الدراجة النارية ويلحق أقطاب الشيوعيين في الشوارع العامة يقتلهم ثم يخفي، كان في قواعد المجاهدين مع إخوانه الثلاثة حتى ذهب أحدهم لزيارة أمه ولبت يومين أو ثلاثة قالت له أمه (هذا مكان النساء وليس الرجال) وبقي هذا دينه حتى قتل حوالي 150 شيوعيا ، وأخيرا استشهد وهو في سن الثامنة عشرة من عمره.

وقابلت شابا ثالثا فقالوا لي هذا الشاب أحضر سيارة محافظ هرات وسلمها لحكمتيار في بيشاور فقلت له كيف صنعت هذا؟ قال :

وجدت محافظ هرات ومستشاره الروسي على باب وزارة الداخلية في كابل فقتلتها وركبت السيارة من كابل حتى وصلت بيشاور وسلمتها لحكمتيار!.

كل واحد من هؤلاء الشباب لسان حاله يردد :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| مسلم يا صعب لن تقهريني     | صارمي قاطع وعزمي حديد     |
| من دمائي في مقفرات البراري | يطلع الزهر والحيا والورود |
| وإذا صرت في الحياة غريبا   | فأنا الدر والجمان الفريد  |
| إن أرضا ما سرت فوق ثراها   | حظها التيه والضياح الأكيد |
| وإذا زغرذ الرصاص وغنى      | يخسأ العزف والغنا والنشيد |
| ولديني أحيا وابذل روحي     | ولمصباحه دمائي وقود       |
| ولغير الإسلام عمري هشيم    | واخضرار الحياة يوم يسود   |

ولا أستطيع أن أتابع الذكريات وهي تتأل علي ولا أن أعد النماذج وهي تتزاحم في مخيلتي وكان آخرها شاب من "سرخاب" اسمه بابري يقف على الشارع العام (كابل/جارديز) في الثانية والعشرين من عمره دم ر في التاسع عشر من تموز 1986 أربع دبابات بقذائف (آر.بي.جي7) ثم استقبال الشهادة رافع الرأس.

وختاماً ، فإن هذا الجهاد كلما شق طريقه في واقع الحياة لابد أن يكثر أعداؤه ويزداد نفاذه.

ونحن ازاء هذا الجهاد، نحب أن نسمع ذكره سواء نقداً أو مدحا ، لأننا عندما نسمع الجهاد الأفغاني تتحرك أوتار القلوب وتنتشي شغاف الأفئدة.

ونك ل الحاقدين إلى الله، ونضرع إلى الله عز وجل أن يجزل مثوبة المخلصين لهذا الجهاد الكريم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

المرجعون .. والأمل العريض\*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثاني والعشرون - 22 محرم /1407هـ، سبتمبر/1986م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .. وبعد:

ففي الوقت الذي تكالبت على المسلمين الأحزاب في الجزيرة العربية بقودها أبوسفيان بعشرة آلاف من قريش وغطفان وبني أسد وفزارة وأشجع وبني مرة، يؤجج أوار المعركة رؤوس اليهود وأئمة الكفر حبي بن أخطب وسلام بن مشكمة وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع. في هذا الوقت الذي تقول عنه أم سلمة رضي الله عنها (شهدت معه -صلى الله عليه وسلم- مشاهد فيها قتال وخوف المريسيع وخبير وكنا بالحديبية وفي الفتح وحنين، لم يكن ذلك أعجب للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا أخوف عندنا من الخندق وذلك أن المسلمين كانوا فيها مثل الحرجة، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري فالمدينة تحرس حتى الصباح تسمع فيها تكبير المسلمين حتى يصيحوا خوفا ، حتى رد هم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا).

في هذا الوقت العصيب جاء خبر نقض قريظة لعهدا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فبعث اليهم السعديين (ابن معاذ وابن عباد) - وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة ليعرفوا هل هم على عهدهم أم قد نقضوه فلما دنوا منهم فوجدهم على أخبت ما يكون وجاهروهم بالسلب والعداوة ونالوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انصرفوا عنهم ولحقوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحنأ يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد وغدروا فعظم ذلك على المسلمين فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عند ذلك:

الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين (1).

البشرى مع المحنة القاسية والأزمة الخائفة إنه يريد أن يبقى الأمل العريض بحرك مسيرتهم ويوجه ركبهم ويحيي نفوسهم، إن الأمل يخفف كثيرا من آلام المعركة، ومن عناء المسيرة، ومن مرارة المعاناة.

إذا شكت من كلال السير أو عدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

إنه -صلى الله عليه وسلم- يعلم أن اليأس قاتل للنفوس، مدمر للمجتمعات، يشل حركتها، ويجفف منابع الخير فيها، ولذا فـ

إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون

(يوسف: 114)

إن المحن وأهوال القتال وضراوة المعركة وشراسة اللقاء ضرورة ماسة، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة ولا تتصج نضجا صحيحا ولا تصح وتستقيم على منهج الله إلا بهذا النوع من التربية التي تحفر في القلوب وت نقش في الأعصاب، وأما القرآن والسنة فانهما يوجهان القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة، ساخنة بحرارة الابتلاء، قابلة للطرق، مطاوعة للصياغة. ولكن ومع نار المحنة لابد من الأمل ومع طول المسيرة لابد من فسحة البشري، تدفع الجموع الصادقة وتوجه النفوس الخالصة. لابد من الغاء اليأس من قاموس الدعوات، ولابد من نفي الملل من معجم الحركات، ولابد من مسح القنوط من كتب الجهاد ومن مخيلات المجاهدين.

ولذا لابد من إشاعة البشري وكنم عوامل الضعف عن جمهور الأمة، فقد أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سعد بن معاذ أنه إذا نقضت قريظة عهدها فلا بد من كتمان الخبر وإذا لم تنقضه فالأولى إشاعة الأمر بين المسلمين. إن نشر الإشاعات المرجفة بين المجاهدين أثناء المعركة يفت في عضدهم ويوهن عزائمهم ويخلخل صفوفهم، ولذا نص الفقهاء على أنه " لا يجوز اصطحاب مثب ط ولا مرجف ولا مخذل ولا معوق "(2) لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سم اعون لهم والله عليم بالظالمين (التوبة: 47)

ولذا فقد أدت بعض الإشاعات في وسط المعركة إلى هزيمة المسلمين مثل إشاعة مقتل عبد الرحمن الغافقي قائد بلاط الشهداء (بواتيه) في فرنسا سنة 732م والتي ه زم فيها المسلمون أمام جيوش شارل مارتل الذي حرم بسيفه أوروبا من نور الإسلام وهدية إلى يومنا هذا. لقد مرت بنا أيام في إبان حكم عبد الناصر اشنت فيها الظلام، وخلا الجو للشيطان يزرع الأرض شرقا وغربا، وانزوى المسلمون المطاردون بالإعلام الناصري في زوايا النسيان وأصبح المسلم غريبا غربة ما عانى الإسلام مثلها، وفي هذا الوقت العصيب، يخرج الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتابه من أعماق السجون ومن وراء قضبانها (المستقبل لهذا الدين)، ولم تمض عشر سنوات حتى بدت الأزمة تنفجر وبدأت البشائر تلوح في الأفق، وبدأ بصيص النور يقوى ويحيي الأمل في النفوس. واليوم هنالك بعض الأفراد يشكون في هذا الجهاد المبارك ويضخمون مساوئه، ويخفون حسناته، ينشرون السلبات ويكتمون الإيجابيات، ويقولون إن فيه بدعا وشركيات وفجورا والتواءات وليتهم نقلوا الصورة صادقين، بل ليتهم نصحوا بحكمة ولين، ليتهم يدركون أبعاد هذه الشائعات المغرضة، إنهم لا يعلمون أنهم يطعنون هذا الدين بطعن هذا الجهاد من حيث يظنون إنهم يخدمون هذا الدين.

إنهم لا يعلمون أن العالم كله الآن يرقب باهتمام بالغ وحرص شديد نتيجة هذا الجهاد، اللهم إلا المسلمون فإنهم عن الجهاد لغافلون. يقول محمد أسد(3) (الأمريكي المسلم، صاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"): "إن العرب والمسلمين يلهون ويلعبون بأخطر قضية في الأرض إنهم أغفلوا أهم قضية في الأرض، وجدحوا حقوق أفضل شعب فيها وهو الشعب الأفغاني، إنهم تركوه وتناسوا أصالته وقدرته القتالية ووفاءه لدينه ورجولته، إنهم أغفلوا دوره الذي ينتظره العالم بأجمعه". فإلى الإخوة الذين ينشرون أخطاء هذا الجهاد، بصدق نقول: إن المسلم يعمل مهما كانت الظروف لأن عليه الأخذ بالأسباب، والنتائج بيد رب العالمين. إن المسلم مأمور أن ينفذ الأوامر الربانية ويدع المقادير للإلهية، ولذا أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح (4): إذا كانت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها . إن التوكل على الله هو جماع الإيمان وقد ضمن الله لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته همه فقال: ومن يتوكل على الله فهو حسبه

(الطلاق: 3)

ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم

(الأنفال: 49)

أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذبجانبه، حكيم: لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، وكما قال ابن القيم في طريق الهجرتين (5) >>فالتوكل مركب السائر الذي لا يتأتى له السير إلا به، ومتى نزل منه انقطع لوقته، وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته>>.

ويقول أيضا >>التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، فأما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك،

وأما عمله: فسكونه إلى وكيله وطمأنينته إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بنصرته له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه>> . وأما المرجفون المغرضون، أو الجاهلون الصادقون: فنقول: إن أحدهم يرى بيته بين حانة خمر ومرقص في بلاده ومع ذلك فلا غيره ولا نكير، ونقول لهم الحديث القدسي في البخاري..

من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب.. (6)

فكيف بإيذاء أولياء الله!

ونقول لهم إن الأدب الشرعي أن نرد الأمر إلى المسؤولين

وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا

(النساء: 83)

فإذاعة أخبار السوء عن الجهاد والمجاهدين ونشر سلبياتهم اتباع للشيطان.

ولا يقول أحد إن المسلمين لا خير فيهم، أو معظمهم مشركون هالكون ففي الصحيح:

إذا قال العبد: هلك الناس فهو أهلكهم رواه مسلم (7) عن أبي هريرة مرفوعا .

وفي صحيح مسلم (8) عن عبد الله بن مسعود مرفوعا : هلك المتنطعون، قالها ثلاثا .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(1) زاد المعاد (3/272)

(2) تفسير القرطبي (8/218)

(3) من حديث للشيخ >بكر خميس < نقلا عن محمد أسد

(4) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (184/3) بلفظ (إن قامت على أحدكم القيامة ...)

(5) - طريق الهجرتين لابن القيم ص - 326

- (6) سبق تخريجه .  
(7) في مختصر مسلم برقم (1822)  
(8) في مختصر مسلم برقم (1822)

عشرون عاما على الشهادة \*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثالث والعشرون - 23 صفر 1407 هـ، الموافق أكتوبر 1986م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي ليلة الخامس من ذي الحجة وفي تلك الخيمة المتواضعة على ضفاف نهر سرخاب من ولاية لوكر، حيث الماء كاللجين، وعلى شاطئ الوادي بساتين التوت والمشمش تحيل المكان إلى قطعة ساحرة من الجمال الأخاذ والروعة الباهرة التي تأخذ بالألباب. في هذه الليلة وبعد يوم حافل بقصف الطائرات الذي استمر من بعد صلاة الفجر حتى المساء جرى ذكر الأستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى - فتنهت أنا في شهر أغسطس، الشهر الذي استشهد فيه وأنه قد مضى عشرون عاما على شهادته، فكان لابد من الكتابة عنه ولو شذرات وأسطرًا وذلك رمزا للوفاء وعنوانا للمودة والإخاء.

لقد بدأت أقارن بين تلك الأيام التي كان يكتب فيها سيد من وراء القضبان للجيل، حيث كتب الله لي أن أعيش تلك الأيام التي أرخى الليل فيها سدوله على المنطقة وادلهم ظلامها، وضافت الأرض بما رحبت على الدعاة، وخلا الجو للشيطان الرجيم يذرع الأرض شرقا وغربا .

أذكر تلك الأيام - لا أعادها الله علينا- ولا أذكر أنني رأيت فيها فتاة واحدة من المتعلمات محجبة في بلدي، وعندما كنا نرى فتاة تلبس جوارب تحت لباس المدرسة الذي يكاد يصل ركبته نجذب بأخلاقها وتحدث بأدائها. كان في جامعة القاهرة التي تعد فيها الفتيات حوالي خمسين ألفا ، فتاة واحدة ملتزمة اللباس الشرعي وهي ابنة شقيقة سيد قطب - رحمه الله تعالى.

أذكر أن مظاهرة خرجت في عام 1967 قبل الاحتلال اليهودي بثلاثة أشهر في المدينة التي أنا منها -جنين/فلسطين- تعبر عن سخطها على اليهود وتندد بالظالمين وتهتف بحب عبد الناصر، فلم تجد تعبيرًا صادقًا عن سخطها أوضح ولا أقوى من أن تدخل دار الدعوة الإسلامية وتمزق المصاحف والتفاسير وتلقها في شوارع المدينة!! ولا زال منظر أوراق المصاحف يهز الأوصال بتذكرها. ولم يفسح الأجل للأستاذ سيد أن يرى الثمار المباركة التي أثمرها الله عز وجل من غراس قلمه المبارك. لم ير الصحو الإسلامية ولا رجوع الجيل إلى الله ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. وددت يوم سمعت الحكم عليه بالإعدام أن أفنديه بنفسه وأمي وأبي، وأذكر أنني كتبت برقية لعبد الناصر أقول فيها: (الدعوة لن تموت والشهداء خالدون والتاريخ لا يرحم).

كنت أظن أن شهادته ستحدث فراغا في المنطقة ولكن

الله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كنت أظن أنه سيحصل هذا الدوي الهائل بشهادته، وأن أفكاره ستعم المنطقة، بل العالم الإسلامي كله فتحيا بها الأجيال.

ميزات سيد قطب :

لقد تميزت كتابات سيد قطب بمميزات كثيرة أفردتها من بين الكتابات المعاصرة وجعلتها فذة مشرقة، وعلى رأس هذه المميزات التي ميزته وميزت كتاباته:

- نفاذ البصيرة وعمق النظر: وذلك راجع أولا وقبل كل شيء إلى الإخلاص الذي تلمحه من خلال عباراته -كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا - والإخلاص يورث الفراسة

اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله (1) .

وأما عمق النظر فهذا يدركه كل من قرأ (المستقبل لهذا الدين) الذي صدر في الوقت الذي خيم فيه الظلام على المنطقة ولم تعد ترى فيها بصيصا من نور في هذا الليل البهيم وكثيرا ما كان يردد ستهب في المرحلة القادمة على المنطقة رياح من الإسلام الأمريكي؟! وقد كان!

ولقد رأيت هذه الملامح على تفكير أخيه الأستاذ محمد قطب -حفظه الله- فكثيرا ما كان يحدث بأمور يتوقعها كنت أحسبها أيامها ضربا من الخيال أو اغراقا في الأوهام، ثم رأيتها واضحة جلية في واقع الأرض..

- سعة الأفق وهذا راجع إلى عاملين..

أولاهما: الاطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام.

ثانيهما: سعة ثقافته واطلاعه على الثقافة الإنسانية.

أما اطلاعه على المخطط العالمي لضرب الإسلام ممثلا بالحركة الإسلامية، فلقد كان مبعوثا لوزارة المعارف المصرية إلى أمريكا في الوقت الذي لم يكن يعرف فيه حقيقة الإسلام بعد، ولم يلتزم بعد بتعاليمه، فيقول عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا: (كنت أحد ستة نفر من المنتسبين للإسلام في باخرة تشق عباب الأطلسي ميممة شطر أمريكا) وفي أمريكا جرت له حادثتان كانتا سببا لدخوله في الحركة الإسلامية (كما حدثني بذلك أحد أرحامه):

أولهما: كما يحدث هو: كنت في 13 شباط 1949 مستلقيا على أحد أسرة مستشفى في أمريكا فرأيت رقصا صاحبها وموسيقى وأنوارا ورأيت الابتسامات تعلق الوجوه، والفرح يغمر المستشفى فقلت: أي عيد هذا الذي تحتفلون به قالوا: اليوم قتل العدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا.

قال: فهزتني هذه الكلمة من أعماقي.

ثانيهما: إن السفارات العالمية كانت تتسابق على اصطيد الشباب المسلم، وسيد كصحفي معروف كان أحد هؤلاء الذين تدور حولهم العيون ليكون صيدا سهلا وفريسة مستساغة لصائده فدعاه مدير الاستخبارات في السفارة البريطانية في واشنطن إلى بيته.

قال سيد: فعندما دخلت بيته كم أذهلني مفاجأة أنني رأيت عنده كتاب (العدالة الاجتماعية) ولم يكن قد وصل أمريكا إلا نسخة واحدة أرسلها لي أخي محمد إذ أنه قد أشرف على طباعة الكتاب في غيابه، وبدأ الحديث عن الشرق ومصر وتوقعات المراقبين بأن الوريث للحكم الملكي القائم هو أحد اثنين: إما الشيوعيون وإما الإخوان المسلمون والمرجح أنهم الإخوان ثم بدأ يفتح لي ملفا خاصا بالإخوان فيه من التفضيلات والجزئيات مما يدق على أبناء مصر أنفسهم حتى المختصين، ثم قال: إذا وصلت جماعة الإخوان إلى الحكم فإنها ستحرم مصر من ثمار الحضارة الغربية، ثم قال أخيرا :

نحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن يحولوا بين الإخوان وبين الوصول إلى الحكم لأن وصولهم هو نهاية مصر المؤسسة الأليمة؟ قال سيد: وفي بيت مدير الاستخبارات البريطاني في واشنطن قررت أن أدخل جماعة الإخوان فور عودتي، لأنه لا يمكن لجماعة تكيد لها الدوائر العالمية هذا الكيد أو تخطط ضدها هذا التخطيط إلا أن تكون الجماعة على الحق.

لقد دخل سيد جماعة الإخوان، وقد عرف بنفسه الكيد الهائل ضد الإسلام والكرهية العميقة التي لا يمكن للغرب أن يخفيها. - وأما سعة ثقافته: فيقول عن نفسه (2) (إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية... ما هو من تخصصه وما هو من هواياته.. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره: فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم -وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك- وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها.. وعلى انحرافها وضآلتها وقزامتها وعلى جعجعتها وانتفاشها وعلم غرورها وادعائها وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي). الجدية: لقد كان سيد جادا في جاهليته وإسلامه فلم يكن يهادن ولا يداهن، لقد كان واضحا كالشمس في رابعة النهار مستقيما كحد السيف ومن هنا أخرج مجلة كان صاحب الامتياز فيها الميناي، فخرج منها ثلاثة أعداد كلها صودرت ثم أغلقت ولقد أرسل الملك من يغتاله ولكن الله نجاه من اليد الأثيمة..

لقد كان دائما يردد " أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب نصفه لله ونصفه للدنيا" (3). وكان يقول: إن اصعب السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر به حكم طاغية، حدثت شقيقته حميدة أثر خروجها من السجن -وأنا أسمع- قالت: جاءني مدير السجن الحربي حمزة البسيوني يوم 28 أغسطس 1966 وأطلعني على قرار الإعدام الموقع من عبد الناصر بإعدام سيد قطب ثم قال: إن إعدام الأستاذ سيد خسارة للعالم الإسلامي والعالم أجمع وأمانا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ من حبل المشنقة وهي أن يعتذر على التلذذ فيخفف عنه حكم الإعدام ثم يخرج بعد ستة أشهر من السجن بعفو صحي، هيا فاذهبي إليه لعلنا ننقذه.

قالت حميدة: فتوجهت إليه لأبلغه الخبر فقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسيغفرون عنك. فربت سيد على كتفي قائلا: عن أي شيء اعتذر يا حميدة!! عن العمل مع الله، والله لو عملت مع أي جهة غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله.

ثم قال: اطمئني يا حميدة إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام ولن يغني الاعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيرها. أية طمأنينة؟! أية ثقة هذه التي يتمتع بها هذا القلب الكبير؟! أية راحة وأية سكونية هذه التي يسكنها الله على الفؤاد وعلى النفس المؤمنة؟! ومن علامة جديته: أنه استقال من وزارة المعارف في اللحظة التي قرر فيها دخول الحركة الإسلامية.

- الاحتياط والورع والهيبة أمام النصوص القرآنية، ويبدو هذا من خلال تفسيره لكتاب الله فيقول -في ظلال القرآن- عند أية حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين (البقرة: 238)

" أشهد أنني وفقت أمام هذه الآية ستة أشهر لا أنتقل إلى ما بعدها، كيف جاءت آية الصلاة بين آيات الطلاق، وكنت أمل أن يفتح الله علي في هذه الفترة ولكن لم يفتح الله علي، فإن فتح الله علي أحد من القراء فليفضل إلي مشكورا ". ويقول في مقدمة سورة الرعد (4) (كثيرا ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوب البشري القاصر المتحرج أن أشوبها بأسلوب البشري الغاني ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لا بد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح.. ومع هذا كله يصيبني رهبة ورعدة كلما تصديت للترجمة عن هذا القرآن).

التركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله :

لقد هال الأستاذ سيد قطب ووقف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة ازاء تصفية الحركة الإسلامية جسديا سنة 1954، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحلمية) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلا وهي تكبر وتهتف ما بالها الآن بكاء عمياء صماء؟ بل إن قسما ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم .

لقد وقف طويلا أمام هذه الظاهرة وأخيرا وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم ( لا إله إلا الله ). حدثني أحد الإخوة قال: إن مراسم الإعدام تقضي أن يكون أحد العلماء حاضرا تنفيذ الإعدام ليلقن المحكوم عليه الشهادتين! فعندما كان سيد بمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة اقترب منه الشيخ قائلا ( قل لا إله إلا الله ) فقال سيد: حتى أنت جئت تكمل المسرحية نحن يا أخي نعدم بسبب لا إله إلا الله، وأنت تأكل الخبز بلا إله إلا الله .

وبعد هذا كله (بنو أسد تعزوني على الإسلام) كلمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالها عندما جاء وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعدا حتى قالوا: إنه لا يحسن الصلاة! يروي البخاري (4) عن قيس قال: سمعت سعدا رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومالنا طعام إلا ورق الشجر، حتى أن أحدا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط، ثم أصبحت بنو أسد "تعزوني على الإسلام" لقد خبت إذا وضلي عملي).

وما أشبه اليوم بالبارحة، إن بعض الناس بدأوا يشكون في عقيدة سيد قطب، حتى إنه ترامي إلى مسامعي أن باحثا يؤلف كتابا سماه (تنقية الظلال من الضلال!) ولقد بالغ بعض القوم حتى قالوا أن سيدا يقول "بوحدانية الوجود" وكأنهم لم يقرأوا مئات المرات في الظلال التفريق بين الخالق والمخلوق.

والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابة سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم.

والحق أنني ما تأثرت بكتابت كتب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت بسيد قطب، وأني لأشعر بفضل الله العظيم علي إذ شرح صدري وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد قطب فكريا وابن تيمية عقديا وابن القيم روحيا والنووي فقها فهُولاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثرا عميقا .

ولقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، ففي السنة التي استشهد فيها طبع الظلال سبع طبعات بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته، ولقد صدق عندما قال: "إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء" .

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين عالي الهامة وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال، بعد أن وضع معان غابت عن الأذهان طويلا ، وضح معاني ومصطلحات الطاغوت، الجاهلية، الحاكمية، العبودية، الألوهية، ووضح بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء، والتوحيد والتوكل على الله والخشية منه والالتجاء إليه.

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، حتى أن بعضهم لا يطلب منك لباسا وإن كان عاريا ولا طعاما وإن كان جاعا ولا سلاحا وإن كان أعزل ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب.

وكم هزني أن أسمع أن هنالك قواعد جهادية في أفغانستان وعمليات حربية يطلق عليها اسم سيد قطب.

ومن جميل الموافقات العجيبة أن أستاذنا الكبير في الجهاد في فلسطين صلاح حسن كان بعد لعملية في فلسطين يسميها عملية (سيد قطب) ولشدة ما كانت الدهشة أن صلاح حسن قد استشهد في ليلة 29 أغسطس نفس الليلة التي أعدم فيها سيد قطب.

رحم الله سيد قطب.. ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(1)- أخرجه البخاري في التاريخ والترمذي عن أبي سعيد الخدري وهو في ضعيف الجامع الصغير برقم (721)

(2)- معالم في الطريق للشهيد / ص - 341

(3)- نقلا عن الثقات

(4) - تفسير الظلال (8032/4)

(5) فتح الباري / ج 7 / ص - 38

البسم الشافي \*

[نشرت في مجلة الجهاد - العدد الرابع والعشرون - 24 ربيع أول 1407هـ، الموافق نوفمبر 1986م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. وبعد:

فهناك في تلك الخيمة المتواضعة وبين ظلال التوت بين أشجار المشمش ذات الأغصان الوارفة على ضفاف نهر سرخاب في الأيام العشر التي أقسم الله بها بقوله؛ والفجر وليال عشر» والتي قال عنها -صلى الله عليه وسلم- في رواية البخاري (1) ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر- قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ .

أقول: في هذه الأيام وفي اليوم الرابع من ذي الحجة بالذات.. وكان مساء جمعة، جلست أحدث مع بعض الإخوة قائلا: حدثني كثير من الإخوة العرب أن لديهم أمراضا مزمنة شفيت في الجهاد فهل وجدتم هذا حقا في مسيرتكم المباركة، قالوا: نعم.

قال عبد المجيد: كان عندي ربو أتعبني في السنة الأخيرة فعافاني الله منه في الجهاد.

قال سهم: كانت عيني مصابة وأعيتني الحيلة في مراجعة الأطباء ولم تشف إلا في الجهاد.

وقال القعقاع: كان عندي روماتيزم وعافاني الله في الجهاد ورغم برودة الجو التي يتوقع منها أن تزيد الروماتيزم.

وقال عبد الله الجزائري: عندي إمساك دائم ينعكس على رأسي وجعا ما كنت أطبق الدراسة بسببه فعافاني الله في الجهاد. وقال أبو مصطفى: كان عندي حساسية شديدة فخفت كثيرا والحمد لله. وقال أبو الحسين: كثير من الهموم والوساوس والتوجعات تنجلي في ميدان الرباط والمعرفة.

وقال إبراهيم: كنت مصابا بالر عاف الدائم الذي يتسبب منه الدم نصيبا والآن اختفى أو يكاد فالحمد لله حمد الشاكرين.

وقال أبو برهان: لقد كان لدي مغص لم يهتد الأطباء إلى كنهه وعلاجه فعافاني الله في الجهاد .

وقال أبو اليسر: عندي انغلاق في صمام القلب وكنت إذا صعدت بعض الدرج أشعر بالتعب، وأما الآن فلا أشعر بالتعب رغم أننا نتسلق شواطئ الجبال وقمم الرواسي.

وقد حدثني غيرهم، مثل أبي الحسن: أن آلام الركب كانت تبرح بي وكانت تنتفخ وتمتلئ بالسوائل إذ أن عندي مرض (Ortho Strain \_Plastic) فشيت إلى كابل ولم أصب بأي ألم، مع أنني قبل الجهاد كنت أجلس في البيت أياما لا أتحرك. وقال لي باد شاء ل، كان عندي مرض سيلان البول فعافاني الله منه.

قلت: ولكن أخطر مرض قد عافى الله منه النفوس وشفى منه القلوب هو مرض الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية (حب الدنيا وكرهاية الموت)، فلقد أصاب الترهل جسد الأمة الإسلامية فأصبح مخدرا يقطع شلوا شلوا دون أن نحس بالأم، وابتلعت الأراضي الإسلامية قطعة قطعة دون غيرة لدى المسلمين، ولم تسمع لهم ركزا.

إن الجهاد قد أعاد الحياة إلى كثير من أوصال الأمة الإسلامية التي شلت وفقدت الإحساس وأصابها التبدل والموات.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

لقد وصلت الهزيمة إلى أعماق الأمة الإسلامية وأرواحها وقلوبها حتى ينست من كل شئ، وكما يقول الشهيد سيد قطب عند آية انفروا خفافا وثقالا : "إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض وارتفاع على ثقل اللحم والدم وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد وخلاص من الفناء المحدود.

إن الاستعلاء على ثقل الأرض وعلى ضعف النفس إثبات للوجود الإنساني الكريم فهو حياة بالمعنى العلوي للحياة، وإن التناقل إلى الأرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم فهو فناء في ميزان الله وفي حساب الروح المميزة للإنسان، ويمكنك القول: "إنه الموت حقا " (2) .

وبجانب هذا هنالك مرض خطير عالج الجهاد وتعاني منه البشرية جمعا وهو مرض (القلق) الذي أصبح شجبا رهيبا يطارد الناس ويقض مضاجعهم ويؤرق أجفانهم.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الطبراني وأحمد:

عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم .

لقد أصبحت الأمراض العصبية والنفسية سمة بارزة في الحضارة المادية المعاصرة، وإن السويد لتخصص 30% من ميزانيتها لمستشفيات الأمراض النفسية والعصبية والعقلية، وإن حوالي أربعة وخمسين مليونا من سكان الولايات المتحدة الأمريكية مصابون بهذه الأمراض ولا نجاة من هذه الأمراض ولا شفاء إلا بالعقيدة الحقة والجهاد.

إن الجهاد في سبيل الله ليخرج من حماة الجنس ومن مستنقع الشهوات الهابطة أسودا ضارية يصدق فيهم قول كعب بن زهير:

المكرهين السهمري بأذرع كسوافل الهندي غير قصار (4)

والناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليلة الأبصار  
والبائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكمرار  
فحي على الجهاد لشفاء أمراض صدرك، وغسل أضرار روحك، وتطهير علل قلبك.  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

- (1) الحديث الوارد من رواية أبي داود في كتاب الصيام وهو مروي عند ابن ماجه وكذلك الترمذي وقال عنه حسن صحيح غريب وأما رواية البخاري فهي بلفظ آخر والروايات جميعها عن ابن عباس.
- (2) تفسير الظلال (3/1655)
- (3) صحيح الجامع برقم (3942)
- (4) السميري : الرمح ، وسافلة القناة : أعظمها وأقصرها كعوبا، الهندي: الرماح.

#### الشبح الرهيب \*

[\*نشرت في مجلة الجهاد -العدد الخامس والعشرون- ربيع الثاني 1407هـ، ديسمبر 1986م].  
ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا وبعد:  
فقد كان الركب المهيب يتهاذى ميمما شطر البيت العتيق يقود الركب الكريم سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم- ومعه الف وخمسمائة من الاسود الضواري يلف اجسادهم البياض، وادعين وداعة حمام البيت سيوفهم في اغمادها، تدوي اصواتهم بالتلبية في أرجاء الصحراء فتقطع صمتها الموحش.

قال الزهري : ( وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمرور وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله لا تدخلها ابدا وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم، قال : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ياويح قريش لقد اكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فان هم اصابوني كان الذي ارادوا وان اظهروني الله عليهم دخلوا الاسلام وافرين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي يعتني الله به حتى يظهره أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها؟(1).

ماجملها من كلمة تنطق بلسان حالنا وتعبر عن مشاعرنا ... فنقول : هذا الشباب المسلم في كل مكان الذي يتقلب على مرقد كائما يتقلب شوك القتاد شوقا للقاء اخوانهم المجاهدين في افغانستان وتطلعا إلى اداء فريضة الجهاد، لقد أرق أجفانه وأقضى مضجعه أنات النكالي وأهات البتامي وزفرات المكروبيين.

نقول : ماذا على المسؤولين لوخلوا بين هؤلاء الشباب وبين الجهاد لنصرة اخوانهم الافغان ؟ فان استشهد هؤلاء الشباب كان للمسؤولين الذي ارادوا وارتاحوا من شرورهم؟؟؟ وان رجعوا رجعوا درعا لبلادهم وحصنا لدينهم ومبادئهم.

هذا الشباب ان لم تؤرقه صور المشوهين، واجهته صور المكومين الذين يموتون على الطرقات لايجدون من يضمدهم جراحهم أو يخفف آلامهم، كيف لايتكي العيون على عيون الاطفال التي نبتت من مؤقها ؟ وان لم يذب قلوبهم مناظر القصف الجوي الذي أحرق الاسر بكاملها قطر الكبد للاعراض التي تنتهك، وكيف لا يتمثلون بأبيات عبدالله المبارك :

كيف الفرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي

القائنات إذا خشين فضيحة جهد المقالة ليتنا لم نولد

شباب صدورهم تغلي كالمرجل، لم يعد يلذ لها نوم ولا تهنا بطعام :

غاب عن مقتلتي لذيق المنام شغلها عنه بالدموع السجام

شباب في كامل طاقتهم، يعيشون الاحداث الجسام التي تلف العالم الاسلامي، احزانهم تاكل اجسادهم اسود في عقلها تنقلت وتلتفت إلى مخرج، خوت جسامهم واصفرت وجوههم شوقا إلى اللقاء فوق ارض العزة والثناء، كل منهم لسان حاله يردد أبيات المتنبي :

يقول لي الطبيب أكلت شيئا وداؤك في شرايك والطعام

وما في طبه اني جواد أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغير في السرايا ويخرج من قتام في قتام

ان طاقة الشباب الضخمة تريد منصرا ومنطلقا، أيديهم مقيدة أرجلهم مصفدة، أنفاسهم محصية عليهم، الاقلام تتابعهم، أجهزة الرصد مسلطة عليهم، كالخيل تعلق لجمها يتلفتون حولهم يريدون لأنفسهم منطلقا أن يسهموا في هذا الفرض الرباني في نصرة إخوانهم فيجدون الحواجز الجغرافية وقيد التأثيرات وفراغ ذات اليد من ثمن التذكرة، يرون العيون التي تحمق تكاد تزلقهم بابصارها ومع هذا كله فقد استطاعت بعض النماذج أن تتخطى هذه العقبات وأن تحطم هذه الحواجز والعقبات.

وليت ولادة الامر اذ قعدوا غضوا الطرف عن هؤلاء الشباب الذين جمعوا ثمن تذاكرهم خلال سنوات بالقرش والقرشين ...

هؤلاء الشباب : منعوا من التفكير في الجهاد في بلادهم، واصابهم عديد من الامراض من رطوبة السجون وفي ظلمات غياهبها، لوكتشفت عن ظهورهم تنبئك آثار السياط عن مدى انسانية جلايهم .

مؤامرة تدور على الشباب ليعرض عن معانقة الحراب

كان من عادة الطواغيت : ان يبحثوا عن متنفس لهذه الطاقات فلا يجدون لهؤلاء الشباب سوى الصوفية السلبيه الانعزالية تمتص طاقاتهم وتنفس عما يجول في صدورهم.

ونحن نقول : ياويح هؤلاء الطغاة !! ماذا عليهم لو خلوا بين الشباب والجهاد الافغاني خير متنفس لمشاعر هؤلاء الشباب يؤدون فريضة الجهاد، من كل دولة أتى عشرة يزيدون او ينقصون قليلا، نصفهم يستشهدون ربعهم تقطع أرجلهم او تشوه اجسامهم بالقذائف، وتستريح منهم انظمتهم الحاكمة ومع هذا كله : فحكوماتهم لاتدعهم أجهزة مراقبتها ناشطة يفتشون جواز كل قادم لعل عليه تأشيرة باكستانية .

وتبدأ الأجهزة تتابع تفاصيل خطوات هذا الشاب منذ خروجه من أرض بلده إلى عودته، وسيكون من السعداء ان نجا من العذاب المستطير، وان أفلت بنفسه من قبضتهم فلن يفلت جوازه ليحدودا حركته أو ليجمدوا نشاطه.

بدأت الضغوط على السفارات الباكستانية في الخارج لتعقيد معاملات التأشيرات ولتصبح التأشيرة الباكستانية أصعب من التأشيرة إلى الدول البترولية وكانت من قبل تمنح التأشيرة في المطار لأي زائر ومن أي جنسية كان .

ثم بدأت الخطوط لكثير من الدول لاتقل اي راكب ذاهب إلى باكستان على متن طائرتها الا إذا كان يحمل التأشيرة الباكستانية .

كثير من الأطباء المختصين والفنيين وغيرهم ردوا من أبواب السفارات الباكستانية خائبين بعد أن كانوا يحملون بين جوانحهم آمالا عراضا في خدمة الشعب الافغاني المسلم المجاهد، بينما لايتكلف الغربي سوى بضع دقائق لأخذ التأشيرة !! ؟

ففي بيشاور وحدها (31) منظمة غربية نصرانية تزاوّل عملها بحرية وتحت التسجيل ست منظمات نصرانية أخرى وفي بلوشستان (12) منظمة نصرانية وليس في الساحة سوى أربع منظمات إسلامية مسجلة ومع هذا لا تجد الراحة ولا التسهيلات التي تجدها المنظمات الغربية!! .

أقول : سبحان ربي - المسلم الذي جاء يؤدي فريضة الجهاد يمنع من اداء عبادته واما الغربي الذي ليس للدين حساب في معاملاته يجد كل ترحاب !!

احرام على بلبله الدوح حلال للطير من كل جنس  
نعم : نحن لا نغفل الرعب العالمي والفرع الدولي من استيقاظ روح الجهاد لدى الأمة المسلمة، ولقد بدأ الجهاد الأفغاني المسلم يوقظ الأمة من سباتها ولا يغيب عن أذهاننا الضغوط الدولية والمحلية التي تواجهاها باكستان.  
نعم : نحن ندرك كذلك الجهود الضخمة التي بذلتها الأجهزة العالمية والمؤسسات الغربية والأكاديميات من أجل تشويه عبادة الجهاد في اذهان الجيل، بل لمسح مفهوم الجهاد والقتال وتحويله إلى كلمات ميتة وعبارات جامدة باردة .  
نعم نحن نعلم المخططات الرهيبة من أجل تحويل المسلم الذي تزلزل هيئته أوصل الكفر إلى غشاء كثفاء السيل، ومن أجل غرس الوهن في أعماق ذراري المسلمين وهو حب الدنيا وكراهية الموت أو كراهية القتال كما جاء في رواية الإمام أحمد الصحيحه(2)  
نعم : نحن نعرف النحل والملل التي اخترعها الغرب من أجل محاربة عبادة الجهاد كالكاديانية والبهائية والبابية وما سبقها من الفرق الباطنية الكافرة كالإسماعيلية والنصيرية .

نعم : نحن نعي التصفية الجسدية لأولئك الذين زاولوا عبادة الجهاد بانفسهم في فلسطين وسوريا وغيرها .  
نعم ونفهم : كيف قتل الأستاذ البنا 12 شباط 1949م بعد أن أرسل برقية إلى مؤتمر القمة المنعقد في عالية بالسماح له بدخول فلسطين بعشرة آلاف مسلح حيث كان الأعتيال في عيد ميلاد فاروق وعلى يد مدير مخابرات القصر محمود عبد المجيد !!؟  
ونعلم : كيف أقدمت مصر على عقد معاهدة رودس مع اسرائيل بعد اغتيال البنا بيومين في 14 شباط 1949م .  
ونعلم : كيف قرر السفراء الثلاثة الأمريكي والبريطاني والفرنسي حل جماعة الإخوان في 6 ديسمبر 1948 عندما عازمت على دخول معركة فلسطين بتقلها، واقت بالقرار إلى النقراشي رئيس وزراء مصر لتنفيذه .  
وندرك كيف عومل المجاهدون في فلسطين من ابناء الحركات الإسلامية وكيف اعتقلوا من ارض الجهاد إلى سجن العذاب وسوط الجلال في مصر .

ونعلم : ان كل من حضر الجهاد في فلسطين وقناة السويس كان جزاؤه في محكمة الثورة سنة 1954م إما الإعدام - وهو الذي لقيه محمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير ويوسف الطيب ومحمود عبد اللطيف وعلى رأسهم وكيل الجماعة عبد القادر عودة - وإما الأشغال الشاقة المؤبدية .

وندرى : ضخامة الأجهزة التي تتابع دقائق حركات الشباب الذين يفكرون في الجهاد سواء في مصر أو في غيرها والمؤامرات التي تحاك ضد الشباب وتكون التهمة الضخمة البارزة في محاكماتهم هي رغبتهم في الجهاد .

نحن نعرف : الكيد العالمي والمحلي ضد الجهاد  
وقد مكروا مكروهم وعندالله مكروهم وان كان مكروهم لتزول منه الجبال  
( ابراهيم: 46)

ولكن الذين يكيدون يغفلون سننا وقوانين وهي :

- 1- ان القدرة بيد الله  
والى الله ترجع الأمور .  
(آل عمران: 901)  
؛واليه يرجع الأمر كله» .  
( هود: 123)
- 2- انه لا يحق المكر السيء الا بأهله قال رجل لأبن عباس رضي الله عنه انا لنجد في التوراة من حفر لأخيه حفرة وقع فيها، قال ابن عباس : وهو في القرآن، وتلا الآية السابقة .  
قال تعالى:

ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون # فانظر كيف كان عاقبة مكروهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين # فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون# وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

(النمل: 50 - 52)

3- وينسون ان الله يدافع عن الذين آمنوا

(الحج: 82)

4- ويغفلون

وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا، ان الله بما يعملون محيط

(آل عمران: 120)

5- ولا يعلمون :

؛ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون».

(الأنفال: 36)

6- وينسون:

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون

( التوبة: 32 - 33)

ان الجهاد هو الشبح الرهيب الذي يقض مضاجع أعداء الله ولكنهم ينسون البشرى التي بشرنا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليبليهن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وير الا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاء يعز به دين الله وذلا ينال به الكفر (3)

والعاقبة للمتقين .

وسبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت أستغفرك وأتوب إليك .

- (1) السيرة النبوية لابن هشام (3/197)
- (2) أخرجه الإمام أحمد في المسند (5/278) عن ثوبان رضي الله عنه.
- وهو عند أبي داود برقم (4297)
- وهو في صحيح الجامع الصغير برقم (8183)
- (3) حديث صحيح رواه أحمد (4-103)
- والطبراني في الكبير (1-126)
- والحاكم (4-430)
- وهو في السلسلة الصحيحة برقم (3) الجزء الأول.

هزيمة أم خديجة ! \*

[نشر في مجلة الجهاد العدد-السادس والعشرون- جمادي الأولى 1407هـ، الموافق يناير 1982م].  
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ... اللهم لاسهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا وبعد :  
فقد أعلن نجيب الرئيس الشيوخي لافغانستان وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية عشرة ليلة 15 يناير سنة 1987 وصرح بأنه سيطلق السجناء وأعلن أنه يفتح ذراعيه ليحتضن من مد يده من المجاهدين ورحب بمن أراد العودة من المهاجرين إلى أفغانستان وأحضر خمسين صحفياً إلى كابل ليروا بأم أعينهم وقف إطلاق النار، ودخل مراسل اذاعة BBC (صوت بريطانيا) لأول مرة كابل بعد سبع سنوات (منذ الاحتلال الروسي).

وأعلنت روسيا أنها لن تحمي نظام كابل فيما بعد وأنها ستسحب على مراحل خلال سنة أو أكثر، ونزل العملاق الكبير لأول مرة من عليائه وقيل إن يجلس مع مندوب باكستان بعد أن كان يأنف من الجلوس مع دولة من دول العالم الثالث المتخلف، وحضر وكيل الخارجية الروسية مع وكيل الخارجية الأمريكي ليتداولوا مع باكستان الأمر.

وكان رد المجاهدين الحاسم أن شددوا ضرباتهم بعد وقف إطلاق النار، ولقد رأيتني وأنا أقرب المجاهدين وهم يصوبون حمهم فوق مواقع الاعداء يوم الخامس عشر من يناير في خوست ومامن مجيب وزحف المجاهدون ليلاً على (تورس) أي القمة السوداء وعندما اقتربوا من القمة خرج الشيوخون يستغيثون ويناشدون المجاهدين بالله والاسلام أن يوقفوا جام الغضب المنصب فوق رؤوسهم ويقولون للمجاهدين : لقد أوقفنا إطلاق النار فلم تطلقوا علينا نحن مسلمون نصلي ونصوم ويقسمون للمجاهدين على هذا ؟!  
وقد سير المجاهدون مجموعاتهم الكثيفة إلى كابل ليحيطوها كتلة ملتزمة من النار أثناء وجود الصحفيين. وقد اقام قادة المجاهدين مؤتمراتهم للرد على الحلول السلمية وقال سيف : ان رأيتوني وافقت على وقف إطلاق النار فلاتطيعوني.

وفي يوم السبت 17/1/1987 أقام قادة المجاهدين السبعة مؤتمراً واحداً لشجب الحلول السلمية وكان يوماً مشهوداً في بيشاور كيوم الحج الأكبر ولعل بيشاور لم تشهد طيلة حقبة التاريخ مؤتمراً فيه من الأفواج البشرية التي يصل عددها على أقل تقدير سبعين الفا من المجاهدين ماشهده هذا اليوم، وكان يوماً تاريخياً شرح الله صدور القادة السبعة على كلمة سواء برفض الحلول السلمية رفضاً قاطعاً وأعلنوا جميعاً وبصوت واحد وبرأي واحد رفض الحل السياسي الخادع ويختلف المراقبون في تحليل موقف روسيا.

1- فمنهم المتفائل : الذي يرى أن روسيا جادة في الخروج وتريد أن تحفظ ماء وجهها أمام شعوب المعسكر الاشتراكي بحيث تخرج وقد حققت شيئاً من مطالبها وعادت وفي يدها شيء تقدمه أمام المبهورين بالهالة الكبرى التي تحيط بروسيا خاصة الدويلات الهزيلة التي تدور في فلكها، ويؤيد هذا الفريق من المراقبين رأيه بالأرقام قاتلاً : ان روسيا قد أنهكت خلال هذه الاعوام السبع التي خاضت فيها حرباً شرسة مع الافغان.

فالجيش الافغاني الشيوخي : كان يملك قبل دخول روسيا.

أ - قوة جوية : مكونة من مائتي طائرة من الطائرات القديمة (MI8) وميج 17 موزعة على خمس مطارات عسكرية، بينما خسرت روسيا على أقل تقدير ومن خلال الأرقام التي لا تتركها هي والتي سجلتها الاقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية والأمريكية، ومن الطائرات الحديثة ميج 21، 23 وسوخوي 22 و MI24 وغيرها ألف طائرة.

وأستهلك لديها ألف طائرة أخرى من خلال العمليات الحربية إذ أن الطائرة بعد طيران ثلاثة الاف ساعة تصبح شبه مستهلكة وهذا يعني أن روسيا قد خسرت (ألفي طائرة) على مدى السنوات السبع وحصيلة هذا أن روسيا خسرت عشرة اضعاف قوة سلاح الجو الافغاني الشيوخي.

وتقول مصادر المجاهدين : لقد اسقطنا سنة 1986 مائتين وثمانين طائرة.

ب- أما بالنسبة لقوة المدرعات : فقد كان الجيش الروسي يملك قبل دخول الروس ألفي دبابة من الدبابات الروسية القديمة. وخلال السنين السبع العجاف التي انزلت فيها اقدام الدب الروسي على سفوح الهندوكوش حطم المجاهدون على الأقل ثمانية الاف دبابة وعربة ومدرعة دون ريب وبتفاق المراقبين واستهلك من الدبابات نصف هذا العدد تقريباً.

وبهذا تصبح الدبابات والمدرعات المفقودة لروسيا ما يوازي ستة اضعاف ما كانت تملك القوات المسلحة الشيوخية في أفغانستان.

ج- وبالنسبة للقوة البشرية : فقد كان عدد الجيش الافغاني قبل التدخل الروسي 85 ألف، وقد قتل وجرح من الجيش الافغاني مثل هذا العدد تقريباً حسب ما صرحت به مصادر المجاهدين والاقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية والأمريكية.

وقتل وجرح حوالي 50 ألف افغاني وروسي.

من أجل هذا كله فإن روسيا جادة في خروجها ولأمناس لها من أن تخرج وذيولها بين أرجلها تجر اثواب الخزي والعار باذنه تعالى.

يقول حكمتيار : (لم يبق امام روسيا سوى أحد امرين اما أن تدخل الهند وباكستان في حرب ضروس وإما أن تخرج من أفغانستان).

ويؤكد هذا الفريق المتفائل أن روسيا قطعاً ستخرج ولكنها تريد أن تحصل على ضمان بوجود حكومة غير معادية للاتحاد السوفيتي ولذا كثرت الاتصالات بالملك ظاهر شاه ورؤساء وزرائه محمد يوسف وصمد حامد وغيرهم من أعمدة الحكم الملكي الغابر.

2-وأما الفريق المتشائم : فهو على الطرف المقابل إذ يقول :

ان التاريخ الروسي حافل بنقض المعاهدات واعتنام الفرص في ابتلاع الشعوب الفقيرة، منذ لينين، يوم أن أمن الشعوب الاسلامية في طشقند والقزم واذربيجان على دمايها ودينها واعياها ثم انقض عليها واقتربها ومسح دينها وحارب قرآنها بعد أن ساعدته في القضاء على القيصرية.

ويقول هذا الفريق : لم يسبق للجيش الاحمر أن دخل أرضاً وانسحب منها.

ويضيف هذا الفريق قاتلاً : عندما لا قوا من الاهوال مالا قوا على يد المجاهدين في بخارى لجأوا إلى الخديجة فانسحبوا وتركوا أهالي بخارى يقيمون حكومة، وبعد أن ألقى الشعب المسلم سلاحه ولما يمض سوى ستة أشهر على عمر الحكومة البخارية الغضة انقضوا عليها وابتلعوها فيما ابتلع من الاراضي الاسلامية والتي تشكل تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتي.

وعلى اية حال - والله أعلم بما تخبئه الاقدار فنحن نتوقع مايلي :

1- ان استمرار القتال هو الطريق الوحيد لدحض الروس ودحرهم  
فقاتل في سبيل الله لتكلف الانفسك وحرص المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا  
( النساء: 84 )

ولاتهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون  
( النساء: 104 )

2- إذا سقط السلاح من أيدي المجاهدين فمن الصعب ان يرفعوه مرة أخرى.

3- لن يجد قادة الجهاد مناصا من أن يغادروا ارض باكستان ليكون القرار السياسي والعسكري بأيديهم وحدهم لاينازهم فيه أحد ولن يستقلوا بقرارهم السياسي ماداموا فوق أرض باكستان التي تخضع للضغوط الدولية ولاتملك زمام أمرها في اللعبة الدولية.

4- إذا أصر قادة الجهاد على عقيدتهم  
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة  
( النساء: 74 )

فلابد أن يواجهوا في المستقبل من المشاكل الحدودية والقيود في التأشيرات واوراق السفر ومصادرة المساعدات ومنع وصول الانصار  
لهم مالا يعلمه الا الله  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك واتوب اليك.

جهاد لا إرهاب \*

[نشر في مجلة الجهاد العدد- السابع والعشرون- جمادي الثانية 1407هـ، الموافق فبراير 1987م].

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره .... وبعد :

فكلما ذكر اسم الجهاد انتفض الكفر فزعا من هذه الكلمة، وكلما تكلم المسلمون عن الدفاع عن حقوقهم انبرت اجهزة الإعلام الغربية تشوه الإسلام وتصم المسلمين بالوحشية وبالقسوة، ويرسمون للمسلم الصادق المجاهد صورة الجعظري الجواظ الغبي يركب على ناقة هوجاء تخبط خبط عشواء لايلوي على شيء لايقا تل انسانا الا واختلط سيفه ليقطع عنقه لأن نفسه مولعة بحب الدماء ولايستطيع الراحة الا على اكوام الجماجم والأشلاء !!؟

وكما قال الأستاذ المودودي في كتابه " الجهاد في الاسلام " (1) : (ولقد جرت عادة الافرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحرب المقدسة HOLY WAR ولقد فسروها تفسيراً منكراً وتفننوا فيها وألبسوها ثوبا فضفاضاً من المعاني المموهة الملففة وقد بلغ الامر في ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء، وقد كان من لباقتهم انه كلما سمع الناس الجهاد تمثلت أمام أعينهم صورة المواكب من الهمج المحتشدة، معلقة سيوفها منقذة صدورهم بنار التعصب والغضب، متطايرين من عيونها شرار الفتك، عالية اصواتها بهتاف (الله اكبر) زاحفة إلى الامام ... ولقد رسم الدهان هذه الصورة بلواقعة فائقة وتفننوا فيها بريشة المتفنن المبدع وكان من دهانهم ولباقتهم في هذا الفن أن صبغوها من النجيع الأحمر وكتبوا تحتها نقاط شائقة هذه الصورة مرآة لسلف هذه الأمة من شره لسفك الدماء وجشعة إلى الفتك بالأبرياء .

وان الإنسان ليمتلكه العجب والحيرة اذ يرى أيدي الرسام نفسها ليست غارقة بالدهان الأحمر الذي يشوهون به صورة هذه الأمة بل ملطخة بدماء الأبرياء، وما تركوا بقعة من بقاع الأرض الا وخلفوا وراءهم من المآسي مالا يستطيع البيان نقله وما يعجز القلم عن تصويره وتقريبه إلى الأذهان، لاشيء الا لأنهم يبحثون عن اسواق تجارية لبضائعهم أو يجوبون الأرض طلباً لوقود مصانعهم أو ذهب خزائنهم !! والويل كل الويل للبقعة الغنية، فإن أهلها سيشتهدون من المجازر ويرون من المصائب على أيدي هؤلاء - الذين يصفون المسلمين بالوحشية والحيوانية - مالا يتصوره عقل بشري .

ومما يندى له الجبين أن أبناء المسلمين قد صدقوا عن أنفسهم وعن آبائهم ما يرسمه هؤلاء المستشرقون عنهم وما يكتبه هؤلاء الحاقدون من تاريخهم، فأصبحوا يتوارون حياء من هذا التاريخ الملطخ بالدماء والذي لايدع المجرمين ولا الأبرياء ؟!!

لعل ذراري المسلمين نسيت حروب المائة سنة وحرب السنوات السبع التي جرت في القرون الماضية بين فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية ولعله فاتهم أن يطلعون على مذابح الكاثوليك للبروتستانت في داخل معابدهم، وقد فاتهم أيضا أن يطلعون على المجازر التي جرت لليهود في ارجاء أوروبا ولم تنج بقعة من بقاع أوروبا منها على أيدي النصارى - أبناء كتابهم الواحد - وأما من التاريخ القريب فإن امريكا زعيمة العالم المتحضر ؟؟ أو (المتحضر) على الأصح ماقامت الا على اشلاء شعب بكامله من سكان البلاد الأصليين الذين أبادوهم ولم يبق منهم سوى بضعة ملايين وضعوهم في أماكن للسباح كجثث الموتى في قاعة المومياء - لايزالون يضيئون بيوتهم بالسرج في "انديانا" وغيرها في وسط امريكا الشمالية وهم شعب الهنود الحمر سكان امريكا الأصليين .

ولعل أبناء المسلمين ينسون مآسي حربين عالميتين أثارها الغرب على مدى ربع قرن ذهب ضحيتها قرابة خمسين مليونا من البشر مابين قتيل وجريح ومشوه ومعتوه، كانت حربا طاحنة ضرورا على مطامع هزيلة وآمال صغيرة - جسم البغال واحلام العصافير - . ولعل أبناء المسلمين لايدركون الحرب الثقافية المنظمة والغزو العالمي الفكري لهم لينفروهم من الجهاد فيثيرون قضايا الرق والجزية وقتل الأسرى ليصوروا المسلمين مجموعة من اللصوص والقتلة وسفاكي الدماء، منطلقين في الأرض سيوفهم مشرعة لارواء نهمهم للدماء، واشباح نزواتهم من النساء واسكات سعارهم للثراء .

ولعل أبناء الإسلام الذين لم يطلعون على مصائب التاريخ الدامي للصليبيين في الغرب ومواقفهم تجاه الإسلام والمسلمين يستحيون من تاريخهم المشرف الذي كان مثالا للرحمة الربانية المهداة إلى البشرية، وكيف أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استطاع ان يفتح الجزيرة العربية بأكملها ويوحدها تحت راية التوحيد ولم يصل القتلى من الكفار جميعا ثمانمائة شخص .

أما بالنسبة للصليبيين فلندع ابن الأثير يحدثنا عنهم عند دخولهم بيت المقدس في 15/7/1099م الموافق 492هـ فيقول : (وركب الناس السيف ولبت الفرنج في البلدة أسبوعا كاملا يقتلون في المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بحراب داوود واعتصموا به وقتلوا فيه ثلاثة أيام فيذل لهم الفرنج الأمان ووفوا لهم ثم خرج المسلمون ليلا إلى عسقلان فأقاموا بها، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى مايزيد على سبعين الفا !! منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم المجاورين للمسجد الأقصى) ؟!! (2) .

ويقول ريموند راجيل (مؤرخ صليبي) انه عندما زار الحرم الشريف أثناء المذبحة الرهيبة التي ارتكبتها الصليبيون لم يستطع أن يشق طريقه وسط اشلاء المسلمين الا في صعوبة بالغة (وان دماء القتلى بلغت ركبتيه) ! ويقول غوستاف لوبون (3) : (وكان من أحب ضروب اللهو اليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إربا إربا كما روت (أن كومنين بنت قيصر الروم) . وينقل غوستاف لوبون عن الكاهن ريموند داجيل خبر ذبح عشرة الاف مسلم في مسجد عمر رضي الله عنه .

وحتى لاننسى : فإن الحملة الشعواء التي شنّها المستشرقون على الجهاد أدت إلى نتائج سيئة وأثار سلبية في نفسيات ذراري المسلمين المهزومين روحيا وعقليا أمام هذا الهجوم الإستشراقي الماكر وتحت ضغط الواقع المرير الحاضر .  
ان الغرب لا يخفي تخوفه من الجهاد وفرقه وفزعه من القتال : تقول مجلة العالم الإسلامي الإنجليزىة (إن شيئا من الخوف يجب ان يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف اسباب منها: ان الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف بل دائما في ازدياد واتساع، ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب بل ان من اركانها الجهاد) .

وقال روبرت بين (ان المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية) ويقول ولفرد كانتول سميث : (ان اوروبا لا تستطيع ان تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون والإسلام يجتاح الأمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب) (4) .  
ويقول لورانس براون (الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته انه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الأوروبي) (5) .

لقد خطط الغرب لقتل روح الجهاد في نفس الأمة المسلمة، ورسم لذلك مناهج ووضع برامج للإستيلاء على هذه الأمة الحية المجاهدة بعد اجتثاث العقيدة الإسلامية والعبادة الجهادية من اعماقها :

1- فالرحلات الإستكشافية كانت صليبية : يقول فاسكودي جاما عندما وصل إلى رأس الرجاء الصالح : (الآن طوقنا رقبة الاسلام ولم يبق الا جذب الحبل ليختنق فيموت) (6) .

2- وكانت المدارس العقلية الحديثة التي حاولت أن تخضع النصوص الربانية للعقل وأن تلوي أعناق النصوص الجهادية وحاولت وهي تدافع عن شريعة الجهاد أمام الغرب أن تظهر الإسلام ديناً دفاعياً لا يمكن أن يقاتل الا دفاعاً عن حدود جغرافية وكان الإسلام نحلة قوم معين ونزل ليكون دين الجزيرة العربية فقط وتبعهم في هذا المنهاج الأساتذة عبد الوهاب خلاف في (السياسة الشرعية) ومحمد عزة دروزة في كتاب (الجهاد في سبيل الله) وعلي علي منصور في كتابه (الشريعة الإسلامية والقانون الدولي) ومحمد رأفت عثمان في كتابه (الحقوق والواجبات) وأحمد محمد الحوفي في كتابه (سماحة الإسلام) (7) .

3- حاولوا أن يبيعوا عقيدة الحب والبغض في الله والولاء والبراء في الإسلام .

4- الدعوة إلى القومية وتقديم النصراني العربي على المسلم الأفغاني والتركي والباكستاني .

5- الدعوة إلى الإنسانية .

6- الدعوة إلى تقارب الأديان واذابة الفوارق بينها .

7- الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي .  
9- انشاء فرق صالة تدعو إلى مسح الجهاد في الإسلام كالفاديانية والبهائية والبابية، يقول ميرزا غلام أحمد القادياني (8) : لقد ظلمت منذ حادثة سني، وقد ناهزت اليوم الستين اجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص لهذه الحكومة الإنجليزىة وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وحدثت تحولا في مئات الآلاف منهم، ويقول : (اليوم الغي حكم الجهاد بالسيف ولاجهاد بعد اليوم ! فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازيا يكون مخالفا لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرنا بالغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود فأنا المسيح الموعود ولاجهاد بعد ظهوري الآن، فنحن نرفع علم الصلح وراية الأمان) ويقول (اتركوا الآن فكرة الجهاد ولأن القتال للدين قد حرم !! وجاء الإمام والمسيح ونزل نور من السماء، فلا جهاد، بل الذي يجاهد في سبيل الله الآن فهو عدو الله) .

وأما البهاء (اله البهائية) فيقول في تحريم الجهاد : (البشارة الأولى التي منحت من ام الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو الجهاد من الكتاب) . (وحرم عليكم حمل آلات الحرب) ! . ويقول عبد البهاء عن أبيه (محا آية السيف ونسخ حكم الجهاد) (9).

ان هذه الطائفة صناعة يهودية بدليل : بعد موت طاغوتهم الثالث - مرزا شوقي - اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في اسرائيل وانتخب صهيونيا امريكا اسمه (ميسون) ليكون رئيسا روحيا لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم !!!

أما صلة البهائية بالأنجليز فهي عريقة ..  
بل برعايتهم وتفكيرهم قاموا واستمروا .

يقول عبد البهاء في لندن : (ان مغناطيس حكيم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة) (أصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين) (10).

نحن لانستحي من ديننا ولا من اوامر ربنا، نقولها بصراحة دون تلثم ولا موارد ولا جمجمة ولا غمغة .

1- ان الجهاد فريضة ربانية في هذه الأمة لإنقاذ الأرض كلها من جور الطواغيت واستعباد الطغاة إلى عدل الإسلام ورحمة هذا الدين .

2- ان دين الله دين للبشرية جمعاء، ونحن نريد نشره حتى يعم ربوع العالمين وفي صحيح مسلم (11) :  
ان الله زوى لي الأرض شرقها وغربها وإن ملك امتي يصل إلى ما زوى لي منها  
وفي الكتاب العزيز :

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون  
(التوبة: 32)

3- ان رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد (21) وغيره  
بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم .

ولكن السيف لأكابر مجرميها وسدنة الكفر وأئمة الطغيان الذين يعبدون البشر لأنفسهم من دون الله، والذين يدعون لأنفسهم الألوهية عملا وان لم يصرحوا بها قولا .

أقول : ان السيف لإزالة الحواجز من الأنظمة الكافرة والعقبات الإقتصادية والإجتماعية التي تحول دون استمتاع الشعوب بدين الله وتمتعهم من التقوى في ظلاله .

وبعد ازالة هذه الحواجز من أمام الدعوة الإسلامية يعرض على الشعوب  
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر

لاكره في الدين قد تبين الرشد من الغي  
(البقرة : 256)

4- ان كلمة الجهاد في سبيل الله : تعني عند الأئمة الأربعة - إذا اطلقت القتال، قال القسطلاني : الجهاد هو : (قتال الكفار لنصرة الإسلام .. وإعلاء كلمة الله) .

وقال ابن حجر العسقلاني : (الجهاد هو بذل الجهد في قتال الكفار) (13).

ونحن لا نريد أن ننسخ حكم الجهاد بالسيف لنرضي الغرب، ولانقبل أن نمسخ هذا الركن العظيم فنجعله كلمات تقال على المنابر، أو مقالات تنتشر على صفحات الجرائد، يقول ابن رشد (14) (وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا اطلق فلا يقع باطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الاسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). أسمعت أخي المسلم كلام ابن رشد؟ فلاتتمحل بعدها ولا تتأول.

5- ان عبارة (رجعنا من الجهاد الأصغر - القتال - إلى الجهاد الأكبر - جهاد النفس - التي تنتشر على اللسان بأنها حديث، فان يحيى بن العلاء : قال ابن حجر عن هذا الراوي : رمي بوضع الحديث، وقال أحمد عنه : يحيى كذاب يضع الحديث.  
وقال الدارقطني : متروك، فالحديث ضعيف جدا او موضوع (15).

قال ابن حجر العسقلاني : هو كلام ابراهيم بن عيلة.

6- لم يبق امام الاجيال التي يبيدها أعداؤها ويحاربون اسلامها الا أن تردد قول المتنبي:

لان عمرت جعلت الحرب والدة      والسمهري أبا والمشرقي أخا  
(السمهري : الرمح - والمشرقي : السيف)

ولم يبق أمامهم سوى طريق الأفغان المجاهدين

واخواننا الافغان أضحى مقيلهم      ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

(المقييل : المنام - المذاكي : الخيل الناضجة القوية والقشاعم : النصور الكبيرة)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت استغفرك واتوب اليك

(1) انظر الظلال /ج3/ص1444 من مقدمة تفسير سورة الانفال (نقلا عن كتاب الجهاد للمودودي )

(2) انظر الكامل لابن الأثير (10/283)

(3) حضارة العرب لـ"غوستاف لوبون" ص -384

(4) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ، ص -32

(5) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدي ، ص -384

(6) المستشرقون والاسلام لمحمد قطب ، ص -32

(7) اهمية الجهاد للدكتور علي العلياني ، ص-504

(8) " تبليغ رسالة " للقادياني (7/10)

(9) أهمية الجهاد للعلاني ص- (504، 509)

(10) حقيقة البابية والبهائية لمحسن عبد المجيد ص(237 - 244)

(11) شرح النووي / ج18/ كتاب الفتن / ص -13 وهو في المختصر برقم (2000)

(21) رواه أحمد في المسند (2/92)

(31) فتح الباري /ج6/ص2

(41) مقدمة ابن رشد (1/368)

(51) ضعيف الجامع الصغير (4/118)

لأيام الشدائد \*

[نشر في مجلة الجهاد العدد-الثامن والعشرون- رجب 1407هـ، الموافق مارس 1987م].

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله.

اللهم لاسهل الاماجلته سهلا وانت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

يروى ابن هشام عن ابن اسحاق في السيرة قصة طريفة في فتح مكة وخلاصتها ان رجلا من الكفار من بني بكر اسمه حم اس بن قيس بن خالد كان دائم العناية بسلاحه فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد واصحابه، قالت : والله مايقوم لمحمد واصحابه شيء، قال : اني لأرجو أن أخدمك بعضهم (اي أتيك بخادم من المسلمين) ثم قال :

ان يقبلوا اليوم فمالي علة      هذا سلاح كامل وآلة

وذو غرارين سريع السلة

وجاء يوم الفتح والتفت مجموعة من صناديد قريش في الخندمة (مكان أسفل مكة) وكان من بينهم عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو وقابلهم خالد يقود المجنبة اليمنى لجيش الفتح الزاحف فناوشهم خالد شيئا من قتال فأصابوا من المشركين اثني عشر رجلا فانهزم المشركون وانهزم حماس بن قيس الذي كان يعد السلاح لقتال المسلمين حتى دخل بيته، فقال لامرأته : اغلقي علي بابي فقالت : واين ماكنت تقول،فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمة      اذ فر صفوان وفر عكرمة

واستقبلتنا بالسيوف المسلمة      يقطعن كل ساعد وجمجمة

ضربا فلا يسمع الاغمغممة      لهم نهيت خلفنا وهممة

لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة (1)

وفي الأدب الشعبي طريفة من الطرائف أن رجلا كان ذا شغف بالغ بمسدسه وحزام رصاصه، فكان لاينام الا وهو متمنطق بمسدسه ومامن يوم يمر الا ويمسحه ويلمعه، فقالت له زوجته : ماهذا الوله البالغ بهذا المسدس ؟ قال لها (هذا المسدس لأيام الشدائد) وذات ليلة واذا بلص يقتحم عليهم بيتهم وبدأ يجمع الأمعة فرفعت رأسها فرأت اللص فهزمت زوجها بجانبها أخرج مسدسك ياأبا فلان فأجابها بهدوء العاقل (هذا المسدس لأيام الشدائد) ! وأخذ اللص ماجمع من متاع وخرج دون أن يحس من صاحب البيت همسا أو يسمع له ركزا، ومضت الأيام وذات يوم كان الرجل مع زوجته قرب بستانهم بعيدا عن القرية وانتلاق الأصيل ينعكس بشعاعه الذهبي عن صفحة مسدسه وعن ذخيرته التي ترصع صدره كأنها الجمان، وأقبلت مجموعة من اللصوص ورأوا هذه الحوراء الجميلة معه فأقبلوا عليه وأخذوا يبيدها فنظرت اليه بحسرة ومرارة وقالت يا أبا فلان أما أن لهذا المسدس أن يخرج من غمده فقال لها بصوت هادئ رزين متعقل هذا المسدس لأيام الشدائد ومضى اللصوص بزوجته وبقي المسدس لأيام الشدائد!

هذا حال معظم المسلمين اليوم كما يقول المتنبي :

غيري بأكثر هذا الناس ينخدع      ان حدثوا شجعوا اوقابلوا جبنوا

أعداء الله يتناوشونهم من كل جانب كالخراف في الليلة الشاتية تمرقها الذئاب وتفترسها الكلاب ولا تسمع صوتا من أولي الألباب.  
كانك تعيش في قفار يباب لا ينعق فيه سوى اليوم والغراب.  
الدواوين عامرة ... الأسنة منطلقة .. المنتديات زاهرة .. ان انشدوا هزوا الارض بالتهديد والوعيد وزلزلوا المعمورة بالادعاء، وعندما تأتى ايام الشدائد تتلفت حولك فلاتجد أحدا ! ؟

ثمانية أيام ؟! فقالوا " ان الشعب الافغاني لم يخض المعركة وانما هي حرب بين العملاقين الكبيرين (فهي حرب الكواكب والنجوم) !فقلنا لهم : ان امريكا تقف معكم، وروسيا تقف مع بعضكم، فلماذا لم تقفوا كما وقفوا، ولكن قولكم رجم بالغيب واتباع للظن بلا دليل، ونحن الذين في الساحة نكاد نجزم أن أمريكا ليس لها دور لافي حرب ولافي سلاح، وانما هي مساعدات صحية وغذائية للمهاجرين، ومع ذلك رفضها كثير من قادة الجهاد رغم حاجتهم الماسة لها.

ونحن نقول لقد بنى الأفغان سدا من الجمجم تعداده مليون ونصف مليون جمجمة حمى الاسلام من طوفان الشيوعية العفن ومن تنينها الشرس.

وختاماً نقول لكم : ادخروا الطاقات لايام الشدائد !!!! ونضيف :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم \_\_\_\_\_ من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك.

(1) الرحيق المختوم / ص - (473)

(2) فتح الباري / ج 6 / ص - 31

(3) البحر الرائق / ج 5 / كتاب السير / ص - 72

#### الإسلام بين العالمية والإقليمية \*

[نشر في مجلة الجهاد العدد-التاسع والعشرون- شعبان 1407هـ، الموافق ابريل 1987م].

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا . . أما بعد :

فلقد جاء هذا الدين لينقذ الانسان - جنس الانسان - في الارض - كل الارض - من حمأة الطين إلى آفاق العقيدة المشرفة ومن تجمع الناس على الحظيرة والكلأ والعون إلى تجمعهم على العقيدة والفكر والدين فكانت نداءات القرآن يأياها الناس ، يأياها الذين آمنوا ، يأياها الذين اتوا الكتاب النداءات موجّهة لإنسانية الانسان ولفكره ولعقيدته، ولم يرد نص واحد في الكتاب العزيز (ياأيها العربي)، (ياأيها الهاشميون)، (يااهل الحجاز).

وكانت النواة الاولى التي بدأت مسيرة هذا الدين على الارض تضم صهييا الرومي وبلالا الحبشي وحمزة العربي ثم سلمان الفارسي، وقد فهم المسلمون الذين اعتنقوا هذا الدين وضحو من اجله بالغالي والرخيص انهم قد تطهروا من نتن القوم ومن ظلمة الطين وتدرجوا صعودا من السفح الهابط إلى القمة ليستنشقوا أريج الافاق العليا وعبق هذا الدين الفواح.

وقد علمهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كيف يحطمون قيود القبلية وكيف ينطلقون من حمية اللون والجنس، فقال -صلى الله عليه وسلم- :

لينتهين اقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، انما هم في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يهدده الخراء بأنفه، ان الله اذهب عنكم عبيّة (كبر) الجاهلية وفخرها بالآباء، انما هو مؤمن تقي او فاجر شقي الناس كلهم بنو آدم وأدم خلق من تراب حديث صحيح (1).

وذابت الفوارق واختفت العنجهية وتوارت العصبية وقتل ابو عبيدة اباه وطلب عمر رضي الله عنهم اجمعين من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ان يسلم كل صحابي قريبه من أسرى بدر ليقبله، ومنع عبدالله بن عبد الله بن أبي آباه ان يدخل المدينة المنورة الا بإذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

جاء في سيرة ابن هشام (2) (كان ابو عزيز شقيق مصعب بن عمير صاحب لواء المشركين في بدر ثم أسر بين المسلمين، ويحدث ابو عزيز عن نفسه بعد ان أسره ابو اليسر من الانصار، فقال ابو عزيز : مر بي اخي مصعب وابو اليسر يأسرنى فقال : مصعب لابي اليسر الانصاري : شد يدك به فإن أمه - اي ام مصعب وابي العزيز- ذات متاع غنية - لعلها تفديه منك، فقال ابو عزيز ياخي هذه وصاتك بي، فقال له مصعب أنه أخي من دونك.

فسألت أمه عن أعلى مفدى به قرشي فقبل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت باربعة آلاف درهم ففدته به).

وهكذا ارتفع القوم على مشاعرهم ونسوا أوأصرهم ووشائج ارحامهم وأصبحت وشيجتهم الاولى والاساسية هذا الدين الذي من أجله يعيشون وبه يتحركون وفي سبيله يقدمون اعلى مايملكون من النفس والنفيس.

وامتد الاسلام في رقعته التي ينشر عليها مبادئه من الاندلس ووطنجه غربا إلى اندونيسيا شرقا وكانت الدولة الاموية والعباسية شعارها ودارها، لحمتها وسداها، الاسلام بقيمه وموازينه ونسي الناس شعر دريد ابن الصمة :

وما نالا إلا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

ولقد اقض هذا الدين مضاجع اعدائه خاصة اوروبا التي شنت حربا شعواء دينية صليبية امتدت قرنين كاملين (884 - 296) حيث تطهرت بلاد الشام منهم على يد الاشرف خليل 296هـ- ولقد انبرى لهم هذا الدين وقدم نماذج من ابنائه الاسود منهم (عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين، محمود زنكي، وصلاح الدين) يقول ابن شداد في النواذر السلطانية إن صلاح الدين قال له يوما : (أما احكي لك شيئا، قلت : بلى، قال : في نفسي انه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد واوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم انتبعم فيها حتى لا ابقى على وجه الارض من يكفر بالله أو اموت، قلت : انما هذه الامنية جميلة ولكن المولى يسير العساكر في البحر وهو سور الاسلام ومنعته فلا ينبغي ان يخاطر بنفسه، فقال : انا استفتيك : ما أشرف الميتات ؟ فقلت الموت في سبيل الله، فقال : غاية ما في البال ان اموت اشرف الميتات (3). ثم جاء التتار وخربوا بغداد سنة 656هـ وانبرى لهم الظاهر بيبرس وقطر وانتصروا عليهم في عين جالوت سنة 658هـ فخر قطر من فوق حصانه ساجدا لله شاكرا له النصر المؤزر . ثم جاءت الدولة الاسلامية العثمانية وحكمت ثلث المعمورة تقريبا بهذا الدين القويم وروابطه المتينة وشائجه الرشيدة القوية.

وكانت اكبر حربة وجهت إلى أوروبا والعالم النصراني فتح القسطنطينية سنة 857هـ 3541م على يد محمد الفاتح الذي حول اسمها (اسلام بول : مدينة الاسلام) ومسح الامبراطورية الرومانية الشرقية إلى الأبد ولقد بقي قسم غير قليل من أوروبا يدفع الجزية صاغرا للدولة العثمانية.

وعندما هاجم نابليون مصر سنة 1798 م واستخف بالأزهر وضربه بالمدفعية وادخل خيله الأزهر فقام الأزهر وحرك الشعب المسلم في مصر واخيرا قام سليمان الحلبي احد تلاميذ الأزهر - وهو من حلب وقتل كبير خليفة نابليون الفرنسي على مصر.

وعندها فكر الغرب بانه لايد من اجتنات الاسلام من اعماق هذه الشعوب الاسلامية وتمزيقها بالدعوات الاقليمية والقومية.

يقول " كامبل " : لا يمكن لهذه الشعوب الإسلامية التي تغطي رقعة واسعة من المعمورة وتتكلم في صلاتها بلغة واحدة وتدين بدين واحد وتنتج إلى قبلة واحدة ولها نفس التقاليد والأهداف ان تغلب مالم تقسم " .  
فكان لابد من تمزيق الدولة الإسلامية العثمانية واستبدال القومية بالاسلام.

1- فبدأت الدعوة إلى القومية العربية : التي خرجت من الجامعة الأمريكية على يد مجموعة من الشباب النصارى معظمهم من خريجي الجامعة في بيروت منهم : ابراهيم اليازجي ونصيف اليازجي وفارس نمر ونجيب عازوري وشاهين مكاربوس.  
وكان استاذهم الياس حبالين ثم انتقلت هذه الاسر النصرانية إلى مصر لتواصل تدمير الاسلام وتمزيق الدولة العثمانية، وعملت دار الهلال وصاحبها النصراني جورجي زيدان عملا هائلا في هذه القضية.

2 - جاء محمد علي باشا سنة 1805 م إلى عرش مصر وبدأ بالتغريب والعلمنة وترجمة القانون الفرنسي ليحل محل القانون الاسلامي واحتضنت فرنسا محمد علي ووضعت له سليمان باشا (الفرنساوي) من أجل انشاء جيش واسطول بحري لمحمد علي لضرب الخلافة العثمانية والاستقلال عنها وقد استعمل ابراهيم باشا ابن محمد علي جيشه لضرب الحركة الوهابية خوفا من انتشارها في المنطقة.

3- ضرب الخلافة الإسلامية في عقر دارها في استانبول فاتفق كريزون وزير خارجية بريطانيا مع عصمت اينونو ممثل مصطفى كمال اتاتورك في معاهدة لوزان (من اكتوبر سنة 1922 إلى فبراير سنة 1923 م) على ضرب الخلافة ومحاربة أية محاولة لاعادة الخلافة، ومحاربة الشعائر الإسلامية واتخاذ قانون غربي بدل الذي اقض مضاجع اوروبا وأرق اجفانها ثلاثة عشر قرنا وكان اسقاط الخلافة في 3 مارس سنة 1924 م.

يقول احدهم : (ان اوروبا كانت تفزع من الرجل المريض (تركيا) لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بأشارة من اصبعه) (4).

4- بعد ان هدم اتاتورك الخلافة اراد أن يعيد تأليه (الذنب الابيض بوزكورت) الذي كان يعبد الاثراك القدماء وكانوا يؤلهون (جنكيز خان) وقطع كل صلة بالاسلام والعرب.

5- بعد أن انتشرت الافكار القومية على يد النصارى مثل : ميشيل عفلق (مؤسس حزب البعث) وانطون سعادة وجورج عبد المسيح (مؤسس الحزب القومي السوري) وجورج حبش واستاذ قسطنطين زريق (حزب القوميين العرب) صار العرب يقدمون العربي النصراني على المسلم التركي والباكستاني والافغاني ووقف العرب في الحرب الاولى ضد الاثراك مع الانجليز والفرنسيين الصليبيين.

6- ثم انتقل الغرب خطوة اخرى : وهي احياء العصبية الاقليمية للتننة : فاحيا الفرعونية ودفع روكفلر عشرة ملايين دولار للبحث عن الآثار الفرعونية.

وعادت اسماء الكفار التي يشتمز المسلم من ذكرها : مثل الاهرام (قبور الفراعنة) ورمسيس رعمسيس الثاني : الفرعون الذي تربى في بلاطه سيدنا موسى عليه السلام، ابي الهول، فاصبحت هذه الاسماء محببة إلى المسلمين ويسمون بها البقالات والصالونات والمؤسسات والشركات.

يقول طه حسين : (لو وقف الاسلام بيني وبين فرعونيتي لنبتته) 0

وقال حافظ ابراهيم :

انا مصري بناني من بنى هرم الدهر الذي أعىى الفنا

ويقول شوقي عن مصر :

وجه الكنانة ليس يغضب ريكم ان تجعلوه كوجهه معبودا

7- ومزق العالم الاسلامي شر ممزق وتفرقوا شيعا فكل محلة فيها امير المؤمنين ومنبر وجرت الحيلة على المسلمين فاصبح احدهم يتعصب لحدود مصطنعة من قبل اعدائه، وصارت الانهار والجيال تغير نظرة المسلم إلى أخيه : صار المسلم لا يحس بأية غيرة للعداوى اللاني تنتهك اعراضهن على بعد أميال قليلة وذلك لان الانجليز قالوا له في معاهدة (سايكس بيكو) ان قطعة الارض هذه ليست من بلدك.

والحمد لله : لقد كانت الصحوة الإسلامية من بشائر الخير الكبيرة في العقدين الأخيرين ولكن رواسب الجاهلية وركام تقاليدها ووشائجها تكون ثقلا ضخما على قلوب الشباب المسلم، لازال الشباب المسلم مرتبطا بالحدود الجغرافية التي رسمها اعداؤه.

لازال الشباب يشعر بالوحشة والغربة تجاه اخيه الذي يحمل نفس مبادئه ويعاني في اعماقه من الآلام ويكابد من الاشواق والآمال التي تداعب خياله نفس الذي يعانيه اخوه.

ولكن الاحساس لم يصل إلى نفس الحرارة والحرقة التي يحس بها لمن يشاركه قطعة الارض الصغيرة المسماة بالدولة وان كانت مدينة واحدة.

لازال وجهه لا يتمعر غضبا لله على دماء تسفك وارواح تزهر من اخوانه المسلمين على مقربة منه وذلك لأن لون جواز سفره اخضر وجواز سفر اخيه ازرق.

يسافر الشباب إلى الغرب ليدرس ومع ذلك لا يستطيع كثير منهم ان يحطم قيود الاقليمية التي تشده لآبناء اقليمه وان كان لسانه ينطق بخلاف هذا ودعواه العربية ان يحمل الاسلام العالمي بفكرته وعقيدته.

تكابد الاقاليم الإسلامية حوله من الفقر والمرض والذلة واحتلال الكفار ما لا يعلمه الا الله ثم الذي يعيشه، ومع هذا لا غيرة لديه ولا تكبير ولاحمية

واكبر مثال هو افغانستان

1- انا اعرف بعض الدعاة زاروا باكستان عدة مرات ولأشهر احيانا ومع هذا لم يخصصوا اسبوعا لدراسة قضية أفغانستان او لزيارة مخيم او معسكر او دار ايتام، بينما كارتر ونيكسون الرئيسان الأمريكيان زارا بنفسيهما ارض افغانستان لان كارتر أو نيكسون له من الاهتمام بهذه القضية الإسلامية الضخمة لعله يقطف بعض ثمارها، اما المسلم الداعية فلا تثير له اهتماما، فأية حرقه وأية غيرة عند هذا المسلم ؟!

2- ان كثيرا من المتعبدین، وبعضهم اصحاب مناهج اسلامية لازال يلوم من يخف بنفسه إلى ارض الجهاد الافغاني (القضية التي تهز العالم بأسره) وبعضهم يرى ان المجيء إلى أفغانستان ليبلبي نداء ربه من الخفة والتسرع والتهور والتعجل والعاطفية والحماس والطيب المنيث من السذاجة، ان لم يقل نوع من البلاهة والغباء يستحق الاشفاق والرتاء.

ونحن ندعو الشباب المسلم ان يأتوا ليتذوقوا بأنفسهم حلاوة الجهاد وندعوا الله ان يشرح صدورهم لحب الجهاد والاستشهاد.

وندعو الشباب المسلم ان يعيشوا بأنفسهم اياما من الرباط والجهاد ليروا ضخامة التجربة وعذوبة المعاناة الطويلة.

وندعو الشباب المسلم ان يدخلوا أتون المحنة لتصفو ارواحهم وتصف نفوسهم وتتقى قلوبهم.

ندعو الشباب المسلم ان يطرحوا عن انفسهم الاماني وينزلوا من البروج العاجية ويعيشوا مع المسلمين أتراحهم وأحزانهم ودموعهم وآلامهم ويشاركوهم مسيرة الدماء والدموع.

ندعوهم لنلا فتوتهم الفرصة ولنلا يسبقهم الركب، وقد يحسون يوما بالندم، ولات ساعة مندم.  
فستذكرون ما أقول لكم وافوض امري إلى الله ان الله بصير بالعباد  
وسبحانك اللهم وبحمدك، اشهد ان لا اله الا انت استغفرک واتوب اليك.

(1) رواه الترمذي عن ابي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (5358)

(2) السيرة النبوية لابن هشام (2/209)

(3) شعر الجهاد في الحروب الصليبية ص - 47

(4) واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص - 197.

#### ثلة الشرف والفخر\*

[نشر في مجلة الجهاد العدد الثلاثون-30 رمضان 1407 هـ، الموافق مايو 1987م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد :

فقد كانت الشمس تلم أذيالها لتختفي وراء جبال خوست وأنا فوق قمة جبل في "صدى" واذا بشابين صغيرين مقبلين إلي بابتسامة عريضة وجسد نحيل يذكرني بقول المتنبي :

كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

واذا بي أمام ابي حفص وأبي أسيد فضممتها معا وعانقتهما، لقد طال الفراق وتطاولت المدة وهما في أرض الشرف ومنازل الفخر.  
أما أبو أسيد فوزنه 48 كغم فمئذ عشرين شهرا متواصلة وهو في بلخ وهذه هي المرة الثانية التي يقيم فيها في بلخ ففي المرة الأولى مكث قرابة عام وأما أبو حفص فقد غاب قرابة عام ووزنه 45 كغم، وبحدثني كل منهما عن المعاناة المريرة التي قابلاها أثناء العودة ثلاثة وثلاثين يوما والتلوج في معظم أجزاء الطريق تعيق مرور القوافل والتلج يغطي صدر الرجل، وكمن من الأصابع سقطت في هذا الجليد المتجمد، ولقد عجبت عندما أبلغاني أنهما رجعا وحدهما دون مصاحبة قافلة من المجاهدين.

وبلخ تقع على حدود روسيا قرب نهر جيحون فيقطعون في هذه الرحلة قرابة ستمائة كيلومتر ونيف وهم يواجهون في كل قرية مشكلة جديدة خاصة وإن لون أبي أسيد كالفرنسيين ولا يصدق الناس أنه من العرب أو المسلمين وكمن سبب له شكله من مشاكل أثناء اجتياز هذا الطريق الطويل الذي يخترق أفغانستان من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ان قواعد الروس وكمانهم التي يترصون بها مرور المجاهدين لا تعد شيئا أمام بعض مشاكل القرى التي تفرض الضرائب والاتاوات الباهظة على المارين في هذا الطريق.

ولا ينقصني عجبني من شجاعة هؤلاء الشباب وزاد في دهشتي عندما اعلمني أبو حفص أن ابا أسيد قد ذهب إلى بلخ وحده دون أي رفيق وأمسكوه في الطريق وقالوا له بأنك فرنسي وأنكر ذلك، ولا ينجليه غالبا الا قراءة القرآن الكريم حتى يصدقوا انه مسلم.

إن أهوال السفر والشدائد التي تحف بالطريق والمخاطر التي تهدد القوافل لا يعلمها الا الذين كابوها وعاشوها، قلت لابي أسيد : حدثنا عن رحلتكم وعن كيفية وصولكم، فقال : (ان وصولنا اول مرة كان اشبه بالخيال وأقرب إلى الاساطير فلقد أمضينا في الطريق 46 يوما سقطت فيها أظافر عبدالله أنس جميعا).

وطلبت منهما أن يحدثوا الشباب عن اثار العرب في الجبهة وفي داخل أفغانستان فقالا:

ان كلمة العربي تعتبر شبه مقدسة عند قادة الأفغان الكبار، وكمن من قضية كبرى لا يبتون بها الا أن يرجعوا البناء، وكمن من مشكلة بين الفصائل ما حلها باذن الله الا وجود العرب وان المجاهدين الأفغان ليخجلون كثيرا ان يحصل بينهم خلاف في وجودنا بالإضافة إلى استحياهم -من انفسهم- عندما يوسوس لهم الشيطان بالهجرة تحت ضغط الحاجة وقل الجوع وحزن العوز فكم من اسرة ليس لها معيل اذ عائلها الوحيد منذ سنوات في أرض المعركة لا يستطيع أن يكمل للحصول على الرغيف لاسرته ولا تطاوعه نفسه أن يفارق الجبهة وهو يرى العربي بجانبه قد هاجر من موطنه والدنيا مقبلة عليه بخضرائها من أجل ان ينال شرف الجهاد.

لقد سألت شابا اسمه حسن ابن تعيش أسرته؟ فقال : لا أعلم فمئذ خمس سنوات ونيف ضرب بيتنا وانا في الجبهة وهاجر والداي مع اخواني ولا أعلم شيئا عنهم ولم أتل عنهم طرف خير.

قلت : ايه يا ابا أسيد، فقال : ان تعطش الشباب العربي للقتال يرفع الروح المعنوية لدى جبهة بكاملها وشوقهم للنزال وتطلعهم للشهادة يجدد في نفوس هؤلاء المجاهدين.

ودعك عن الدور التربوي الهام الذي يقوم به الشاب العربي من تعليم القرآن والأذكار بعد الصلوات وتعليمهم صيام الاثنين والخميس وقيام الليل وغير ذلك.

وفي هذا المنطقة يعتبر القاضي عبدالله القاضي العام والمفتي للمنطقة بكاملها وكان على وشك الهجرة فلو هاجر لتفككت الجبهة وهنت ويشاء الله أن يصل ثلاثة من الاخوة العرب إلى بلخ وبلغني فكرة الهجرة من ذهنه ثم ثبتت وتصبح الجبهة من أشد جيهاات أفغانستان قوة وقوام قوتها قرابة ستة عشر ألف مجاهد.

قلنا لابي أسيد : ألا تحدثنا عن اخوانك العرب المجاهدين. فقال عمن احداثك؟ أحدثك عن الدكتور صالح الذي نسي نفسه وطعامه وشرايه ويعيش للمجاهدين الأفغان ليل نهار ومنذ أشهر وهو مصاب بالحصوة ولكنه لا يكل ولا يمل راتبه للمجاهدين، وهل احداثك عن صالح المربي؟ أم صالح المجاهد؟ أم صالح الطبيب؟ أم صالح الزاهد؟

والطبيب صالح هو الطبيب العربي الوحيد الذي مكث داخل أفغانستان قرابة سنتين كان أول ثمانية أشهر لا يتقاضى أي درهم من أية جهة أو مؤسسة، وبعدها تعهد له مكتب الخدمات بدفع راتب لكنه ينفق راتبه لشراء علاج للمستشفى. لقد حل الدكتور صالح محل طاقم كامل من الفرنسيين مزودين بأجهزة طبية حديثة ووسائل علمية متقدمة من أجهزة الأشعة والتخدير وغير ذلك وكان عددهم قرابة التسعة في مستشفى مزا شريف (عاصمة بلخ)، وبعد ان ظهر منهم محاولة الافساد المستمرة بتوزيع حبوب منع الحمل وحبوب المخدرات مثل

(HALUCIN) (MOGADON ، LORTAZPAM ، O URAL ..)

التي تسبب الامان لدى المجاهدين أفتى القاضي عبدالله بعدم جواز مخالطتهم أو الجلوس اليهم أو التردد عليهم ويشاء الله أن يغادر الطاقم الفرنسي بكامله ويحل محلهم الدكتور صالح وحده -ويعنيه الله عزوجل- ويقوم مقام هذا الطاقم ويصبح ذكر الدكتور صالح على كل لسان في المنطقة ورغم قلة الامكانيات وقلة ذات اليد فانه بعون الله -مع الاحتساب والاخلاص والتجرد- كما نحسبه ولا نزكي على الله أحدا -قد استطاع أن يشق طريقه ويثبت وجوده، ويقوم بعمليات كثيرة تحتاج إلى أجهزة متقدمة ومستشفيات مجهزة حديثة، فبدأ يجري عمليات ازالة الحصوة ونقل العظام أما جراحات الحرب فحدث عنها ولا حرج ولقد تجاوز الدكتور صالح هذا فقد أقام دورة مركزية لنفر من المجاهدين يحملون الشهادة الاعدادية تقريبا ، وخلال عام تقريبا أصبح هؤلاء يقومون ببعض العمليات الجراحية، وأصبح من حوله يتأسون به في صيام الاثنين والخميس وفي التزام الاذكار وفي الحياة لهذا الجهاد الذي رفع الله به رأس الأمة

الاسلامية بأسرها واشتدت آلام الحصوة عليه واضطر أن يحضر الى باكستان لاجراء عملية جراحية ومما يشدك اليه بساطته ووضوحه وتواضعه وأدبه وحيائه، وقضية اخرى انه يطلب كتب التربية الاسلامية والثقافة والفكر الاسلامي ويصر عليها اصراره على بعض الأجهزة الطبية الضرورية للمستشفى، فهو يجمع بين علاج الروح والبدن :  
(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب)  
(الرعد : 28)

ويحدث الدكتور صالح قصة تعبر عن حب المجاهدين للعرب فيقول :  
أسر شاب عربي اسمه (عبدالرحيم رشيد العرجا) وعندما علم الأفغان فكأنما خرت عليهم صاعقة من السماء ويتحرك القائد (عبدالله) مع كتيبته على بعد خمسة أيام مشيا من (امرخ) الى (خشد نهر) ويهاجم القلعة التي ظن أن فيها عبدالرحيم وكان الكومندان (القائد) عبدالله جريحا قبل هذه المعركة فكان يقاتل بيد واحدة ويبقى مجالدا مصابرا يتجرع الالم الجراح ويواصل تقدمه حتى افتتح القلعة وأسر مجموعة من الشيوعيين ولكنه وللأسف لم يجد فيها عبدالرحيم -الفتي العربي-خاطب الحوراء كما كان يسمى نفسه.  
ويحدثني عناية الله مجاهد أفغاني كان سجيناً مع عبدالرحيم في نفس الزنزانة في سجن بل شرخي في كابل قائلاً : لقد سألت المحكمة عبدالرحيم لماذا دخلت؟ فقال : بل انا أسألكم لماذا دخلت روسيا أفغانستان؟ ثم استطردت المحكمة قائلة : هب أننا اطلقنا سراحك فماذا تصنع؟ فأجاب : سأحمل سلاحي وأقاتلكم لأن الجهاد فرض عين، ويقول عناية الله : لقد وددت لو افتديته بنفسي وكان آخر عهدي به ربيع الثاني لهذا العام.

ورأيت شقيقاً عائداً من تخارجه آب أي (بئر الماء) وقد مكث هناك قرابة سنة ونصف ويحدثني أنه دخل منطقة بخاري ثلاث مرات وذات مرة وعلى حدود روسيا دخلت بلدة اسمها (شاه دره) فوجدت شيخاً كبيراً من بخاري فقالوا له : ان هذا عربي جاء مجاهداً وإذا بالشيخ يهرع الى ويطوقني بذراعيه قائلاً : (أهلاً بك يا حفيد رسول الله، جئت الى بلادي لتدافع عنها)قال هذا والدموع تهطل من مقلتيه سبلاً" قال شقيق : فلم اتمالك نفسي وبكيت لهذا التقدير الكبير الذي يحظى به العربي لديهم.  
وقال : لقد وجدت بعض القبائل في ولاية بلخ تتكلم العربية بكاملها شبيهاً وشبابها واطفالها ومنها (خوشل آباد).

وسألته متعجباً مستوحاً : أحق أن المجاهدين يقومون بعمليات عبر نهر جيحون في الاراضي الاسلامية المستعمرة من قبل روسيا؟ فقال : نعم لقد وصل انجنير بشير من باكستان ومعه خيول قد أعجز السفر أجسادها وضوت أبدانها فأصبحت تطلع فأدخلها لبسمنها في داخل الاراضي الروسية، وبعد أشهر وإذا بهذه الخيول غير التي كانت ويقول شقيق : ما أجمل عيد الفطر على نهر جيحون (أموداريا) حيث قضيناه في (سمتي) نصطاد الاسماك ونأكلها، ويحدثني أبو ذر ملقياً الضوء على هذه القضية -حب الافغان للعرب-قائلاً : عندما علم الافغان أنني سأغادرهم أخذت مجموعة منهم أمتعتي وتفرقوا على قلال الجبال وقالوا : لن ندعك تغادرنا.  
وأما عبدالحميد فقال : لقد رفضوا جميعاً أن يودعوني عند الفراق حزناً ولوعة وطمعا في بقائي عندهم قال هذا والدموع تغرق عينيه، ونواصل الحديث عن دور الاخوة العرب في أفغانستان فنقول : وفي اليوم التالي الذي يصل فيه أبو حفص وأبو أسيد يصل طاهر من هرات وبادغيس بعد غياب خمسة عشر شهراً.

وطاهر (عبدالله) هذا يحتاج أن نقرر له صفحات واسعة لنقتطف قبسات من رحلته المباركة تلمس وأنت تستمع اليه أنك مع انسان غير عادي يندفق حيوية ويتفجر حماساً وتشعر من خلال وميض عينيه ونور جبينه عزيمة فولانية ومضاء نفاذاً.  
لقد دخل قرابة خمسمائة قرية في هرات وبادغيس لقد طافها شبراً شبراً خاصة مديرية انجيل وبقي قرابة مائة يوم بمشي معدل 6- 7 ساعات متواصلة يوماً يدخل عدة قرى في اليوم الواحد، وما بقي مجاهد في تلك المناطق الا وقف على حالته وتعرف على حاجته، وأوصل لكل واحد منهم نصيبه من المساعدات.

انه يحدث عن عوزهم وفقيرهم المدقع فيقول : سألت احدى الجبهات عن أكلهم اللحم والفاكهة فأجابوا : منذ اسبوعين لم نضع في الشاي سكرًا، منذ أربعين يوماً لم نر اللحم، ومنذ سبعة أشهر لم نر الفاكهة، وأما الخبز فانهم لا يعطون المجاهد رغيفاً بل يعطونه نصف رغيف فقط مع الشاي غير المحلى.

قال طاهر : لقد نقل الجهاد عقيدة التوكل عندنا من الاوراق الى القلوب وحولها من كلمات تقال الى سلوك واخلاق وفعال، ويتابع قائلاً : لقد كان الروس يتابعوني من قرية الى قرية ويقصفون القرية التي احل فيها وجاءوا الى قائد المليشيا في هرات وقالوا : نريد رأس طاهر بأي ثمن حيا كان أو ميتاً ولودفعنا مليون روبية، كم مرة تعرضت فيها للموت وكم فتحت المنية شذقتها لتبتلعني ولكن قدرني ينجيني :  
(ماكان لنفس أن تموت الا باذن الله كتاباً موجلاً)

الآية (145)آل عمران

لقد حملني الصاروخ ذات مرة عن حصاني وطوح بي بعيداً عنه بعد أن رفعتني هواء الصاروخ عالياً، أما انفجار القذائف قربي وفوق رأسي في الهواء، ثم يكتب الله لي الحياة فحدث عنه ولا حرج :  
نفي النوم عن عينيه نفس أبيه لها بين اطراف الاسنة مطلب ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

سبحان الله، كم يصنع الايمان من معجزات وكم يربي من شجاعة، انهم أسود في ثياب بشر وليوث في ابدان أناسي.  
فاذا علمت أن هؤلاء الشباب جميعاً -عدا الدكتور صالح-لا تتجاوز ثقافتهم الثانوية العامة وأعمارهم مابين العشرين والخامسة والعشرين أدركت عندها الاثر العميق الذي ينتجه دعاة تربوا في أحضان الدعوة الاسلامية او رجال عركتهم الحياة وعنتهم تجاربها واورثتهم حنكة ودراية وبعداً وعمقا، ولكن :  
(الله أعلم حيث يجعل رسالته)

(الانعام : 124)

والله أعلم من يورثه ميراث النبوة ويضع على عاتقه تكليف حمل اللواء وتبليغ الرسالة :  
والناس شخصان ذا يسعى به قدم من القنوط وذا يسعى به الأمل  
هذا الى الموت والاحداث سافرة وذا الى المجد والدنيا له خول

ويحدث طاهر عن حالة المهاجرين البيئية الأليمة في ايران حيث لا يصل التجار من أهل الخير ولا يسمح للمؤسسات الخيرية ان تقام، ويحدث حديثاً تقشعر له الأبدان من حيث الجهل والفقر والمرض والعري، فالمهاجرون في باكستان يعتبرون في نعمة رغيدة اذا ما قيسوا باخوانهم في ايران، لأن ببشاور (أكبر مدينة فيها مهاجرون) تعج بالمنظمات الغربية للاغاثة وتزخر بالمؤسسات الإسلامية الخيرية وقلماً يمر يوم دون أن يزورها تاجر أو يمر بها وفد بينما الديار بلاقع في ايران فالطير سائحة والدار بارحة، وبينه المسلمين الى ضرورة الاعتناء بالتعليم وبمساعدة اخوانهم المهاجرين في ايران.

أقول : هؤلاء شباب مفاتيح الخير وطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وختاماً فهذا غيض من فيض مما يقوم به الشباب العرب في داخل افغانستان هجروا أوطانهم وأسهروا ليلهم وأتعبوا أقدامهم طمعا في رضا الله، وحباً في مزاوله الجهاد واقعا حيا، وأملا

أن يقدموا شيئاً من الواجب الثقيل الملقى على عاتق الامة الاسلامية تجاه اخوانهم المجاهدين الأفغان، وقد جاء في الحديث الصحيح (1) :  
 (في كل قرن من امتي سابقون)  
 فتتضرع الى الله ان يكون هؤلاء من السابقين :  
 (والسابقون السابقون أولئك المقربون # في جنات النعيم # ثلثة من الاولين وقليل من الآخرين)  
 (الواقعة : 10 - 13)  
 فان لم يدركوا منازل السابقين فنبتهل الى الله الا يحرمهم الأجر الجزيل :  
 (ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطناً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون)  
 (التوبة : 120 - 121)  
 خلاصة الأمر أرجو الله أن يحمي هؤلاء من اعدائه ومن اجهزة الأمن التي تترصدهم، وجماع القول : ان امة فيها امثال هؤلاء لن تموت.

(1) هو في صحيح الجامع برقم (4143) وفي السلسلة الصحيحة برقم (2001)

أسود خضابهم دم الأسود \*  
 [نشر في مجلة الجهاد العدد الحادي والثلاثون-شوال 1407هـ، الموافق حزيران 1987م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :  
 فاننا نواجه أحيانا في السير والمغازي قصصا من البطولات الفذة التي يحسبها القارئ -الذي لم يذق طعم الجهاد ولم يزاوله واقعا في عالم الحياة- أقول يظنها القارئ ضربا من تهويلات المؤرخين المشدوهين بأشراق هذه الفترة الفذة من التاريخ، وأحيانا يطوي كشحه (يميل جانبه) لا يريد أن يلقى بأذن صاغية لهذه القصص التي يظنها القاعدون ضربا من الاساطير نسجه خيال المؤلفين.  
 والحق الذي لا مرية فيه أن الذي يعيش حياة الجهاد ويرى ضروب البطولات الرائعة والتضحيات الرائدة التي يقدمها المجاهدون تصبح هذه القصص لديه من المسلمات والبدهييات التي لا تحتاج الى اعادة ولا تكرار ودون حاجة الى ايراد البراهين والادلة على صدقها.  
 تواجهك مثلا قصة قتل عبدالله بن أنس خالد بن سفيان الهذلي في 23 محرم سنة 4هـ فلما جاء عبدالله برأس خالد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عصا وقال : هذه آية بيني وبينك يوم القيامة فلما حضرته الوفاة أمر أن تجعل معه العصا في أكفانه (1).  
 وكذلك قصة حذيفة بن اليمان عندما أمره -صلى الله عليه وسلم- يوم الاحزاب أن يستطلع خبر المشركين فيدخل خيمة أبي سفيان حتى قال : لو شئت أن اقتل أبا سفيان لقتلته (2).  
 وكذلك قصة ضرار بن الازور يوم أن أسره الروم حول دمشق ثم يكر المسلمون مع أخته خولة ويخلصونه من الاسر.  
 ومن قصص البطولات الرائعة قصة أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق) أحد أثرياء اليهود وزعمائهم والتي يرويها البخاري (3) على لسان قاتل أبي رافع الصحابي عبدالله بن عتيك عند وصولهم الى حصن أبي رافع قرب غروب الشمس ذي القعدة أو ذي الحجة سنة 5 هـ قال عبد الله بن عتيك لأصحابه : (اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف بالبوابة لعلي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبدالله يا هذا-ان كنت تريد أن تدخل فادخل، فاني أريد أن أغلق الباب.  
 قال عبدالله بن عتيك : فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأقاليد على وتد (أي المفاتيح على وتد) قال : ففقت الى الأقاليد فأخذتها، وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل قلت : ان القوم لو ندروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت اليه، فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، قلت : أبا رافع، قال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة اثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلتها، فجعلت أفتح الابواب بابا بابا، حتى انتهت الى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت الى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال : أتع أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت الى اصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت الى النبي -صلى الله عليه وسلم- فحدثته فقال : ابسط رجلك فيسقط رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها).

هذه بعض قصص البطولات التي لا تتضح جلية إلا لمن عايش الجهاد نفسا وواقعا في عالم الحياة، ومما لا شك فيه أن كثيرا من أحداث السيرة قد اتضحت في نفسي بعد ان واكبت مسيرة الجهاد الأفغاني وبدون هذه المعاشاة لوقائع الجهاد ومسائرتها يوميا أحداثا تعمل عملها في القلب والنفس والجسد تبقى أحداث الفتوحات الاسلامية الغازا ومعميات لا تستطيع النفس أن تدرك أعماقها ولا أن تفسر أحداثها ولا أن تفهم أبعادها ولا تستطيع الابصار أن ترى جوانبها المشرقة ولا أن تستوعب الافق السامق الذي وصل اليه شخصياتها وأبطالها. وتواجهك في مسيرة الجهاد الأفغاني مباركة قصص من البطولات تفسر لك روائع التضحيات التي بذلها شلفنا الصالح لبناء صرح هذا الدين الشامخ ولا نستطيع في هذه العجالة أن نتنبع هذه البطولات وانما نضرب أمثلة منها.

قصة الشيخ عبدالوهاب في درواز

لقد أسس الشيخ عبدالوهاب جبهة درواز آخر نقطة في أفغانستان غارسة في اعماق روسيا وليس بينها وبين المستعمرات الاسلامية تحت أقدام الدب الروسي سوى نهر جيحون واذا ما دارت رحى الحرب بين الروس والمجاهدين انطلقت المدفعية الروسية من داخل الحدود عبر النهر ضد المجاهدين، وقد عمل في الروس مقتلة عظيمة وقد اجتاز النهر ليغزو الروس ثلاث مرات.  
 هجم الروس على قريته (سبز) واستشهد أبوه سفر محمد وأخوه عبدالكريم واما في يوم واحد واسرت ابنته مريم وكان عمرها ثلاث سنوات وبقيت لدى الشيوعيين أسيرة مدة ستة أشهر ثم أغار المجاهدون على المركز الشيوعي وخلصوا مريم، ثم أغار الشيوعيون مرة أخرى على قرية الشيخ وعلى بيته بالذات واسروا في هذه المرة زوجته وبناته الثلاث وألقوا بالاسيرات في داخل مطار خاهان المحروس بالديابات والصواريخ والاسلحة الثقيلة، وبعد الشيخ العدة لاقتحام المطار واقتحم الموت ودارت الرحي والموت الزوام يرفرف باجحة الرعب فوق الفريقين هناك فوق الجبال الراقية.

رسا أصله الثرى وسما به الى النجم فرع لايرام له أصل  
والثلوج المتناثرة التي تكسو قممها والمجاهدون بينها حتى لكان الموت يهابهم والليل يخشاهم فلا يستطيع الحركة ولا تتغير ساعاته  
ويزيد الموقف رهبة نزول الشيخ عبدالوهاب ساحات الوغى كما قال الطائي :  
فقد بث عبدالله خوف انتقامه على الليل حتى ماتدب عقابه  
إن الطير لتهاب أن تلتقط من فوقها الحب ويخشى الجن أن يسير بها ليلا.  
وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها الجن سارى  
وانجلت المعركة عن انتصار الشيخ عبدالوهاب وخلص زوجته وبناته الثلاثة من الأسر وأسر نساء قادة الكفر من داخل المطار وسار  
بالأسيرات، وفي الطريق قالت زوجته له : أن هؤلاء النساء الأسيرات كن قد أحسن إلي أثناء أسري عندهن فلهن عندي يد و (هل جزاء  
الاحسان إلا الاحسان) فاطلق سراحهن  
أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصا عليها مستهما بها حبا  
فحب الجبان النفس أورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

واليك قصة أخرى من هرات :  
عبدالبصير من أوائل المجاهدين الذي جربتهم ساحات هرات وذات مرة أسر وسجن سنة ونصف ثم حكم عليه بالاعدام ثم نقب السجون  
وخرج وجمع السجناء من السجن ثم عاد الى الجهاد، وأسرته الدولة مرة أخرى وحكمت عليه بالاعدام على أن ينفذ الحكم خلال ثلاثة  
أيام وكان معه غلام محبوب ينتظر منيته بتنفيذ حكم الاعدام الذي صدر عليه وكان غلام محبوب مجروحا جرحا بليغا وكلاهما مقيد  
واتفقا أن يكون الفرار من الحمام ذي السقف الخشبي وبمحاولات شديدة باكتافهم ورووسهم استطاعا أن يفتحا ثغرة في سقف الحمام  
وتحاملا على نفسيهما وصعدا السطح باعجوبة والقا بنفسيهما في البيت المجاور وإذا به دائرة المخابرات (خاد) وفرا بسرعة وعندما  
علم امرهما بدأت صفارات الانذار ودوائر الدولة تهتز وتحرك كأنها كلاب الصيد ونجاها الله من الموت ولازال عبدالبصير في أرض  
المعركة  
أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد.

ولابد من القصة الثالثة :  
والتي تطل علينا من سالانج / بنجشير بطلها الحقيقي الذي تفوق قصصه مغامرات الأبطال الاسطوريين التي وضعت لتسلية الأطفال  
وملء خيالهم انها :

قصة محمد بانا :  
أحد أركان الحرب عند أحمد شاه مسعود يسميه الروس الجنرال لشدة ملاقوا على يديه من حتوف وكثرة ما حطم لهم من آليات على  
أبواب سالانج قد تزيد على خمسمائة دبابة وآلية خلال السنوات السبع.  
وقد ذكر ابن الأثير وابن كثير في المغازي ان جيش سعد عندما عبر دجلة وهو فائض مزيد وكان العدد قرابة ثلاثين ألفا ورأهم الفرس  
يسبرون على الماء هرب الفرس وهم يصيحون : (جاءت العفاريت جاءت المجانين) "ديوانا آمد" وهذا بانا يسميه احمد شاه بالمجنون  
لشدة شجاعته وجراته ومن عادته أنه يركب في السيارات العامة على الطريق الرئيسي الذي يحتله الروس ولهم نقاط كثيرة للتفتيش عليه  
وبانا معروف لديهم.  
وذات مرة -كما حدثني عبدالله أنس-وعلى احدى نقاط التفتيش يطل أحد الروس برأسه داخل الاتوبيس فيذهل اذ يرى بانا بين الركاب  
فصاح فزعا بانا ويسمع الروس حول السيارة بهذا الاسم فيسقط السلاح من ايدي البعض رهبة ووجلا وسرعان ما دفع بانا الروسي  
بقبضة يده ثم قفز من السيارة وفتح الروس الثمانية رشاشاتهم على بانا واحترقت ثيابه ولكنه لم يجرح بجرح واحد (لقد حدثني الاخ  
العربي أبو روضة : أن من عادة بانا أن يقرأ كل يوم في الصباح والمساء دعاء : باسم الله الذي لا يضره مع اسمه شيء) ويعتقد جازما  
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-  
( مامن عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم  
ثلاث مرات لم يضره شيء)

حديث صحيح (4)  
وقفت ومافي الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم  
تمر بك الأبطال كلمي هزيمة ووجهك وضاح وثرغك باسم  
ولا بد من ذكر أنباء محمود الغزنوي بقصة رابعة وهذه القصة يقصها أبو داود رأي العين في غزني، المجاهدون هناك دباباتهم الدراجة  
الهوائية يحمل احدهم (بي، أم1) "راجمه الصواريخ ذات الصاروخ الواحد" على ظهره ويجزمه ثم يركب الدراجة ويضع قاعدة  
الراجمة كذلك على ظهره ثم يربطها ويركب الدراجة الهوائية ويسير على هذا الحال 14 كم .  
وليت اخواننا المسلمين في بقاع الأرض يغتنمون الفرصة ويستفيدون من درس الجهاد الأفغاني.  
وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

(1) زاد المعاد (2/108) والسيره النبوية لان هشام (2/619) (2) الرحيق المختوم (351)

(3) صحيح البخاري (2/577)

(4) عند احمد برقم (446) وابن ماجه برقم (369) وأبي داود برقم (508) وهو عند الترمذي برقم (3385) وقال حديث حسن  
صحيح وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي

ملحمة الإيمان

الشرارة\*

[نشر في مجلة الجهاد -العدد الثاني والثلاثون- ذو القعدة 1407هـ، جولي 1987م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فقد كان اليوم السادس والعشرون من رمضان هو بداية المعركة، ذلك المجاهدون قواعد الكفار دكا شديدا وكان يوما مشهودا لا ترى  
السماء تمطر إلا نارا وحديدا.

سحائب يطرطن الحديد عليهم فكل مكان بالحديد غسل.  
وكان اليوم السابع والعشرون من رمضان يوما هادئا نسبيا، ثم أقبل اليوم الثامن والعشرون وبدأت الدبابات والآليات تتحرك من القلعة (تشاواني -علي خيل) نحو مراكز الكفار (بوسنات الشيوعيين) وعادت الحرب تستعر ويشند أوارها وأصلبت هذه الآليات بوابل من القذائف من جميع الأنواع ومن شتى الأسلحة التي التهمت، وكانت المشاعر ملتتهبة، كل يحلم أن يكون شهيدا في هذه الواقعة ونادى المنادي : يا خيل الله اركبي.

قائد الركب يريد أن يوقع بالعدو ما استطاع من الخسائر :  
همام اذا ما هم أمضى همومه بأرعن وطء الموت فيه ثقيل  
وتراه رغم أنه لا يكاد يكتحل بالنوم ولا يعرف للراحة طعما، ورغم انخفاض الضغط لديه إلا انه لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا يقر، الملح لا يفارق جيبه يلتهمه ثم يتبعه بجرج الماء يحاول أن يرفع ضغطه حتى يستطيع مواصلة المعركة ومواكبة المسيرة.  
والشباب من حوله يكادون يطربون حماسا ويتفجرون حيوية.

ومضى اليوم الثامن والعشرون وأرعى الليل سدوله ولكن السلاح لم يسكت والأصوات التي تكاد تصم الأذان تشق سكون الليل والخيوط الحمراء من الرصاص المتتابع وقذائف الأسلحة الثقيلة تحيل الدباجي المظلمة في لحظات الى نهار مضى شمسو الصواريخ المنطلقة والقذائف الملتهبة. وكان اليوم التاسع والعشرون كسابقه لا تهدأ فيه آليات الكفار عن الحركة ولا أسلحتهم عن الرد على أسلحة الاخوة المجاهدين الذين يصلون نهارهم بليلهم وكان كل واحد يريد أن يكفر عن السنين التي خلت وهو قاعد في بيته . .  
انشق فجر الثلاثين من رمضان وقد بلغ الاعياء في النفوس مبلغه وأخذ الجهد من كل نفس مأخذه ويود كل واحد من الاخوة أن يضع جنبه فيذوق طعم الراحة او يكتحل بالنوم وكان يوم فطار في المأسدة (انكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم) (1) ومع الكلال والاعياء الشديد فانهم يتوقعون ان ينزل العدو عليهم مجموعة كبيرة من الكوماندوز لتحتل المعسكر صدرت الاوامر الى الجميع بالنقيط الشديد رغم الكرى الذي يداعب الاجفان والتنبه الأكيد رغم الإرهاق الذي استنفذ القوى والإنهاك الذي يجهد أولي العزم.

وكانت المفاجأة .. أسراب الطيران التي تدك المأسدة دكا القذيفة تصل الى طن كامل أحيانا والقنابل المتناثرة التي تنفجر في الهواء وتفرش الارض بالقنابل الملتهبة الصغيرة وكانت هذه الطائرات تمهد لتقدم مجموعات من الكوماندوز -كلهم من الروس التي اعدت اعدادا رفيعا ودربت تدريبا عاليا يعتمد على اللياقة الجسمية وخفة الحركة وسرعة المباغتة وكل واحد يحمل سلاحا خفيفا وسكينا وقنابل بسيطة وعلى ظهر كل واحد حقيبة اقامة واستطاع المجاهد أحمد شاه أن يبصر تقدم الكوماندوز فأخبر أبا عبيدة بالأمر.  
فأطلقت ثلاث طلقات من (الزيكويك) وهذه اشارة الى ان المعسكر قد دهم من قبل العدو فاستنفر جميع الاخوة.

قال المجاهد أحمد شاه -أفغاني- الراصد : ان المتقدمين عددهم ما بين مائة وخمسون ومائتي مقاتل وهم على شكل مجموعات كل مجموعة مكونة من أحد عشر عنصرا، بينما عدد الاخوة العرب حوالي الاربعين فظن الاخوة بأن العدو يخطط لدخول المعسكر من جناحه الأيمن (بدر) وإذا بهم يدخلون المعسكر من جهة اليسار، ووصل الكوماندوز الى تحت تلة القيادة.  
والإخوة فوق تلة القيادة ولم يبق بينهم سوى مائة وخمسين مترا، وطلب الاخوة في غرفة القيادة نجدة وكان الامير مع القائد العسكري في المقدمة فوق تلة القيادة وأرسل الاخوة مجموعة من المجاهدين الافغان ولقد أحس العدو بوجود الاخوة من خلال مشي مجموعة النجدة فانسحبوا الى الخلف قليلا ثم اتصلوا بمجموعة الهاون المساندة لمجموعة الكوماندوز وكلها من الروس وبدأ مدفع الهاون يصليهم بقذائف لا تتوقف حتى كان أحدهم يسأل الآخر فلا يستطيع الأخ إجابته.

ثلاثون دقيقة مع الموت :

مرت ثلاثون دقيقة والاخوة ينتظرون في كل لحظة شهادتهم ولا تجد الاسنة تردد سوى الشهادتين ولا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين، قال عثمان : فوسوس لي الشيطان فقلت في نفسي هل أعصي الامير وأراجع لأجد ملجأ أم أطيعه وأنتظر الموت؟ ولكن لا مجال لعثمان ولا لأميره أن يلتقط أنفاسه فضلا عن ان يتراجع قليلا ليجد ملجأ يقيه شظايا القذائف التي تنزلت كالمطر ورفع القائد العسكري رأسه ليري ما يجري وإذا برصاصتين من الكلاكوف تمر من شعر لحيته.

طلب النجدة

وفي أثناء الدقائق الثلاثين بدأ الاخوة يستغيثون ويطلبون من غرفة الاتصالات النجدة من أية جبهة من جبهات المجاهدين، وصاحوا بالأخ الذي يحمل اللاسلكي بأن يتصل بالشيخ سياف أو المهندس حكمتيار بأن يوجهوا نيران مدافعهم الثقيلة نحو مصدر الهاون وأن يرسلوا النجدة، فأرسل الشيخ سياف أربعين مجاهدا وأرسل حكمتيار مثلهم.

نصف دقيقة فقط ردت اليهم فيها الحياة لقد بلغت القلوب الحناجر وكانت الاعصاب تحترق وهي تعيش بين الدنيا والآخرة ولم يكن احد يصدق أنه ناج من الهلاك واغتنموا نصف دقيقة فقط من توقف الحمم الحديدية التي تنصب عليهم فهرعوا متحرفين لقتال ودخلوا ملجأ (الغرفة المتقدمة) وما ان وجدوا مس الأرض حتى غط بعضهم بالنوم لشدة الاعياء.

وتقدم الكوماندوز فوق التبة فنادى المنادي ان امتشقوا قاذفات صواريخكم فاقبلت مجموعة كبيرة من المجاهدين الافغان والعرب وبدأت تطلق على الاعداء فأصابوا واحدا وتخرج مضرجا بدمه وفر الباقون وعاد الهاون ليصب نيران قذائفه على المجاهدين فسقط خمسة من الإخوة الأفغان شهداء.

الانسحاب من "تبة" القيادة الى الغرفة المتقدمة :

وانسحب الاخوة من تبة القيادة التي احتلها الكوماندوز الى التبة الثانية (الغرفة المتقدمة) وعاد الهاون يصب نيرانه الرهيبة على الاخوة وأقبل الدكتور صالح واختطف الأمير من بين فكي الموت الزؤام، وحجرا الرحا دائرتان تطحنان الاعصاب والنفوس والقلوب.  
والأخ احمد شاه -الأفغاني- يواصل اتصاله بالامير بأن الكوماندوز ذوي الوجوه الحمرة لا يزالون ينتشرون فوق التلال القريبة ويزدادون وهنا وبعد سقوط الاخوة الخمسة شهداء ينظر أبو عبيدة الى عثمان وكان بجانبه وقال : لنراجع قليلا.

انقل أبو عبيدة مع عثمان من مكانهما قليلا من أجل دراسة الوضع الراهن وكيفية مواجهته وبعد انتقالهما بخمس ثوان نزلت قذيفة هاون مكانهما فقتلت أربعة من المجاهدين الأفغان عندها نظر عثمان الى أبي عبيدة قائلا : لن أفارقك انت بركة" وسار أبو عبيدة مع عثمان وقرب المشغل يجلسان يتشاوران وإذا بقذيفة هاون تخر بجانبهما ولكن الله سلم فلم تنفجر القذيفة فقال عثمان : "الم أقل لك انك بركة"  
واضطر أبو عبيدة أن يفارق عثمان لدقائق فجاءت قذيفة ثالثة فانفجرت وعفر التراب وجه عثمان وعندما عاد أبو عبيدة قال عثمان "لا تفارقني لأنك بركة".

وأبو عبيدة صاحب كرامات وهو من حفظة القرآن ومن قصصه أنه كان في منطقة (جور) أثناء الهجوم الكبير في العام الماضي وبينما كان يستنجد اذ الفت الطائرة فوقه قذيفتين كبيرتين فتألم ان تأتية الشهادة وهو على هذه الحالة، فأكرمه الله ولم تنفجر القذيفتان ونزلتا بجانبه ولو انفجرت احدهما لتطابر جسده قطعاً في الهواء.

اجتمع الأمير والقائد وعثمان ومنصور للتشاور والقصف لا يتوقف والسماء تمطرهم بشتى أنواع القذائف والحمم ولا يكادون يلتقطون أنفاسهم والشيخ تميم متنرس بجانب غرفة القيادة والصواريخ والقذائف من الطائرات والدبابات وراجمات الصواريخ ومدافع الهاون تتساقط كثفيه وهو يقرأ القرآن ينتظر الشهادة.

وكانوا مترددين في الانسحاب من المركز ولو كانوا متحرفين لقتال وبينما هم كذلك واذا بالطائرات تلقي قنبلة دخانية في وسط المعسكر ليكون هدفا واضحا لآليات العدو وأسلحته وقصفه وازداد انهيار القذائف وهنا قرر الأمير الانسحاب من الموقع مع ترك تسعة من الاخوة العرب فقط، وهكذا بقي القائد العسكري مع تسعة من اخوانه العرب بالإضافة الى سرية من المجاهدين الأفغان بلغت ثمانين شخصا بقيادة منور شاه وسيد جلال الدين وفضل نبي. وبدأ الشيخ تميم يجيش باليكاء وكثير من الاعين تذرف دموعها وأخذ الشيخ تميم يشد شعر لحيته وخشي الاخوة أن يصيبه شيء أو مس من الجنون وعاد الاخوة من المأسدة (المركز الجديد) الى المركز الثاني (العرين) ولكن النفوس كأنها تتقلب على اللظى وامضى الاخوة ليلة ليلاء وهي ليلة عيد الفطر ولعل البعض لم يكتحل بالنوم الما وحزنا وما ان انشق الفجر يوم العيد حتى عادت جموع الاخوة العرب الى المأسدة.

العودة الى المأسدة يوم العيد

لقد كان يوم عيد الفطر 1407 همشهودا لدى الاخوة المجاهدين العرب وكل منهم متشوق لهذا اليوم منذ سنين :

(ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون)

(آل عمران : 143)

ودارت معركة رهيبة أبدى فيها هؤلاء الاخوة شجاعة نادرة وثباتا عجيبا وقد تحدثنا في العدد السابق من الجهاد عن الكوماندوز الروسي وكيف نزل الاخوة عليهم كالصاعقة وفر الروس

(كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة)

(المدثر : 50)

وقد عملوا فيهم مقتلة عظيمة وغنم الاخوة اسلحتهم وقد سقط ثمانية من الاخوة العرب شهداء في هذا اليوم (علي وحسين ونور الحق ومنصور وأبو الفضل وعبدالله المصري وأبو خالد الجزائري وأبوالوليد السعودي "محمد منير العتيبي").

وقد صد الاخوة العرب هذا اليوم هجومين من الكوماندوز الروسي ومحاولتين جريئتين لاقتحام المأسدة ولكن الله ثبت جنده المجاهدين (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا)

(آل عمران : 151)

واستمرت الأيام، القصف لا يتوقف فيها، وفي كل يوم يأتينا جرحى، والشهداء يزدادون والدماء لا تجف والسيارات لا تنقطع عن الحركة رغم قصف الطيران وراجمة الصواريخ ولا تكاد ترتاح في نوم، وطعامنا عند الشيخ (سياف) في هذه الايام المرق الذي فيه الدهن الافغاني الكثير ولا يقدم عليه إلا من تعودوا والا فالاسهال ينتظره، وما رأيت الرز طيلة هذه الفترة الا عندما اشترى بعض الاخوة لهم رزاً، كان أشد ما يواجهه الاخوة الهاون الذي يقتحم على الاخوة خنادقهم، فكان قلبي معلقا مع هؤلاء الاخوة خاصة الذين يتسمنون ذروة جبل الرماة المعرض طيلة النهار للطيران والقذائف والصواريخ.

ولقد كان أمير جبل الرماة سيد محمد الافغاني من أنبل وألطف وأرفع ما رأيت من القادة خلقا وأديبا وعلماء وسلوكا فهو أمير المجاهدين في (لوكر) وقد كان مسجلا للماجستير في جامعة الامام محمد بن سعود وترك الماجستير وجاء طلبا للشهادة.

وكان عند سيد محمد أحد قادات السرايا اسمه "نور اغا" شاب شجاع مجاهد قديم وقد استشهد أثناء المعركة حوله ابن اخته وابن عمه ومع ذلك لم يغادر خندقه.

مربيات وأسباب ومعطيات :

ومن خلال مراقبتي لمجريات المعركة رأيت أن العدو قد تكبد خسائر فادحة في المعدات والارواح فما من يوم يمر إلا وتدمر مجموعة من الآليات ويسقط بمعدل طائرة واحدة كل ثلاثة أيام.

وقد جاء موسى خان ذات يوم بتقرير يؤكد تدمير 21 دبابة و4 ناقلات للجنود وسيارتي إسعاف وفي كل يوم تقريبا نسمع باللاسلكي نبأ تدمير دبابات وإحراق سيارات أما القتلى فقد رأى أحد السائقين الأسرى ثلاث شاحنات كبيرة مليئة بجثث القتلى الروس ، وليس من الشيو عيين الأفغان ، ومن خلال مقارنتي لهذه المعركة مع المعارك الأخرى التي شهدتها في نجرهار ، ونازيان ، ومعركة جاجي في العام الماضي ومعركة خوست وجاور ، رأيت أن هذه المعركة أشد المعارك على العدو وما لقي العومقاومة أبدا وإصرارا وعزما كما لقيه في هذه المعركة ، وكذلك ما رأينا الكافرين يصرون على استمرار المعركة كما شاهدناهم في هذه .

وهناك أسباب رئيسية كبرى للتحويل الذي جرى في هذه المعركة ولصالح المجاهدين.

أول هذه الأسباب :

1 -لطف الله العظيم الذي كان يلف المنطقة كلها بعنايته ورحمته ويحس الإخوة بهذا في حلهم وترحالهم ليلاً ونهارهم وفي حركتهم وسكونهم وقد تكرر كثيرا أن تسقط قذائف قرب الإخوة ولا تنفجر وكذلك القذائف التي تنزل كالمطر وتنفجر ومع ذلك لا تؤذي الإخوة الذين حولها .

2 -استيسال الإخوة العرب في داخل المعركة وإقدامهم وتضحيتهم مما شحن الهمم ورفع المعنويات .

3-وجود أجهزة اللاسلكي مع الرصد المتقدم المتينقظ الذي كان يوجه كل قذيفة تخرج من خلال أسلحة المجاهدين .

4 -وجود القيادة في وسط المعركة خاصة الشيخ سياف الذي لم يغادر أرض المعركة لحظة واحدة وكان يوجه قاذته من خلال جهاز اللاسلكي ووجود القائد في خضم المعركة يعطي الجنود شحنة قوية ودفعة عظيمة، وكذلك وجود القائد الذي ألقت النفوس احترامه وطاعة أوامره في أيام الرخاء يقلل كثيرا من روتين الإجراءات في صرف الذخيرة وإخراج السلاح وبذل المال وتوفير الضرورات والحاجات من الأطعمة والألبسة والآليات المتحركة .

5-مهارات المجاهدين في استعمال أسلحتهم خاصة الثقيلة منها فقد كانت ضرباتهم مسددة وتقع في الأهداف :

فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت لكن الله رمى

(الأنفال : 71)

6 -جبهات السحر الخاصة بالدعاء للمجاهدين والتي كانت تردد (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) (2).

7 -اتحاد كلمة المجاهدين وجو التآلف والاخوة، فما كان الاخوة العرب يطلبون اجتماعهم الا وساروا الى الاجتماع ولم يكن الاخوة العرب يطلبون من زعيم من زعماء التنظيمات شيئا الا وساروا الى الاجابة بروح طيبة ونفس منسجمة خاصة (سياف وحكمتيار ورباني) فلم يطلب من أحد الثلاثة شيء الا ونفذه وجزاهم الله عن المسلمين خيرا .  
هذه هي الاسباب في نظري التي أدت الى ميلان الكفة لصالح المجاهدين والى ارتفاع الخسائر في الارواح والمعدات لدى الكافرين .  
لقد ترمى الى مسامعنا أن نجيبا أرسل وراء محافظ بكتيا وقائد قواتها وطلب منهما استمرار المعركة ومواصلة المحاولة فاعتذرا بسبب التكاليف الباهظة والمعنويات المتردية لدى جنودهم حتى فر الى حاج خان بازك -أحد قادة المجاهدين- عشرون جنديا من بينهم مسؤول الإشارة واللاسلكي.

فقال نجيب : "لا بد من المواصلة وأنا ارسل لكم قوات جديدة" وارسل لهم قوات جديدة، لقد اشترك منذ بداية المعركة ثلاث فرق بالاضافة الى خمس كتائب روسية منها كتيبة واحدة من الكوماندوز الفرقة الثامنة التابعة الى "كابل" الفرقة الرابعة عشر التابعة الى "غزني" والفرقة الثانية عشر التابعة الى "جريدز" .

ويحدث سياف نقلا عن لسان أحد الضباط الذين استسلموا للمجاهدين أن القائد الروسي للحملة سألهم : لماذا تصيب قذائف المجاهدين منشآتنا ونحن لا نصيب قواعدهم؟ فأجابوا : ان الذين يسددون رمي المجاهدين ليس الأفغان بل هنالك فنيون من بلاد العرب وأمريكا والصين يوجهون ضربات المجاهدين والحق أن أبا عبدالرحمن قد أبلى بلاء عظيما وثبت ثباتا عجبيا .

استشهد أبي حفص الفلسطيني (هشام هاني منصور) :

في عصر الجمعة وفي ساعة الاستجابة 9 شوال الموافق 1987/6/5 حاول الروس مع الشيوعيين الافغان اقتحام المأسدة (المركز الجديد) للمرة الخامسة وكان الاخوة قد اعدوا كمينين وكان أبو حفص ضمن أحدهما وأقبل الشيوعيون يتقدمون مجموعات الروس حتى يقتل الشيوعيون الأفغان قبل الروس :  
(لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون)  
(فصلت : 16)

وأقبل عتل جواض من الشيوعيين يغني ويشجع نفسه على الاقتحام وسدد له أبو سالم اليمني عدة طلقات فأرداه قتيلا و الى جهنم وبئس المصير.

وان اسوداد جثته والنتن الذي تنفّز منه الأبدان لينبئك عن مصير هؤلاء وقد قيل ان هذا القتل هو : ولي جان قائد المليشيا الشيوعية في بكتيا، فعندما سقط هذا الكافر مجنولا بدمه لاذ الباقون بالفرار فتصدى لهم الكمين بالرصاص فسقط ثلاثة ورأى أمير الكمين تبادل اطلاق النار مع الكمين الآخر التابع للمجاهدين وظن ان بعض اخوانه قد جرحوا فطلب من ابي حفص ان يسارع لانقاذ الجريح من اخوانه فهرع ابو حفص وعندما وصل وأبصر جثث القتلى انبطح على الأرض حتى يتفحص الامر واذا بأحد الكفار المضرجين بالدماء لازالت فيه بقية روح فوجه سلاحه نحو ابي حفص وأطلق عليه رصاصتين فكانت الشهادة ان شاء الله والتي يبحث عنها وهو دون سن الحنث بكثير.

وقيل الشهادة بقليل كان أبو حفص قد أبصر روسيا وراء شجرة موليا ظهره نحو ابي حفص وأراد ذبحه بالسكين الا انه تذكر انه استطاع ولم يتلق أمرا باحداث شيء فذهب الى أميره يستأذنه في قتل هذا الروسي الاحمر فأذن له فرجع الى المكان فوجده قد غادر وولى هاربا.

#### استمرار المعركة

المعركة مستمرة ولهييها يزداد اضطرابا ونشط الطيران، وأصبح يغير ليلا ونهارا ولا تكاد راجمات الصواريخ تكف عن قذف حممها المستعرة فوق قواعد المجاهدين أما الهاون (العدو اللدود للمجاهدين) فانه يواصل الليل بالنهار ودعك عن الدبابات ومدافع الميدان (الهاوتزر 155 ملم) لقد كانت قذائف العدو تسقط على مواقع المجاهدين فتמיד لها الجبال وتردد صداها سلاسل الجبال الشاهقة فكانت أسمع الصدى أحيانا فأقول للاخوة الجالسين كنفي : اني لأسمع هدير طيران فيقولون هذا هدير القذائف، كنت أوي الى ملجأ صغير تحت صخرة شاهقة في السماء وعرضها حوالي خمسين مترا فكانت أتصور كيف ستسقط هذه الصخرة العظيمة فوق رؤوسنا اثر قذيفة طائرة مما يزن طنا كاملا، وما تحركت بين موقعين الا وظننت أنها نهايتي وأن قذيفة ستصينني فأنا شاهدتي.  
كنت أجلس أحيانا في نفق على بابيه بعض الاخوة الافغان حراسا فكانت لا أتحرك من مكاني الا اذا رأيت الافغان هرعوا الى داخل النفق، انهم لا يرهبون الموت وأصبح دوي الطائرات وهدير الدبابات وأزيز المدافع نغما مألوفا الى آذانهم ولم يعد للحذر أي مكان في حياتهم أضحت معينا من الآلام وينبوعا من المصائب والاحزان ولا استطيع في هذه العجالة ان أنقل اليك ما أحمله في أعماقي عن صبر هذا الشعب العجيب ولكني اسوق اليك قصة سائق ابي ياسر واسمه : الاسطة : أو مستري).

#### قصة مستري

لقد اعتاد صاحبنا المستري أن ينقلنا بالسيارة من بيشاور الى صدا وذات يوم واذا بأبي ياسر يقول لي : أتعرف قصة هذا الرجل؟ لقد قتلت اسرته كلها في يوم واحد فسألته : من اين أنت؟ فقال : من بغمان، فسألته عن قصة المأساة فقال : كنت مجاهدا في بغمان وكنت أعد نفسي لأعود من بغمان -أرض المعركة- الى بيشاور لأراجع المسؤولين ببعض حاجاتي ومن عادة بعض المجاهدين أن يقضوا الصيف والربيع في أرض الجهاد ويقضوا أشهر الشتاء في بيشاور من أجل الاعداد والتجهيز لأن بعض المناطق في الشتاء ترتفع فيها الثلوج مترا وزيادة ولا يمكن الحياة فيها، وفي ليلة عيد الاضحى يجتمع في بيتي في بغمان زوجتي وأبنائي الأربعة وابنتاي واخوات زوجتي الثلاثة واخوها وأغارث 4 طائرات وألقت قذائفها المدمرة فدمرت المنزل وأصبح أطلالا وكنت خارج البيت فلم أجد ذا روح في البيت ولم أستطع أن أجمع من أجسامهم سوى قطع لحم متناثرة اختلطت بالتراب ولم أجمع من أجساد هؤلاء الا اثني عشر شخصا إلا ما يقل عن عشرة كيلو غرامات من قطع اللحم، وفي ذلك اليوم قتل عدا اسرتي هذه بكاملها اثنا عشر نفرا من أقاربي فكان مجموع ما قدمنا لله عزوجل من الاضاحي وفي ليلة عيد الاضحى أربعة وعشرين شخصا.

نكاد حين نتاجيكم ضمايرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وذا كان حال النبي المرسل من ربه يعقوب عليه السلام :

(وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)

(يوسف : 84)

فماذا يكون حال مستري وأمثاله لهم الله هؤلاء القوم ان حياتهم أساطير من المأسى وان الحزن نفسه ليسلو عندما يرى مصابهم ويشاهد آلامهم.

رسائل إلى أمراء الأحزاب  
خططنا رسالتين أحدهما إلى الأستاذ رباني (أمير الجمعية الإسلامية) وكان قد زار الجبهة إبان احتدام المعركة، والآخرى للمهندس حكمتيار (أمير الحزب الإسلامي) والذي كان في الجبهة حتى اليوم الثلاثين من رمضان ثم غادر معسكر الفتح لأعمال ضرورية في بيشاور.

وقد كان خلاصة ما في الرسالتين توضيح أبعاد المعركة وضخامة التضحيات وشدة الأمر بالنسبة للمسلمين وأنه لا بد من الالتقاء بالنقل الإسلامي في المعركة ووجوب مضاعفة الذخائر والأسلحة لمقابلة هذه القوة الضخمة المستميتة على اقتحام مواقع المسلمين مهما كانت التكاليف وحمل الرسالتين اليهما شاب يماني نشيط وهو سبع الليل (أحمد الأحمد) وكان قد أتى إلى المعركة واشترك مع مجموعة من الجمعية في الإطلاق على راجمات الصواريخ وانطلق سبع الليل بالرسالتين وقد كان تلقى الرسالتين من الأخوين الأميرين بترحاب كبير واستبشار عظيم، أما الأستاذ رباني فقد أرسل رسالة إلى قائده العسكري بأن يفتح مخزن السلاح بلا حساب ولا يرد طلباً مما طلبه المجاهدون وأما المهندس حكمتيار فقد تحرك بنفسه إلى أرض المعركة.

وعاد سبع الليل مسروراً أن بلغ وعاد بنتائج طيبة وعندما وصل قال : غدا لا بد -من الصباح- أن نتحرك مع راجمة الصواريخ مع الجمعية، ثم أضاف : أنا ما جئت لأكل الرز، ثم وجد مجموعة ستنتقل بعد الفجر للترصد في خرسنل حيث العدو.

قال له أبو عبدالله : هناك عملية جريئة للتعرض للكافرين.  
قال سبع الليل : أذهب من الصباح إلى الظهر للترصد وبعد الظهر أكون جاهزاً وانطلقت مجموعة التردد بعد صلاة الفجر ولم يكن سبع الليل نائماً في ذلك المكان، وكم حزن في نفسه أنه لم يدركها ولم ينطلق معها، وعندما ذهب إلى مجموعة الجمعية المرافقة لراجمة الصواريخ أخذ يعمل بنشاط وينقل الصواريخ ويصفها بجانب الراجمة وماهي إلا ساعات حتى كانت الفذيفة التي سبقت بقدر لتصيبه في رأسه فاعمى عليه ومضى إلى ربه بعد قليل، كان هذا يوم الاثنين ضحى في الثاني عشر من شوال سنة 1407 هـ الموافق لليوم الثامن من حزيران (يونيو) سنة 1987م.

وبعد فهذا هو اليوم الثاني والعشرون من رمضان ونحن اليوم في السابع عشر من شوال وقد انسحبت القوة في هذا اليوم تجر أثواب الخزي واذيال الخسران والندامة.

تسايرها النيران في كل مسلك به القوم صرعى والديار طلول  
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

(1) شرح النووي / ج 7 / ص 236/ وعند أبي داود برقم (2406) في (الصوم في السفر) وهو في مختصر مسلم برقم (601)  
(2) الحديث متفق عليه. عن عبدالله بن أبي أوفى/ فتح الباري / ج 6 / باب (112) برقم (2966)/ شرح النووي / ج 12/ كتاب الجهاد والسير / ص 47- بلفظ (... اهزمهم وزلزلهم).

#### تحطيم القيود \*

[نشر في مجلة الجهاد -العدد الثالث والثلاثون-ذو الحجة 1407هـ، الموافق أغسطس 1987م].

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد :  
فإننا عندما رفعنا راية الجهاد في سبيل الله فإنما نبتغي إرضاء الله ونرمي إلى أن تكون كلمة الله هي العليا، ومن اعلاء كلمة الله التي شرع من أجلها الجهاد رفع الظلم عن الناس.  
فحينئذ تحركنا في ميادين القتال في ساحة النزاع الأفغانية فإنما نهدف إلى إمالة الظلم عن أنفسنا ومسح الظلم عن إخواننا المسلمين الأفغان إعداداً إلى الله و (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا)

#### إزالة الظلم

إن أهم أغراض الجهاد في سبيل الله هو رفع الظلم عن الناس بل ما تنزلت الشرائع كلها إلا لإقامة القسط في الأرض ورفع الظلم عنهم فقد قال جل شأنه :

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)

(الحديد : 25)

والميزان هو العدل كما قال مجاهد وقتادة والسدي (1). يقول قتادة : (عدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل لك وأوف كما تحب أن يوفى لك فإن العدل صلاح الناس).

وعندما أرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبدالله بن رواحة لجمع خراج خيبر أهده اليهود كمية من التمر الفاخر لعله يخفف عنهم فقال عبدالله رضي الله عنه : لقد جئتمكم من عند أحب الناس إلي -صلى الله عليه وسلم- وأنتم أبغض خلق الله إلي ولكن والله ما حبي له وبغضي لكم ليعلنني أن أبخسكم حقكم، فقال اليهود : بمثل هذا قامت السموات والأرض)

ولذا فليس عجباً أن ينزل رب العزة عشر آيات من السماء لتبرئة يهودي من سرقة أتهم بها وإثباتها عند رجل يصلي ويصوم من المدينة وهو طعمة بن ابيرق أو بشير بن ابيرق والآيات التي خلدت هذه الحادثة في سورة النساء :

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخاننين خصيماً)

(النساء : 105 )

وهذه القصة لا تعرف لها البشرية نظيراً ولم تعرف لها الأرض مثيلاً وتشهد وحدها بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد لا يمكن للبشر أن يكون لهم يد فيه لأن البشر مهما ارتفعت تصوراتهم ومهما صفت أرواحهم ومهما استقامت طبائعهم لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى الفذ الذي يرسم على الأفق خطاً لا يمكن أن ترتقي إليه البشرية ولا يمكن أن تصعد إليه الإنسانية إلا في ظل هذا الدين والا على هدي من هذا المنهج.

وخلاصة القصة في سبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الانصار -قتادة بن النعمان وعمره رفاعه- غزوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعض غزواته فسرقت الدرع لأحدهم (رفاعة) فحامت الشبهة حول رجل من الانصار من أهل بيت يقال لهم (بنو ابيرق) فأتى صاحب الدرع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : "ان طعمة بن ابيرق سرق درعي وفي رواية : انه (بشير بن ابيرق) فلما رأى

السارق ذلك عمد الى الدرع فالحاها في بيت رجل يهودي اسمه زيد بن السمين، وقال لنفر من عشيرته : اني غيبت الدرع والقيتها في بيت فلان وستوجد عنده فانطلقوا الى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : يا نبي الله ان صاحبنا يرى ان الذي سرق الدرع فلان وقد أحطنا بذلك علما فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فانه ان لم يعصمه الله بك يهلك ولما عرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن الدرع وجدت في بيت اليهودي قام فبرأ ابن ابيرق وعذره على رؤوس الناس وكان أهله قد قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت.

قال قتادة : فأثبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكلمته فقال -صلى الله عليه وسلم-: عمدت الى أهل بيت يذكر منهم اسلام وصلاح وترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة، قال : فرجعت ولوددت أني خرجت من بعض مالي ولم اكلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

فأتاني عمي رفاعه فقال : يا أبن أخي ما صنعت فأخبرته بما قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : الله المستعان، فلم نلبث أن نزلت :

(إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...) (2)

لقد نزلت هذه الايات في أخرج اوقات الجماعة المسلمة وأدقها حيث لم يدع اليهود سهما مسموما إلا صوبوه تجاه هذا الدين ولم يدعوا خنجرا إلا حاولوا ان يطعنوا به القيادة الربانية التي تمثل هذا المنهج واقعا وسلوكا واخلاقا.

نزلت الايات وقد نصب اليهود معاليهم (مصادهم) وأقاموا شبائهم وفرقوا سهامهم تجاه الجماعة المسلمة يبعونها الفتنة يودون تمزيقها ويريدون تشيئتها.

وقد كان اليهود العقل المفكر والرأس المدبر والأيدى الخبيثة التي تدير المنافقين من وراء ستار حيث يكون الذين في قلوبهم مرض المخالب الخبيثة والقفازات النجسة التي يضرب بها اليهود.

وفي هذا الوقت تنزل هذه الايات لتتصف يهوديا اتهم ظلما بسرقة وتدين بها بيتا من بيوت الانصار الذين كانوا عبية (محل نصح) رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والذين قدموا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل نصرة هذا الدين وحماية نبوته، نزلت لتثبت سرقة في بيت أنصاري فتعطي بهذا سيفا جديدا مسلولا يستعمله اليهود للتشهير بأنصار هذا الدين.

لقد كانت المصلحة في موازين البشر تقتضي أن لا تثار هذه القضية وأن لا تنبش هذه المسألة سيما في هذا الوقت ومع هؤلاء الأرقام وقد كانت الكياسة والسياسة تقتضي أن لا يفصح رجل من الجماعة المسلمة ومن أجل من؟ لأجل يهودي يواصل كيد الليل بالنهار للاساءة لهذا الدين وأهله.

لقد كانت الباقية في عرف الناس توجب أن لا يفصح رجل من ابناء الجماعة المسلمة وعلى ملا من أهل المدينة لا بل على مر العصور وكر الدهور ينزل به قرآن يتلى آناء الليل واطراف النهار ان ظروف الجماعة المسلمة ومصلحتها في تلك الحقبة العصبية تستلزم في النظرة البشرية القصيرة أن يضرب صفحا عن مثل هذا الحادث وان لا يجعله حديث السامر وحذاء المسافرين.

ولكن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء اتهم وان كانت تبرئة المتهم وانصاف المظلوم شيئا ثقيلا في ميزان الرحمن ولكن القضية أكبر من هذا بكثير.

ان القضية هي اقرار منهج رباني قائم على العدل تطبيقه الجماعة المسلمة على نفسها قبل أن تطبقه على غيرها وتنتصف المجموعة المؤمنة للحق من مالها ودمها قبل أن ينتصف الحق من غيرها، لا بد من اقرار منهج لا يتأرجح مع الهوى ولا يتزعزع مع الشهوات ولا يتأثر بالمصالح القريبة والانساب والعصبيات يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال (3) (وينظر الانسان من هذه القمة السامقة على السفوح الهابطة في جميع الامم على مدار الأزمان فيراها هنالك... هنالك في السفوح ويرى بين تلك القمة السامقة والسفوح الهابطة صخورا متردية، هنالك من الدهاء والمراء والسياسة والكياسة والبراعة والمهارة ومصلحة الدول والوطن ومصلحة الجماعة الى آخر الاسماء والعنوانات فاذا دقق الانسان فيها النظر رأي تحتها الدود!!

وينظر الانسان مرة اخرى فيرى الأمة المسلمة وحدها-صاعدة من السطح الى القمة تتناثر على مدار التاريخ وهي تتطلع الى القمة التي وجهها اليها المنهج الفريد.

أما العفن الذي يسمونه (العدالة) في أمم الجاهلية الغابرة والحاضرة فلا يستحق أن نرفع عنه الغطاء في مثل هذا الجو النظيف ... الكريم).

ان رفع الظلم عن الناس هي مهمة الانبياء التي من أجلها تنزل الروح الأمين من السماء، وله نزلت الشرائع وأوحى الله بالكتب، واستمراء الظلم وقبول الهوان والاستنامة تحت نير العبودية قرين الكفر، وقدما قال الشافعي :

أنا ان عشت فلست اعدم قوتا ولئن مت فلست اعدم قبرا  
همتي همة الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا

وان المستضعفين في الأرض الذين يعيشون تحت اقدام الجبابرة ليستحقون الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة :

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا

يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا)

( النساء : 97 - 99)

فالذين لا يهاجرون من تحت نير الظالمين ويرضون العيش بين قطعان السوائم جزاؤهم جهنم يصلونها كلما خبت زادها رب العزة سعيرا فاذا علمت سبب نزول هذه الآية فانك ستقف امامها مشدوها حائرا فقد روى البخاري باسناده عن عكرمة أخبرني ابن عباس (أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يأتي السهم فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله تعالى :

(ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ... )

(النساء : 97)

هذا شأن المؤمنين في مكة القابضين على دينهم كالقابض على الجمر فما بالك بالذين يعيشون في بلادهم يتمتعون ويأكلون كما تاكل الأنعام لا يشغله إلا لقمة الطعام وقطعة الكساء والعلوة والوظيفة والدرجة والراتب وموديل السيارة ودهان العمارة.

والذين لا يتحركون لرفع الظلم وانصاف المظلومين هؤلاء تجار الى الله عليهم دعوات المستضعفين :

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لذك وليا واجعل لنا من لذك نصيرا)

(النساء : 75)

فهم الظالمون لأنفسهم لا يتحرقون ولا يتحركون لازالة الظلم عن المظلومين.  
ولذا كانت أول آية نزلت لا باحة القتال تشير الى العلة الحقيقية والسبب الرئيسي له وهو ازالة الظلم :  
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره

إن الله لقوي عزيز)

(الحج : 40.39)

فهؤلاء ظلموا بأن طردوا من ديارهم إحفافا واقتنائا (تعديا) على حقهم وكان السبب الحقيقي لطردهم هو التوحيد الذي حملوه في أعماقهم وضحوا من أجله وما أسأوا الى قومهم، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وهذا عند المشركين أكبر الذنوب فالتوحيد في نظر اعداء الله جريمة يستحق صاحبها الطرد من مسقط رأسه ومرتع شبابه.  
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال "لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة قال أبو بكر : اخرجوا نبينهم أنا الله وأنا اليه راجعون ليهلكن، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل :  
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)  
قال أبو بكر رضي الله عنه : فعرفت انه سيكون قتال "(4).  
(وإن الله على نصرهم لقدير) أي قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكنه سبحانه يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته.

ونحن نقول :

1 -ان فريضة الجهاد من أهم الفرائض التي افترضها الله علينا من فوق السبع الطباق وأوجب علينا أداءها كالصلاة والصوم والزكاة سواء بسواء.

2 -ان مزاوله الفرائض الاسلامية واداءها أمر الهي وتكليف رباني لكل انسان إنه حق طبيعي وأمر منطقي لا يجادل فيه إلا مباحك أو مباحل.

3 -لقد ظلمنا في كثير من البلدان الاسلامية وحرمانا من أدنى الحقوق التي تتمتع بها الحيوانات فالدجاجة ان اقتربت من أفراسها الناشئة تهجم عليك والكلب يعضك ان وطئت ذنبه أو اقتربت من البيت الذي يحرسه ولا تستطيع قوة في الأرض أن تمنع اطراف الشاة أن تتحرك وهي تلفظ أنفاسها وتجد ببقية دمائها.

ونحن حرمانا أن نمسك اليد التي تشهر علينا الحراب لذبحنا ومنعنا أن نرفع اصواتنا ونحن نلفظ أرواحنا، وقد وصل اللص الى داخل حجرة النوم فكبتنا وحرمانا من ازعاجه وهو ينتهك اعراضنا ويسلب اموالنا ويسفك دماءنا.

4 -وبعد أن سلمنا اوطاننا لاعادتنا وحرموننا أن ندافع عن مقدساتنا وأن نحمي اعراضنا وسقط المسجد الاقصى دون أن يسقط حوله -وباللعار والشنار- عشرة من المسلمين دفاعا عنه.

بعد هذا كله : حاولنا أن نجتمع من بقي في قلوبهم غيرة أو ممن يحمل في نفسه بقية من رجولة أو شهامة نحاول ازعاج اليهود الذين دخلوا المسجد الاقصى أمنين مطمئنين فأبوا علينا وتكالبوا بقواتهم يحولون بيننا وبين اعدائنا بخيلهم ورجلهم.

وهذا ظلم ليس بعده ظلم وتعسف ليس دونه تعسف وتجبر لا تعلم دونه خسف.

5 -وبعد أن أبوا علينا الجهاد وحرموا علينا فريضة الاعداد، وأصبح السلاح في العالم العربي جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والاقدام، ومن القى القبض عليه متلبسا بجريمة حمل السلاح شكلت له المحاكم العسكرية وصفد بالاعلال والقيود ووضع رهن التحقيق في غياهب الزنازين لا يرى شمسا ولا يراه النور ولا يعلم عنه والد ولا ولد ولا صديق وفي ولاخل صفي .

وعندما أبينا أن نموت مستضعفين في الأرض تحت أقدام الطغاة ونفصنا الذل عن عوائقنا، وخجلنا أن نرفع الشعارات البراقة والأمال العريضة ونحن في ذل العبيد قررنا أن نهجر الأرض التي يحرم فيها الجهاد ويعتبر جريمة موبقة رعاء.

وكما قال أبو الطيب :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا

ولا تستطيلن الزماح لغارة ولا تستجدين العتاق المذاكيا

فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تنقئ حتى تكون ضواليا

وإذا كان رب العزة سمى النسيء زيادة في الكفر (والنسيء تأخير حرمة شهر الى شهر آخر) فماذا نسمة الذين يسمون الجهاد جريمة قانونية ويعلن عن عقوبات مرتكبها في اجهزة الاعلام دون خشية ولا خجل ولا حياء ولا وجل؟!.

ليس الحكم الشرعي لهؤلاء أشد بكثير واعظم جرما من اولئك الذين كانوا يراعون قداسة الأشهر الحرم ويرعون عدتها فلا يحلون في العدد ولكن العرب ولشدة حماسهم للحرب وعدم صبرهم عن القتال والنزال كانوا يؤخرون حرمة محرم الى صفر، اذ كان يقف كل عام في موسم الحج رجل من كنانة يقال له القلمس أو آخر اسمه ابو ثمامة (جنادة بن عوض بن امية) فيقول : الا ان ابا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ثم يقول : اني اخرت حرمة محرم الى صفر (5).

ان تحريم الجهاد كفر يخرج من الملة، وان محاربة اولياء الله ومطاردتهم في بلادهم واحصاء انفسهم وعد نبضاتهم وتكميم افواههم عمل عظيم عند الله يؤدي الى خراب البلاد وهلاك العباد.

ألم تر الى قول ابي بكر رضي الله عنه : (اخرجوا نبينهم -أنا لله وأنا اليه راجعون-ليهلكن) وهذا شأن الذين يخرجون أولياء الله والدعاة في سبيله :

(ومن عادى لي وليا فقد آذنته أو بارزته بالحرب)

البخاري (6).

فماذا تحكم الشريعة الاسلامية على الذين يحرمون الجهاد؟ ويسمون الزنا فنا والربا فائدة والاسلام رجعية والتمسك بدين الله تطرفا وانحرافا؟ اللهم ثبت، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام إن لا قبنا

إن الألى قد بغوا علينا إذا ارادوا فتنه أبينا

اللهم أنك تعلم : ان الألى قد بغوا علينا ونحن نأبى ان نعطي الدنيا في ديننا، ولن نرضى الفتنة والكفر الذي يحاولون فرضه علينا.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

- (1) تفسير القرطبي / ج 17 / ص 154 سورة الرحمن عند قوله تعالى (ووضع الميزان)
- (2) تفسير القرطبي / ج 5 / ص 375
- (3) تفسير الظلال (753/2)
- (4) تفسير ابن كثير (225/3)
- (5) تفسير ابن كثير (356/2)
- (6) فتح الباري / ج 11 / كتاب التواضع / برقم (6502) وهو مروي عن أبي هريرة.

عزيمة وتصميم\*

[نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والثلاثون - محرم 1408 هـ، الموافق سبتمبر 1987م].

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد :

فانه لم يكن يدور في خلدنا حينما فكرنا في الدخول إلى أفغانستان أن الحاجة ماسة للعرب كما اكتشفنا بعد دخولنا.

ان الذي كان يدور في أذهاننا من مقاصد الدخول ثلاثة أسباب رئيسة :

اولها : معرفة واقع الجهاد الأفغاني على حقيقته فوق أرض الواقع، ولنرى فعلا مدى مطابقة الصورة المرتسمة في عقولنا للواقع الفعلي، فأحببنا أن ندخل مجموعة من الشباب العرب تنقل لنا صدقا وحقا واقع الجهاد الأفغاني وحال المجاهدين وصلتهم برهيم ومعرفتهم بدينهم والتزامهم بالنوافل وصفاء عقائدهم من البدع وحاجة كل جبهة للطعام واللباس والدواء.

ثانيا : تسليم المساعدات الضئيلة يدا بيد للمجاهدين الذين، لم يغادروا خنادقهم منذ احتدام القتال أيام تراقي 1978.

ثالثا : ارواء ظمأ الشباب المتعطشين للقتال والمتشوقين للشهادة.

وسرنا على بركة الله وبدأت مجموعات الاخوة العرب تقد إلى داخل أفغانستان ثم اكتشفنا بعد امة (مدة) أن هنالك اهدافا أكبر تنتظر الاخوة العرب قد لمسناها من خلال المعاشية مع الجهاد الأفغاني والاختلاط بالمجاهدين أشهر وسنوات أدركنا أن هنالك قضايا أخطر بحلها دخول العرب ومشاكل أكبر مفتاح حلها باذن الله بيد الناطقين بالضاد المتحمسين للجهاد.

ومن هذه القضايا الرئيسية :

1 - خذل الجهاد من قتال قوم ضد روسيا إلى جهاد اسلامي عالمي، وأن الجهاد ينتقل إلى صراع شديد بين العقيدة الاسلامية والعقيدة الشيوعية وعندها يصبح الكفاح بين الأمة المسلمة وبين الأمة الشيوعية وحلف (وارسو).

2 - رفع معنويات المجاهدين الأفغان التي تأثرت بطول الطريق وكثرة التضحيات إذ أن مرور ثماني سنوات مع استمرار القصف فوق رؤوسهم وسقوط الأب والأخ والعم شهداء وأصبحت البنت مشوهة الوجه وقطعت أرجل الاولاد وندت أعين الاخوات، كل هذا مع العوز الشديد والفقر المدقع بحيث لايجد المجاهد لقمة غداء ولا قطعة كساء، كل هذا أثر على اعصاب المجاهدين وعلى معنوياتهم.

فكان لا بد من ايجاد حانية تسمح على جراحاتهم وتسري على الالمهم وتواسيهم في مآسبهم وتشاركهم أفراحهم وتعيش مشاكلهم.

3 - تعليم المجاهدين : وهذا دور يمكن أن يقوم به العرب إذ أن اماكن الدعاة في هذا المجال شاذرة ولايسدها غيرهم فقد استشهد معظم الدعاة الاولين الذين ابتدأوا مسيرة الجهاد وسقط كثير من العلماء شهداء او هاجروا ونشأ جيل من المجاهدين لا يعرف عن دينه إلا القليل لأن المدرسة قد هدمت والمسجد قد قصف وغاب الوالد ولم يسمع عن الاسلام شيئا فتح الجبل عينيه فوجد أفغانستان غارقة في بركة من الدم لا يسمع إلا أزيز الرصاص ودوي المدافع وقصف الطائرات ولا يرى إلا جثث الشهداء وأشلأ الأبرياء وأنهار الدماء . . . ولذا فليس عجيبا أن بعض الجبهات تنقل ميثمها مسافة بعيدة للصلاة عليه لأنه ليس في الجبهة واحد يتقن صلاة الجنازة.

أن حاجة الجهاد الآن إلى الرجال الدعاة الحكماء أشد من حاجته إلى السلاح وإلى الأطباء والمهندسين والعسكريين وغيرهم من أصحاب الاختصاصات.

ان الجهاد الأفغاني بحاجة شديدة إلى المال ولكن حاجته للرجال أشد.

4 - إيقاف سبل الهجرة المتدفق : لقد أصبحت الهجرة خطرا كبيرا يهدد الجهاد الأفغاني، وللهمزة أسباب على رأسها : الفقر والخوف على الأعراس وتدني المعنويات. فوجود العربي في داخل الخندق مع المجاهد الأفغاني يجعل الأفغاني يستبعد فكرة الهجرة من ذهنه لأن أقصى ما يمكن أن يحلم به الأفغاني العادي أن يعمل سائقا أو حارسا في إحدى المؤسسات في دولة من دول البترول فعندما يجد ابن صاحب المؤسسة أو الشركة أو مدير الدائرة مرابطا معه في داخل الخندق فإنه يستحي أن يغادر بلاده ويترك العربي يحميها.

وكم من القادة الكبار قد منعه من الهجرة وجود شاب عربي غض الالهاب بجانبه.

5 - تحريك القتال باستمرار ضد الروس : فان العربي يأتي إلى أفغانستان متعظشا لدخول المعارك ورؤية للهيبة ومشاهدة النيران وسماع صليل السلاح فعندما يدخل فانه لا يصبر عن مكابدة أهوال المعركة وولوج نيرانها ولذا يبقى بلح على قائد الجبهة بوجوب القيام بعمليات وبصر عليه وبراجعه ولا يتأ صباح مساء يبدي ويبعد في قضية المعارك حتى يدخل الأفغان في معركة ولو اضطرا وهذا مهم جدا لبقاء الكفار في ارتباك واضطراب لا يتوقف مما يهلك قواهم ويضعف نفقاتهم وجنودهم وخسائرهم.

ولذا فلو استطعنا أن نستدرج روسيا ونضطرها إلى زيادة قواتها في داخل أفغانستان إلى نصف مليون جندي وهذا نفس الرقم الذي استعملته أمريكا في فيتنام فهذا يعني ان نفقات روسيا يوميا في أفغانستان ستصل إلى مائتين وخمسين مليون دولار ، وهذا يعني كذلك أن روسيا ستدفع في أفغانستان بكل جنودها الاحتياطيين المعدين لآسيا وهذا الرقم لا يتحمله الاتحاد السوفياتي وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ ولكننا يجب أن نخطط لعمليات عسكرية قاصمة تضطر لمضاعفة قواتها وخسائرها ولاضعاف ارادتها القتالية واقتناع الولايات الاسلامية في بخارى وطشقند بضعف روسيا امام حرب العصابات طويلة الأمد.

6 - مشاركة الطاقات الاسلامية في المعركة وصهر جميع هذه الطاقات في بوتقة الجهاد المبارك الاسلامي في أفغانستان وعلى رأسها الطاقات العسكرية والهندسية والاعلامية والطبية.

7 - تقليل الاختلافات بين الجبهات والتنسيق بينها في العمل ثم توحيدها في النهاية.

مخاوف اليهود

تركنا الارض التي عشنا فيها والمرايع التي درجنا عليها وجئنا على بعد آلاف الأميال تلبية لنداء الله عزوجل، واداء لشعيرة الجهاد، أتينا هنا إلى افغانستان لنؤدي الفريضة التي ما استطعنا أن نؤديها في مكان آخر، فتابعنا سدة الكفر وأئمة الشرك والظلم الذين يديرون الارض بأشراتهم، ويحركون كثيرا من أرجاء المعمورة بأناملهم وصاروا يوغرون صدور الذين يدورون في فلكهم علينا، انتفض اليهود هلعا وارتجفوا جزعا وهم يرون تجمعا جديدا للشباب المسلم العربي فوق أرض أفغانستان ، وأخذ اليهود في امريكا وفلسطين يحذرون من مغبة هذا التجمع وصاروا يؤلبون علينا القاصي والداني ويوغرون صدور الذين يمثلون مسرحية مطاردة المسلمين وخنق

الشباب الصادقين فوق أرض رواها خيرة الصحابة بدمائهم خاصة في المناطق المحيطة بفلسطين والمسجد الأقصى وصار التشديد، ووضعت الحبال في أعناق القتيبة النافرين في سبيل الله إيذاء للجهاد وكل يوم يشدون عقدة ويضيّقون الخناق. صارت التأشيرة إلى باكستان أصعب من تأشيرة الدول البترولية وقد كانت من قبل تعطى التأشيرة لأي قادم إليها في المطار وما عهد من قبل لأي امرئ وصل مطار باكستان ورد خانبا بل هناك تأشيرة سياحية لأي قادم مهما كانت ملته ومهما اختلفت جهته التي أقبل منها. وعلى الطريق إلى أفغانستان أعطيت التعليمات بعدم السماح لأي عربي أن يمر عبر بعض النقاط البوليسية وصار الشباب يمتطون صهوات الجبال ويمشون ليتخطوا نقطة بوليسية فيها ضابط شديد أو عتل جبار عنيد.

مصارحة مع اليهود وأذئابهم :

إن اليهود يؤلبون العالم اليوم علينا وبعد معركة جاجي الأخيرة وانتصار الأفغان نصرا مؤزرا في صد القوة الروسية وكان للنصر الذي من الله على المؤمنين أسباب على رأسها وجود تجمع عربي صد خمس هجمات للكوماندوز الروسي، فبدأت إذاعة صوت بريطانية (بي.بي.سي) تبدي وتعيد بوجود تجمع عربي من المتطرفين دينيا وقد كان لهم أثر في صد الروس.

والآن نحن نصارح اليهود وأذئابهم والأمريكان وأشياعهم على أنه :

1 - لا يستطيع أحد في الأرض أن ينتزع حب الجهاد من أعماقنا، ولا أن يمنعنا حقنا في أداء هذه الفريضة. ولن يستطيع أحد أن يجتث حب الله ورسوله والجهاد في سبيله من حنايانا.

2 - إن وجودنا في أفغانستان الآن -و الذي هو أداء لفريضة الجهاد وعبادة القتال- لا يعني أننا نسينا فلسطين.

فلسطين قلينا النابض وهي مقدمة على أفغانستان في أذهاننا وقلبا وفي مشاعرنا وعقيدتنا، هي الأرض المباركة التي ذكرها رب العزة في كتابه الكريم أربع مرات، وهي مهبط الوحي وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هي مسرى نبينا -صلى الله عليه وسلم- ولنن حبل بيننا وبين الجهاد في فلسطين بسبب القيود وحراس الحدود ولئن منعنا من مزاوله عبادة القتال في أرض المسجد الأقصى إلى أمة (مدة) معدودة فهذا لا يعني أن أذهاننا قد انصرفت عن التفكير في فلسطين.

لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين.

إن أشباحنا في أفغانستان -وهذا فرض الله علينا- ولكن أرواحنا تحوم فوق بيت المقدس، وإن أجسادنا في كابل -وهذا واجب علينا- ولكن أفئدتنا معلقة بالديار المباركة التي دنسها أحط خلق الله في دنياها.

لقد ألينا على أنفسنا أن لا نتراجع ولا نتزعزع عن هذا الطريق الرباني الواصل بين كابل والقدس، وبإذن الله نحن قادمون مهما بعدت الشقة وطال الزمن وامتدت الطريق.

نحن نصارح اليهود وأعوانهم : أن الطريق واحدة وأن الجهاد ممتد، وأن الشباب عزم عزمه أن لا يلين ولا يخضع جاذن رب العالمين- 3 - هذه الفئة المؤمنة صممت على المسيرة مهما اعترضها من أشواك ومهما واجهها من عقابيل وهذه الفئة وقد عاهدت ربها على اختيار هذا الطريق المفروش بالأشلاء والمروي بالدماء، وهي تضرع إلى الله عز وجل أن يثبت قلوبها واقدامها وأن ينزل السكينة عليها.

التصميم على الموت

هذه الفئة المؤمنة المجاهدة وطنت نفسها على الموت وهي تعلم شرعا وعقلا : أن القتل برصاصة غادر فوق أرض باكستان من يد منافق أو من أنامل مشاقق حكمه كحكم الموت برصاصة من يد روسي على أرض كابل وعلى ذرى الهندوكوش وهو نفس الحكم الشرعي للقتل برصاصة يهودي في فلسطين، ولا فرق بين رصاصة شيوعي في باكستان ورصاصة شيوعي في أفغانستان، ورصاصة عميل لليهود أو للأمريكان، الكل قتل في سبيل الله والكل شهادة، والكل رفعة ومجد وسود في دنيا الناس وإن شاء الله في الملأ الأعلى مادامت النية خالصة والعزيمة منعقدة على بقاء راية الجهاد مرفوعة وعلى مواصلة السير على هذا النهج الواضح والجادة المستقيمة وفي الحديث الصحيح (1)

(من وضع رجله في الركاب فاصلا فوقصته دابته فمات أو لدغته هامة فمات أو مات بأي حنف مات فهو شهيد)

وفي رواية أبي داود (وان له الجنة) فمهما كانت الميتة بعد الهجرة في سبيل الله فهي شهادة.

وقد سوى رب العزة بين القتل والموت في سبيله فقال عز وجل :

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلا يرزقونه وإن الله لعليم حلِيم)

(الآيتان 58-59 الحج)

وقد حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة عند قبر المتوفى فقيل له : (تركك الشهيد فلم تجلس عنده) فقال : (ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت) ثم تلا الآية (والذين هاجروا . . .) (2).

ولم نر كرامة أنصع ولا تشريفا أرفع من كرامة الاخ يحي سنير الذي قتل برصاصة غادر على يد شيوعي باكستاني على حدود أفغانستان وقد بقي دم يحي شهرين كاملين يعبق الشذى الطيب من الكتاب الذي ضمخه أثناء الشهادة.

وإذا قتلنا برصاص عملاء روسيا وأمريكا فلنسنا بأفضل من -ذي النورين- ثالث الخلفاء الراشدين الذي استشهد في الشهر الحرام في البلد الحرام -مدينة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهو يتلو القرآن الذي شرفه الله بجمعه.

ولنسنا أشرف من ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورابع الخلفاء الراشدين الذي كان مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمنزلة هارون من موسى واغتالته يد عبدالرحمن بن ملجم الأثمة أثناء صلاته.

لقد اخترنا الموت طريقا للحياة :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

(الآية 169 آل عمران).

نفى الهم عني همة وعزيمة

واسمر مما ينبت الخط ذابل

ونفس لها في كل أرض لبانة

وقلب يقر الحرب وهو محارب

إذا لم أجد في كل فج عشيرة

فان الكرامة للكرام عشائر

4 - لن يستطيع أحد أن يمنعنا من دفع الصائل على أعراضنا، ولن تحرمنا قوة من الذود عن دماننا دفع الصائل (الذي يتسلط بالقوة على النفوس والاعراض) حق مشروع لكل إنسان.

ودفع الصائل على العرض : فرض عين باجماع الفقهاء فقد أجمع الفقهاء على أن المرأة التي تخاف على عرضها يجب أن تدافع عن نفسها حتى تموت ولا يجوز لها الاستسلام للأسر بحال من الأحوال، ووجوب دفع الصائل على النفس فرض عين عند جمهور الفقهاء. وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية جواز قتل الصائل على مالك ولو كان يبغي ثلاثة دراهم اذا لم تستطع دفعه إلا بالقتل ولو كان الصائل مسلماً مصلياً صائماً فما بالك اذا كان روسيا أو يهودياً.

سنزاول حقناً الطبيعى، وسنؤدى فرضنا الرباني مهما كانت الظروف -إن شاء الله-

وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

ولذا فاننا أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريضنا للشباب العربي بالقنوم إلى أرض الجهاد وأن لا نتوقف في مسيرتنا نحمل أقصى ما يمكن أن نحتمله من أعباء الجهاد الأفغاني وأن نبذل قصارى جهدنا في محاولة إعادة العلماء إلى داخل المعركة بكفالة أسرهم، وكذلك حفظ ماء وجه القادة الذين يرايطون في الميدان منذ عشر سنوات نخلفهم في أسرهم بخير.

فقررنا أن نكفل القائد والعالم الأفغاني بمائتي ريال شهرياً (الف روبية) ونهيب بالمؤسسات الاسلامية والدعوات الربانية والمراكز الاسلامية في الغرب أن تفرغ مجموعة من ابناءها مع كفالتهم ليعملوا في أرض المعركة ويقوموا بدورهم الكبير المنتظر.

ان الدور كبير والهمم قاصرة عن حمل التبعات وليس لها إلا تأييد رب العالمين الذي يقوي العزائم ويشد الهمم. .  
فيا أبناء العالم الاسلامي أفيقوا . . ويا شباب الحركات الإسلامية تنبهوا.

ويا أصحاب الدعوات الربانية استيقظوا، ويا موجهي المراكز الاسلامية اعملوا :

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)  
الآية (105) التوبة.

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب)

(الآية الأخيرة من سورة إبراهيم)

1 -أخرجه أبو داود برقم (2499) من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ : [من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصته فرسه أو يعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه أو بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة]، وكذلك أخرجه الحاكم وهو في صحيح الجامع برقم (6413)

2 -رواه ابن المبارك في كتابه الجهاد / ص -92 ورواه ابن كثير في التفسير (3 -201) ورواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير بنحوه.

مسيرة شعب الإباء\*

[نشر في مجلة الجهاد -العدد الخامس والثلاثون- صفر 1408 هـ، الموافق نوفمبر 1987م].

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ... أما بعد :

يكاد المؤرخون يجمعون على أن أكثر شعب في القرون الثلاثة الأخيرة ان لم يكن أكثر شعب في البشرية -ضحى لصون كرامته وحفظ عزته وحماية شرفه هو الشعب الأفغاني المسلم.

ويقف المرء مذهولاً أمام هذه الظاهرة الفريدة وينظر باعتزاز واجلال مع الاغضاء والحياء أمام هذا الشعب الصامد المسلم وبحسب أن هذه هي المرة الوحيدة في تاريخ هذا الشعب ولا يعلم الكثيرون أن هذه هي المرة السابعة التي يهب هذا الشعب فيها للذود عن حياضه وللدفاع عن دينه ومبادئه خلال قرنين من الزمان منذ بداية مسيرة أفغانستان الحديثة -التي بدأت خطوها مع ظهور أحمد شاه بابا "دوراني"

إجماع :

ويجمع المراقبون أن الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصر أذهلت المؤرخين أن يفسروها وحارت عقول المراقبين في فهمها وكما قال الصحفي الكندي عندما رأى انتصار المجاهدين على الروس : (انها حقائق ولكني لا أستطيع تفسيرها).

والحق أن هذا الثبات العجيب الذي دونه ثبوت الشم الرواسي وهذا الصمود الذي يشبه الاساطير والذي يحسبه القارئ من بعيد ضرباً من الخيال تتركه الاشواق وتقصّر دونه الأفعال. هذا الصبر والثبات محل اجماع من أولي الاحلام والن هي أنها فريدة العصر وخريدة الدهر.

وقد كنت اتحدث مع فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز عن الجهاد فقال : ما كنا نظن أن هذا الشعب يصمد أمام الروس سبعة أيام فضلاً عن أن يصير سبع سنوات.

بروز أحمد شاه دوراني 1747 - 1773 :

اغتيال نادر شاه سنة 1747 فبرز أحد أبناء قبائل الأبدالي وهو أحمد شاه وأعلن نفسه وصياً على حفيد نادر شاه المسمى (شاه رخ) وبدأ أحمد شاه يقود الأفغان ويحرر المدن فحرر قندهار بأربعة آلاف والتقت القبائل ونصبته أميراً وسمى نفسه (دره دوريان أي درة الدرر) ولذلك سمي الدوراني.

وانطلق احمد شاه يوسع حدود مملكته فانطلق نحو الغرب نحو خراسان واطاح ببقايا حكم الفرس الفاجاري ثم توسع نحو الشرق ووصل دلهي واطاح بحكم المغول والهندوس فأصبحت مملكته تمتد من نهر جيحون شمالاً إلى بحر العرب جنوباً ومن كشمير ودلهي شرقاً إلى مشهد غرباً، وسماه الشعب الأفغاني بالأب (بابا).

الانتفاضات التاريخية السبعة :

لقد كان القتال ضد الروس سابع الانتفاضات التاريخية العريقة التي هب فيها الشعب المسلم الأفغاني للجهاد وكانت هذه المسيرات مرتبة زمنياً حسب التفصيل :

1 -الانتفاضة الأولى :

الجهاد ضد الهندوس على أثر ضعف الامبراطورية المغولية برز رجل هندوسي اسمه (سي و جيه) وهو أحد كهنتهم الروحيين. واتحد الهندوس مع السيخ تحت قيادة سي و جيه ودخلوا دلهي وأعملوا السفك والنهب في المسلمين وأقاموا المجازر لهم.

استغاثة ولي الله :

وهنا كتب العالم الرباني (شاه ولي الله الدهلوي) إلى أحمد شاه دوراني أنك باذن الله المرشح الوحيد لانقاذ الهند من المجازر وتخليص المسلمين من الابداء.

وهب أحمد شاه دوراني كالليث الهزبر لحماية المسلمين في الهند واستنفر الناس وجمع سبعين ألفا من قندهار وافتتح بيشاور ثم توجه إلى لاهور ورضخت له ثم انطلق إلى دلهي (دهلي) والتقى بالهندوس في (باني بات) 14 كم عن دلهي وعدد الكفار ثلاثمائة ألف ودارت رحى معركة طاحنة وحرب ضروس أسفرت بعد ثلاثة أيام عن هزيمة الهندوس بعد أن خلفوا وراءهم جثث مائة وعشرين ألفا مجندين بدمائهم بضرابات الأيدي المتوضئة.

أنتهم خوارق الأرض ما تحمل إلا الحديد والابطالا

خافيات الألوان قد نسج الن- قسع عليها براقعا وجلالا

وسقط خمسة عشر ألف شهيد ضمخوا الثرى الطيب بدمائهم، وأضحى تيمور شاه ابن أحمد شاه بابا أمير لاهور.

#### -الانتفاضة الثانية :

على يد دوست محمد ضد السيخ : قد ذكرنا فيما تقدم انتصار أحمد شاه على جيش المهرابا الهندي الانتصار الساحق سنة 1761 وبقي يحكم هذه الامبراطورية المترامية الاطراف حتى توفي سنة 1773.

وتولى الحكم بعده ابنه تيمور شاه الذي حكم عشرين عاما من 1773- 1793 وقد نقل العاصمة إلى كابل فأصبحت العاصمة الصيفية وصارت بيشاور العاصمة الشتوية.

وبعد وفاة تيمور شاه سنة 1793 بدأت دولته المترامية الاطراف تنفتت بسبب الخلافات التي دبت بين أبنائه :

وتفرقوا شيعا فكل محلة فيها امير المؤمنين ومنبر

ولم تنته الخلافات إلا بعد أن أودت بمعظم الامراء ابناء تيمور شاه فسقطوا قتلى المعارك الداخلية وانتهى حكم الاسرة الدورانية وانتقل الحكم إلى عائلة جديدة هي : (البركزاي : محمد زاي).

وبدأ الاعداء من كل جانب يتناوشون دولة تيمور شاه الواسعة فتقدم حاكم بخارى واحتل مدينة بلخ واحتل السيخ تحت قيادة (رانجي سنغ) مقاطعات الحدود وكشمير وسقطت بيشاور بأيديهم سنة 1834 واستقلت السند وبلوشستان من حكم أفغانستان.

وكان ابرز ابناء العائلة الجديدة المالكة (البركزاي دوست محمد) الذي لم يبق بيده سوى كابل وغزني وجلال آباد.

فعندما سقطت بيشاور بيد السيخ بدأ يفكر باسترجاعها وأعلن النفير العام ضد السيخ ورفع راية الجهاد وتقدم حتى وصل بيشاور ولكن (رانجي سنغ) زعيم السيخ استطاع أن يبيت بذور الفتنة داخل صفوف الجيش الأفغاني المتقدم ورجع الجيش دون أن يعمل شيئا.

#### 3 -النفير العام الثالث سنة 1836 :

عاد دوست محمد عن ابواب بيشاور خائبا ولكنه بعد عام نظم جيشه وتحت ضغط الشعب الافغاني الذي قام بسبب المذابح التي جرت للمسلمين في بيشاور، وسار الجيش الافغاني تحت قيادة (وزير محمد اكبر خان ) الابن الاكبر لدوست محمد والتقى الجيشان في جمروء/ بيشاور وكان قائد السيخ ابن (رانجي سنغ) واستطاع (وزير محمد اكبر خان) أن يقتل قائد السيخ ولاذ السيخ بالفرار وانتصر المسلمون.

#### 4 -الانتفاضة الرابعة :

الحرب ضد بريطانيا سنة 1838-1842 : كانت بريطانيا تخشى من اتصالات نابليون مع الكسندر الاول (قيصر روسيا) محاولة منهما لدخول الهند التي تحكمها بريطانيا عن طريق أفغانستان وايران ووصلت أول بعثة بريطانية إلى بيشاور سنة 1809 بقيادة (فنجستون) وعقد معاهدة دفاع مع (شاه شجاع) احد أبناء تيمور شاه ثم فقد شاه شجاع ملكه فلجأ إلى البريطانيين في الهند، وفي سنة 1839 احتل الجيش البريطاني كابل وقندهار واوعز المعتمد البريطاني في الهند (اوكلاند) باعادة شاه شجاع ملكا على أفغانستان وجاءوا به من الهند عن طريق كويتا وتوجوه ملكا في مسجد احمد شاه في قندهار واحتلت بريطانيا غزني وكابل ونقلوا عاصمة شاه إلى كابل، وفر دوست محمد من كابل.

وأبى الشعب المسلم الأفغاني الاحتلال ورفض أن يفرض عليه ملك من قبل الانجليز.

بنس الحياة اذا الطاغوت عيونا وجر أيامنا صغرا مراتينا

وانتفض الشعب وقاموا على ملكهم العميل وقتلوه في عملية جريئة في شوارع كابل والجنود يحملونه على اكتافهم فقتله احد المجاهدين واسمه شجاع دولة وأعلن أختر خان الجهاد ضد بريطانيا وعاد دوست محمد مع ابنه (وزير محمد اكبر خان) يقاتلان ضد الانجليز مع الشعب المسلم ووقعت معركة (بافانداراش) في 2 تشرين الثاني سنة 1840 وانتصر دوست محمد في اليوم الأول ثم هزم في اليوم الثاني فأسرت بريطانيا وأخذته إلى كلكته وبقي ابنه اكبر خان يقاتل وجرت مفاوضات بين اكبر خان وبين (ماكنتون) ممثل بريطانيا فقطع اكبر خان رأس ماكنتون بالسيف اثناء المفاوضات.

وعلى اثر ذلك قررت بريطانيا الانسحاب في 6/1/1842 وكان عددهم أربعة آلاف بريطاني وهندي وسلك البريطانيون طريق وادي (جك ذلك) بين كابل وجلال آباد وأعمل المجاهدون فيهم السيف حتي اذا وصلوا (جن دوماك) كان قد بقي آخر جندي من الجيش وهو (الدكتور برايدون) الذي كان الناجي الوحيد ليخبر قومه مغبة الاصطدام بجنود الاسلام.

وكان القائد العسكري للجيش البريطاني (الفنجستون) الذي هزم نابليون في معركة واترلو سنة 1815 فأسره اكبر خان وسجنه في غرفة في (جك ذلك) ومات في السجن رهن القيد وكذلك قتل من الانجليز (الكسندر بورنز).

وكان ابرز قادة الجهاد في هذه الحرب (وزير محمد اكبر خان) و (سردار أحمد خان) و (مير مسجدي خان) و (نواب محمد زمان خان) و (نائب أمين الله لوكري) و (أختر خان).

#### 5 -النفير الخامس :

وكان هذا يمثل الفترة الثانية في الجهاد ضد الانجليز فقد حاول الانجليز أن يرجعوا إلى كابل في صيف نفس العام سنة 1842 إلا ان المعتمد في الهند (ايلينبورغ) أمر بسحب الجيش البريطاني وأمر باعادة (دوست محمد) ليكون ملك أفغانستان بعد أن املوا عليه السياسة التي ينجح.

عاد دوست محمد سنة 1843 إلى كابل وامتد حكمه حتى سنة 1863 وخلال هذه الفترة أعاد قندهار وهرات وبلخ إلى قبضته وتحت سيطرته، وبعد عودة دوست محمد قتل ابنه (وزير اكبر خان) المجاهد بطريقة غامضة ويشير كثير من المؤرخين بأصابع الاتهام إلى ابيه أنه قد قتله بالسهم.

ثم جاء بعد دوست محمد ابنه (شير علي خان) وحكم أفغانستان سنة 1863 - 1866 ثم أقصى عن الحكم ثم عاد وحكم البلاد من سنة 1869 - 1879.

وكان سبب هذه الحرب مع الانجليز : أن بريطانيا هلعت وهي ترى روسيا تحتل طشقند وخوارزم وتصل إلى نهر جيحون وأرسلت روسيا بعثة عسكرية برئاسة الجنرال ليتوف الذي وصل إلى كابل وعقد معاهدة مع شير علي.

وهنا أرسلت بريطانيا بعثة لتقابل شير علي فمنعت من دخول أفغانستان وهنا اقتحم اللورد روبرتس أفغانستان ودخلها من الممرات الثلاثة الشهيرة في كانون الأول سنة 1879 وأعلن العالم الرياني (مسك عالم : دين محمد) من غزني الجهاد ضد بريطانيا وكان القادة العسكريون : محمد جان من وردك وكان في جبهة كابل وجنرال محمد كريم خان ومير بجاخان في بگرام، وعصمت الله خان في لغمان وتجاب.

وعندما دخل الانجليز هرب شير علي خان إلى مزار شريف وطلب النجدة من روسيا فرفضت وخلف وراءه ابنه يعقوب خان في كابل. ووقعت بريطانيا في 26 مايو 1879 معاهدة مع أفغانستان وأرسلت بعثة دائمة إلى كابل تشرف على السياسة الخارجية في أفغانستان وفي 3 سبتمبر سنة 1879 أباد الشعب الأفغاني جميع أفراد البعثة في قلعة بالاحصار.

ولكن بريطانيا أرسلت قوات أخرى واحتلت كابل وألقت القبض على يعقوب وارسلته إلى الهند ومات فيها سنة 1923. ومكثت بريطانيا في كابل 1879 - 1880 ثم اضطرت للدخول في مفاوضات مع الامير عبدالرحمن حفيد (دوست محمد) ثم بدأت بالاستعداد للانسحاب فجاءتها الأخبار أن أيوب خان (أخا يعقوب خان) قد اباد حامية بريطانية في (ميوند) بالقرب من قندهار فارسلت عشرة الاف جندي إلى قندهار وهزموا أيوب خان .

وفي أيام عبدالرحمن خان 1893 جاء (ديوراند) البريطاني على رأس بعثة وخطط الحدود الشرقية والجنوبية التي تفصل أفغانستان عن الهند وسمى خط الحدود (بخط ديوراند).

#### 6 - الانتفاضة السادسة :

على يد أمان الله خان ضد بريطانيا : إذ أن أمان الله خان بعد اعتلائه العرش سنة 1919 أرسل رسالة إلى المعتمد البريطاني في الهند يخبره فيها استقلال أفغانستان داخليا وخارجيا فتجاهلت بريطانيا الرسالة وردت بضرورة استمرار الوضع بين بريطانيا وأفغانستان كما هو فأعلن أمان الله النفير العام ضد بريطانيا وسلم قيادة الجيش لنادر شاه وقد كانت هنالك ثلاث جبهات :

أ -جبهة قندهار : قائدها سردار عبدالقدوس.

ب -جبهة جلال آباد : قائدها جنرال صالح محمد خان.

وكان قائد المدفعية معه عبدالقيوم البيغماني واستطاعوا بعون الله هزيمة بريطانيا ودخل نادر شاه مع عبدالقيوم الحدود الهندية واحتلوا مدينة تل و خشيت بريطانيا أن يثير الأفغان الجهاد العام ضد بريطانيا وبدأت ترتعد أن يقوم الشعب الهندي المسلم بانتفاضة اسلامية ضدها مع اخوانه الافغان.

وهنا أعلن تشرشل من لندن استقلال أفغانستان وفي 8 أغسطس 1919 وقعت اتفاقية روالبندي التي اعترف فيها الإنجليز باستقلال أفغانستان التام.

#### 7 - وكانت الانتفاضة السابعة :

أن أعلنت الحركة الاسلامية جهادها المسلح ضد داود سنة 1975 وكان على رأس الحركة آنذاك (رباني وسيف و حكمتيار) ثم كان الجهاد العام والنفير الكبير بعد الانقلاب الشيوعي السافر الذي جاء بتراقي إلى الحكم في 27 نيسان سنة 1978 وقد أعلنه العلماء وانضموا وراء ركب الحركة الاسلامية الذي سبقهم إلى الميدان بثلاث سنوات.

8 - هنالك الانتفاضات المباركة ضد الملوك الذين حاولوا سلخ أفغانستان عن دينها وتمييع الولاء والبراء في عقيدتها واجتثاث العقيدة الاسلامية تدريجيا من أعماق الشعب المسلم باسم حركات الإصلاح والتحرير والتقدم والتغيير والتطوير.

وقد حاول الملك حبيب الله خان (1901 - 1919) أن يسمح القيم ويروض الشعب بقبول الكفر تدريجيا ولكن موجة السخط العام لدى الشعب أدت إلى تملله مما حدا بأحد المسلمين أن يردي الملك قتيلا بالرصاص في 20 فبراير 1919. وبعد قتل حبيب الله تولى ابنه امان الله حكم أفغانستان من 1919 - 1929 ولم يكن له في قصة ابيه عبرة ولم يتعظ بما جرى لأبيه وكان رجلا علمانيا يريد أن يجر افغانستان إلى مهاوي الردى وشعاب الهلاك باسم التطوير كذلك وكان متعجلا يريد أن يقلبها دولة غربية دون مراعاة لدين أو تقاليد أو أوضاع اجتماعية وتاريخية وأخذ الملك يسخر رجال الدين ويزدري بهم ويستخف بتمسكهم ولا يعبأ بهم ويطلق النكات في مجالسه العامة عليهم وهذا أثار حفيظة العلماء عليه فأوغروا صدور القيانل فثارت قبائل البشتون وتقدمت نحو كابل سنة 1924 ولكنه استعمل الطيران ضدهم فأوقفهم. وفي سنة 1938 قام الملك مع حاشيته برحلة طويلة زار فيها الهند ومصر وإيطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا وروسيا وفي طريق عودته عرج على تركيا وإيران.

ورجع الملك متحمسا جدا لسلخ أفغانستان عن دينها فكتب القرارات الملكية التي تقضي بوجود ارتداء الزي الغربي (للنساء والرجال) وعلقت المنشورات بهذا الاماكن العامة. وهنا أعلن العلماء كفر الملك ووجب الجهاد ضده فثارت قبيلة (شنواري) واحتلت جلال آباد واندلعت الثورة ضد الملك في 28 نوفمبر سنة 1928 وما هدأت إلا بعد أن أطاحت بعرش أمان الله في 4 يناير سنة 1929.

والآن : مضى على الشرارة الأولى التي انطلقت ضد داود سنة 1975 واستمرار المعركة إلى أيام تراقي حيث اندلع الجهاد في كل أفغانستان إلى يومنا هذا ثلاثة عشر عاما، والحمد لله فالمجاهدون منتصرون وصامدون.

فهل يكون الجهاد الأفغاني بداية التحول التاريخي للإسلام؟ أم هل يكون الجهاد الأفغاني بداية تحول تاريخ العالم أجمع؟.

نحن نرجو من الله هذا ونحسب أن ذلك كائن -والله أعلم-

(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)

(الإسراء : 51).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

#### مصانع الأبطال\*

[نشر في مجلة الجهاد -العدد السادس والثلاثون- ربيع الأول 1408هـ، نوفمبر 1987م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. أما بعد : فإن للأم دورا كبيرا في بناء الجيل وبقدرة النجاح الذي تحققه في تربية الأم يكون النجاح الذي تحرزه في بناء الأمة وصناعة الأبطال، وكثيرا ما تجد وراء أحد العظماء امرأة عظيمة تركت بصمات نفسها الكبيرة بارزة في شخصيته من خلال اللبن الذي رضع ومن خلال دفع الحضن الذي فيه رتع،

وكثير من الرجال يصعب عليه أن يمسح من ذهنه تلك الصور المشرقة التي التقطها لأمه فيقف وفي ذهنه تلك الصور الرائعة التي جرت في عروقه منذ حادثة سنه فلا يملك إلا أن يتمثلها بإكبار أو يتملاها بإجلال وافتخار ثم تندفع الكلمات البسيطة الواضحة التي أودعتها أمه كيانه فتشخ معالم في طريقه ومنارة على جادته ولا يستطيع إلا أن يتفيا الظلال الوارفة التي أقامت له الأم على طريق العمر الطويل تغذيها المشاعر الجميلة وتتفاعل معها الأيام الخالدة في حياته فتشتجر هذه العوامل في كيانه وتكون جزءا لا يتجزأ من شخصيته، ولا يستطيع أن ينسلخ منها إلا إذا انسلخ من إنسانيته وتجرد من بشريته.

ولذا كان الحفاظ على هذا الود ومقابلة هذا الجميل بالوفاء والبر فريضة من فرائض الإسلام مقرونة بكلمة التوحيد :  
وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا

(الآية 32 الإسراء)

ويعتبر العقوق قرينا للكفر، ويحتل احترام الأم منزلة رفيعة في سلم الإسلام وله ثقل كبير في ميزانه وفي الصحيح (1) جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال :

(يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : أمك، قال : ثم أي قال: أمك، قال : ثم أي، قال : أمك قال : ثم أي؟ قال : أبوك).  
قلت ذات مرة لإبراهيم الأخضر -إمام الحرم المكي- لماذا تحرم الناس من صوتك الندي الذي يتجمع عليه المسلمون من كل مكان وكيف تطلب العودة إلى المدينة وبعض الناس يقولون : لكننا نسمع القرآن يتنزل من السماء غضا طريا ونحن وراء إبراهيم الأخضر؟  
فقال : إن ذخري في الحياة جدتي ووالدي ولابد من الوفاء بعهدهما والقيام ببرهما ولا يقوم أحد بهذا غيري، فقلت لماذا لا تأتي جدتك هنا؟ فقال : إنها ترفض أن تغادر المدينة خوفا من أن تموت خارج المدينة وأمنية الحياة الغالية عندها أن تدفن في البقيع، وفعلا ترك إبراهيم الحرم المكي وعاد ليوم في مسجد صغير في المدينة ملتزما الجنة عند قدمي أمه وجدته.

ولقد أوصى الإسلام بتربية البنات وتعليمها لتكون حرزا (سترا) لأبيها من النار، وصدق الشاعر :  
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وفي أفغانستان المسلمة نماذج رفيعة من الأمهات سواء من داخل أفغانستان أو من العالم الإسلامي نتعرف عليها من خلال الرسائل التي تردنا عبر بريد مجلة الجهاد، ومن خلال هذه النماذج فاطمة أم فيصل المكية.

فلقد كانت فاطمة أم الأولاد الستة تحلم أن ترى ابنها فيصلا يحظى بفتاة أحلامه وتفرح بابنها قبل أن تخطفها يد المنون إذ أنها تلتف إلى جدتها بخفي حثيئة بعد أن بلغت السبعين، واشترت لابنها الصغير -الراصد الجوي- أثاث العرس ولم يبق من أبنائها غيره ممن لم يكمل نصف دينه الآخر.

كانت فاطمة تعيش مع ابنها فيصل في شقته الهادئة على شاطئ البحر الأحمر في جدة وتنتظر اليوم الذي تختم فيه فرحها بأصغر أبنائها، ولقد كانت تفخر بابنها الذي طالما تباهت بروية صورته على شاشة التلفاز يقدم مسرحياته للجمهور.

ولكنها خلال الأشهر الأخيرة صارت تلمح على قسمات وجه ابنها تغيرا وسهوما ووجوما وصمتا وغابت تلك الابتسامة المشرقة التي كانت لا تفارق شفثيه هنالك شئ جديد جاد يعتمل في أعماقه يشغله وهي تلاحظ عليه شرودا ولم تعد تلك الأحاديث التي كان يفتحها بها عن أمانيه وأحلامه، واختفت من أنظاره بهارج الحياة وزخارفها واضطرت أن تتقحم عليه عزله ووحشته متسائلة : ماذا عساه دهك يا حبيبي فاشغلك عنا وعن الحياة الوادعة الأنسة حولك؟

وهنا فاتحها بما يكنه بين جوانحه لقد قرأت كتابا عن الجهاد الأفغاني اسمه : (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) يتكلم عن قضية خطيرة كبيرة في حياة المسلمين وهي قضية الجهاد التي ليست مسطرة في سطور بل حقائق متمثلة في دنيا الواقع يخوضها شعب أعزل أمام العماق الكبيرة -الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو-.

وبدأت الأسئلة تتلألأ على لسانها : وأين (أفغانستان) هذه من الأرض؟ فأجاب : إنها بلد مسلم يعيش فيه شعب رفض أن يعطي الدنية في دينه ودفع ضريبة عزته غالية باهظة فهناك على سفوح الهندوكوش وعلى ضفاف الهلمند وفي سهول هرات يسقط شهيد كل أربع دقائق ويغادر شيخ أو امرأة منزله كل دقيقة.

يستعذبون منايهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

قالت : ولكن هذه البلاد جد بعيدة، فأجابها : أو لسنا المسلمين؟ أو ليست أرض الإسلام كالبيعة الواحدة؟

إذا استجدوا لم يسألوا من دعاهم لآية أرض أو لأي مكان

وظفق فيصل يرتب نفسه ويعد للأمر عدته ويتخذ له اهبة وفاض الغرام واحترق الكبد من الشوق وزاد الشجى وإذا به ذات يوم يحضر سيارة كبيرة من السوق ويضع جميع أمتعته رياش العرس وفراش الزواج وأثاثه ولم يبق في البيت كرسيا ولا أريكة وانطلق إلى سوق الحراج وطلب من السمسار أن ينادي عليها بالبيع وصاح الدلال فقال قائل هي علي بثلاثة آلاف فلم يتردد عن الإجابة بالقبول، وباعها بهذا الثمن البخس بعد أن دفع ثمنها سبعة عشر ألفا .

لقد كان بيع الأثاث إعلانا صارخا عن العزم الوامض والتصميم الحاسم على طلاق الدنيا ثلاثا لا رجعة فيها.

وتعلقت أمه به، لا بد أن أرافك مسيرة طريق العرق والدماء ولا بد أن أسير فوق جادة الجهاد رغم الأشواك والعقبات واللأواء والسغوب والنوى.

ويعجب فيصل : وهل لمثلك دور في هذا الدرب المضني؟ سيما وقد نيفت على السبعين وثقل اللحم وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر.

وتجيب الأم : نعم أستطيع أن أغسل ثياب المجاهدين وأن أطبخ طعامهم.

وصار النقاش يشغل قسما من الوقت في مجيئها أو بقائها في بيتها ووعدها فيصل أن يأتي لمعرفة الدور الذي يمكنها القيام به في أرض الجهاد ثم يرجع إليها.

وجاء فيصل فترة ثم عاد ليرتب أموره نهائيا ويستقيل من وظيفته ويخلص بنفسه إلى الله وينسلخ من دنياه التي يعيش فيها نهائيا وتصر الوالدة على القنوم إلى أرض الجهاد وقدمت فاطمة إلى ببشاور وزارات الأرامل والأيتام، وحاول ابنها أن تعود إلى جدة وبعد جهد جهيد توصلت إلى قبول تحكيمي فقالت له : لن أرجع حتى أسأل الشيخ عبد الله عزام.

وجاء فيصل بأمه لتطمئن إلى جواز رجوعها إلى جدة، وإلى الحكم الشرعي أن الله يعزها بالعودة فأفتيتها بجواز رجوعها فغادرت وهي مطمئنة أنها من أصحاب الأعداء.

نظرت إلى هذه العجوز بإكبار وانبهار، ثم قلت في نفسي أنها مكية ولعلها قرشية فلا غرو في هذا فقد قال -صلى الله عليه وسلم-:

(خير نساء ركين الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)

متفق عليه (2).

إنها تريد أن تسير على نهج أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت حيث نام -صلى الله عليه وسلم- في بيت عبادة فاستيقظ وهو يضحك فقالت أم حرام (ما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبح هذا البحر ملوكا

على الأسرة، فقالت: (يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرفت عن دابتها فهلكت) رواه مسلم (3).  
تريد فاطمة أن تنسج على منوال أم سليط التي كانت تنقل قرب الماء يوم أحد/البخاري (4)، وتود أن تلحق بالربيع بنت معوذ رضي الله عنها التي قالت (كنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) البخاري (5).

نموذج فقط:

وليست القصة هي قصة فاطمة -أم فيصل- وحدها ولكنها قصة الكثرات اللواتي يتقلبن على اللظى شوقاً لرؤية الجهاد وتحلم كل واحدة منهن بفتى أحلامها أن يكون ممن يمتشقون السلاح ويمتطون صهوات الجياد ويحيون في قمم الجبال.

الرسائل:

وكم من الرسائل ترد إلينا من فتيات جامعات أو معلمات ومن جميع الطبقات أنها تود أن تحظى بمحرم يحضرها إلى أرض البطولات أما وقد يُست أن تجد من محارمها في النسب فلا عدمت أن تجد المحرم الأخير وهو الزوج.

هذه أم سعيد الجزائرية:

يستأذنها ابنها في الجهاد فتقول له: أنت خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وتعلم الشرع أكثر مني، فأمر شرعي فلا تستأذني فيه، أما بالنسبة للجهاد فقد قام الجهاد في الجزائر ولم يكن عندي أولاد وكنت أتمنى أن يكون لي أولاد أقدمهم في هذا السبيل، والآن فقد رزقني الله أحد عشر ولداً فلا بد أن أقدم بعضهم في سبيل الله.  
وأرسلت سعيد وعبد الرحيم إلى الجهاد بعد أن دعت لهما حول الكعبة بالشهادة.  
إنها ليست قصة فاطمة ولكنها قصة عشرات الألوف من الفواطم اللواتي ولدن في هذا الدين الذي لن يعقم أن يقدم النماذج عبر الأجيال. وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(1) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة. فتح الباري /ج10/ كتاب الأدب/ باب (2) برقم (5917). شرح النووي /ج61/ كتاب البر والصلة/ ص 201.

(2) شرح النووي /ج16/ ص 81 وهو عن أبي هريرة بلفظ "...صالح نساء قریش..."

(3) الحديث متفق عليه عن أنس بن مالك فتح الباري /ج6/ باب 8، برقم (2800). شرح النووي /ج13/ ص 57.

(4) فتح الباري /ج6/ باب (66) برقم (2881).

(5) فتح الباري /ج6/ باب (86) برقم (2883).

هكذا علمني الجهاد\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد السابع والثلاثون- ربيع الثاني 1408 هـ الموافق ديسمبر 1987م].

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلم يعد خافياً على ذي بصيرة أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان أصبح مدرسة فذة يتلمذ فيها العالم الإسلامي أجمع.  
وقد شرفني الله أن أكون بين التلاميذ الذين ينهلون من معين هذا الجهاد ويتربون على مبادئه، واستطيع بعد ست سنوات متواصلة من هذا الشرف العظيم أن أسجل على عجل وبخطوط عريضة بارزة القواعد الكبرى التي خلصت إليها من أفغانستان وفلسطين، فأقول:  
أولاً: إن عقيدة القدر لا يمكن أن تتجلى واضحة في النفس البشرية في ميدان أكثر منه في ساحة الجهاد، ولا يمكن أن تتمثل عقيدة التوكل على رب العالمين حية يمثل أرض القتال وميدان النزال وخاصة في قضيتي الأجل والرزق اللتين تمثلان أعظم عمودين في الحياة البشرية، وقد سطرت هذه العقيدة في صحف الكتاب العزيز بآيات محكمات وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً

(آل عمران: 144)

وفي السماء رزقكم وما توعدون

(الذاريات: 22)

والناس يوحدون الله بهذه العقيدة (عقيدة الأجل والرزق) توحيد ربوبية (التوحيد العلمي) ولكن النقلة البعيدة من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية (التوحيد العملي) فهذا الذي يتكفل الجهاد به بتحويل الكلمات إلى توكل يتمثل في مواقف فريدة يخاطر فيها على النفس والمال والحياة، وعندها يصبح المؤمن جبلاً راسياً تهتز الأرض كلها دون أن يمد أو يتأرجح.

وقد رأينا هذا من خلال النماذج التي تتسابق على الموت وتبكي حين تمنع من دخول المعارك في أرض أفغانستان، ويعبر عنه صفي الله أفندي الذي مكث ثماني سنوات لا يدخل معركة إلا في الصفوف الأولى فراجع المجاهدون في هذا فقال: ألم يقل الله عز وجل  
فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

(النحل 61)

وتوضحه كلمة سيد علاء الدين "قائد في ميمنة / فارياب" (جنك نيست خواب نمشا) أي (لا يمكن النوم بدون الجهاد).

يلد لأذني سماع الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما

وأما الرزق فانك تعجب من توكل الأفغان بشأنه فقد قال لي سيف ذات مرة: (أجلس أحياناً لانظم مساعدة الجبهات وتأمين طعامها فينحسر تفكيري وأقف حائراً أمام معضلة لا أستطيع حلها، فأتريها لرب العالمين يدبرها ويرتبها) وعقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني تريد أمريكا أن تزعزعها في قلوب المسلمين فتصور نفسها وصية على الجهاد.

العقيدة الكبرى: أن أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف (الخوف على الرزق والأجل) فإذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحالت الدعوة والحركة إلى إشارات خفية وألغاز معما سرية وذلك لأن المخابرات يمثلون شبحاً رهيباً يطارد الدعاة في سباتهم ويقض عليهم مضاجعهم وذلك خوفاً على رزقهم أو أجلهم. والجهاد: تحرر من جميع العقد، والحمد لله لقد من الله علينا بالتحرر من هذه العقدة فعندما يقولون لي: فلان من المخابرات فكانما يقولون لي: أبو تمام مدح المعتصم، أي لم تعد تثير في اهتماماً ولا تحرك في أعماقنا أية مخاوف.

ثانياً: العزة: ومما علمني الجهاد أن المسلم أعز مخلوق في الأرض إذا كان مجاهداً لأن أعز ما يملك المرء هي الروح وهو يخاطر بروحه ويعرضها كل يوم على خاله ليتسلمها فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يحني هامته أو يذل عنقه لإنسان وصدق الله العظيم:

ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين

آل عمران (139)

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الاسراء والسهـر  
وقد علمني هذا الدرس ذلك الشيخ الأفغاني في مخيم ناصرباغ عندما تقدم نيكسون ليصافحه، فقال : لأصافحه -وان كان رئيسا لأمريكا  
-لأنه كافر.

وكذلك علمني اياه حكمت يار عندما رفض أن يقابل ريغان رغم أن ريغان هو الذي طلب مقابلته.

ثالثا : حقارة الحياة وصغرها في نظر المجاهد كما جاء في الحديث الصحيح (1)

(لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء)

وهذا يتفق مع نفسية المجاهد وارتفاع اهتماماته وعلو مكانه وهو ذروة سنام الاسلام فهو ينظر إلى الأرض ومن عليها فتبدو صغيرة  
ضئيلة في نظره.

يقول سيف لأحد أبناء الحكام : (والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة من لحظات الجهاد).

رابعا : وتعلمت ان الحياة الحقيقية هي حياة الجهاد والمجاهد ولذا فاني اعتبر عمري الآن سبع سنوات وهي التي قضيتها في الجهاد ست  
منها في أفغانستان وسنة وبضعة أشهر في فلسطين، وهذا يتفق مع رأي بعض المفسرين في معنى الآية :

يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم

(الأنفال: 24)

استجبوا لما فيه حياتكم وهو الجهاد.

خامسا : وعلمني الجهاد ان الاسلام شجرة لاتعيش إلا على الدماء فإذا جفت الدماء ذوت عروق هذا الدين وذبلت واضمحلت وضمرت.  
سادسا : وخرجت من الجهاد بيقين : أن الجهاد ضروري جدا للحركة الاسلامية وكذلك فالحركة الاسلامية ضرورية لاشغال زناد  
الجهاد وقيادته والشعب ضروري للحركة الاسلامية حتى يستمر جهادنا بهذا الوقود وهو الشعب فاذا لم تجاهد الحركة الاسلامية تأكلت  
واشتعلت ببعضها وديت بينها الفتن وانتابها التشقق والتمزق لأن الفراغ قاتل للنفس والمجتمع.

والحركة الاسلامية تمثل الصاعق (البادئ) الذي يفجر أطنان المتفجرات، فالشعب هو المتفجرات والحركة الاسلامية هي الصاعق الذي  
يشعلها ويفجرها ولاستطيع حركة اسلامية مهما كانت أن تواصل حربا طويلة الامد ضد دولة ولوكانت صغيرة فضلا عن أن تقف  
سنوات امام دولة كبرى، والحركة اذا عزلت عن الشعب فقد قضت على نفسها بالموت كالغصن اذا قطع من شجرته مهما كان ناضجا  
كبيرا فانه يذبل ويموت.

وكثرة الثقافة لحركة دون جهاد جد خطير على النفوس لأنه يقسي القلوب ويورث الجدل.

سابعا : إن هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به لاقراره واقعا في الأرض والذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب واوراق الفقه  
لايمكن ان يدركوا طبيعة هذا الدين إلا اذا جاهدوا لنصرته فهذا الدين لا يفهم أسرار فقيه (وانه لجهل فاضح بطبيعة هذا الدين أن يفهم  
أحد أنه يستطيع التفقه في هذا الدين وهو قاعد يتعامل مع الاوراق الباردة ولايستنبط الفقه من قواله الجامدة ان الفقه لايستنبط إلا في  
مجرى الحياة الدافق ومع الحركة بهذا الدين في عالم الواقع) سيد قطب (2).

وهذا يتفق مع فهم الحسن البصري والطبري ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما للآية

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون

(التوبة: 122)

ان الفرقة التي تتفقه هي الفرقة النافرة للجهاد ولذا كان المسلمون اذا اعضلت عليهم مسألة يقولون اعرضوها على أهل الثغور والحق أن  
الفرقان بين الحق والباطل لا يحصل إلا للمتقين

يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا

(الآية 29 الأنفال).

يقول ابن تيمية :

(الواجب أن يعتبر في امور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون الذين يغلب عليهم لنظر ظاهر  
الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين في ظاهر لاخبره لهم بالدين) أي لايسأل عن الجهاد إلا العلماء المجاهدون.

ان الدينونة لهذا الدين هي التي أنشأت المجتمع المسلم والمجتمع المسلم هو الذي أنشأ الفقه من خلال الحركة الواقعية بهذا الدين.

ثامنا : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية لايمكن ان تقام إلا من خلال جهاد شعبي طويل تتميز فيه اقدار الناس وتتحدد مقاماتهم،  
ولايبخس الناس بعضهم مقادير بعض ومن خلال هذه المسيرة تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد  
هؤلاء المجاهدين ولقد كان ميزان التفاضل بين الصحابة عدد الغزوات والسرايا التي شهداء، ولذا لم يحتج ابو بكر عند اجماع الامة  
على انتخابه خليفة إلى تزكية أحد أو إلى دعاية انتخابية.

وميزان التفاضل الآن بين الافغان هو عدد السنوات التي قضاها في المعركة ، فلا يستطيع أحد مهما كان جاحدا ان ينكر جهاد احمد شاه  
مسعود، وجلال الدين حقاني ومولوي أرسلان، وفريد وانجنير بشير أحمد وانجنير ضياء (هرات) وقومندان أمير قندوز، ولالامالنج  
(قندهار) واريان بور / بدخشان.

تاسعا : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية التي تقوم من خلال الجهاد لايمكن القيام بانقلاب عسكري عليها، لأن الناس كلهم يحملون  
السلاح، ولأن مقادير القيادة فيها برزت من خلال أعمالهم وصبرهم وتضحياتهم.

ولأن الوصول للسلطة لم يكن في الظلام من خلال الدس والمؤامرة وانما جاء واضحا كالشمس في رابعة النهار، والقيادة هي اصلب  
الناس عودا واصفاهم عنصرا واصدقهم لهجة وابسطهم عيشا، وهذه القيادة دفعت ثمنا غاليا لاقرار الدولة فلا يمكن أن تفرط بها،  
والقيادة التي يفرزها الجهاد : قيادة جاءت من صفوف المجاهدين عاشت على الشظف والخشونة والتقصيف والزهة مع المجاهدين  
وتستطيع مواصلة العيش على هذا النهج.

ويدرك الذي يدخل بيت سيف أو حكمت يار ويونس خالص ورباني أن زهد عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم  
يمكن أن يعود وفي بيت أمير المؤمنين في القرن العشرين.

لقد اطلعت على مصروف حكمت يار وعائلته فوجدته أقل من أربعمئة ريال شهريا.

عاشرا : وعلمني الجهاد : أن الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية، إذ أن الخطر يعري الفطرة لبارئها وأحوال الحرب تفتح القلب  
للاتصال بخالقه وهنا وفي حرارة المحنة ومرارة التجربة تسخن النفس فتصبح مطاوعة لينة تستجيب للأوامر، كالحديد اذا سخن يصبح  
مطاوعا، فالجهاد يصقل النفس ويخلص الروح من اوشابها ويملأ الجهاد الحس البشري بالرهبة والروعة كما يملؤه بالحدز واليقظة،  
ويملأ النفس البشرية بالتوجس والتوقع للموت في كل لحظة ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة عرفت هذا في سلوك  
سازنور (ننجرهار) الذي يدفع ثمن الطعام من الغنيمة قبل اكله، حتى الكفار يضرعون إلى الله أوقات الشدة : فقبل اسبوع تقريبا نزلت

طائرتان روسيتان في منطقة شترال " الباكستاني فكان مما قاله الطيار الروسي : (ان اكثر مايخيفنا صاروخ ستينجر ولكننا نتعود منه بنصوص من كتابكم المقدس علمنا اياها الشيوعيون الافغان).

حادي عشر : وتعلمت ان الجهاد هو اكبر عامل لتوحيد الامة الاسلامية ولم شتاتها وجمع شعثها، فلا توجد قضية في الارض الآن تشد أعصاب الامة وتستحوذ على اهتماماتها اكثر من الجهاد الافغاني وهذا الاحظه من خلال الرسائل الكثيرة التي ترد إلى مجلة الجهاد من كل مكان في الأرض.

ثاني عشر : وتعلمت ان القيادة والمسؤولية لابد أن تسلم للمخلصين الصادقين فهؤلاء هم صمام الأمان لصيانة ارواح الناس وأعراضهم وأموالهم.

ولقد رأى بعض قادة الأحزاب : أن يمدوا القيادات التقليدية التي كانت أيام ظاهر شاه الذين يسمون في أفغانستان (أرباب ووكيل) ولكن هؤلاء لم يستطيعوا مواصلة السير على الطريق وتراه بين العشية وضحاها ينضم مع اسلحته وقربته وجبهته إلى الدولة الشيوعية عند رؤية بارق طمع أو لمح عرض من الدنيا القريبة.

ثالث عشر : وادركت من الجهاد : أن التربية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية يصبحون كالصبايات المسلحة تؤرق اجفان الناس وتهدد أمنهم وتروعهم ليل نهار وأنت تدرك هذا عند المقارنة بين قائدين في أفغانستان احدهما تربى في الحركة الاسلامية والاخر لم يتلق التربية فتجد الناس جد مرتاحين في منطقة الاول وأما الثاني فشكوى الناس لا تنقطع عنه.

رابع عشر : وتعلمت أن الصبر عمود الجهاد بل رأس هذا الدين ولاجهاد بلا صبر وبامكانك أن تدرك هذا من الذين امضوا عشر سنوات في الجهاد مع الجوع والعري والمرض وانه ليذهلك وأنت تسمع (قصة فتح قلعة المار/ فارياب)

التي تقع في سهل شاسع للمجاهدين التسلل اليها فيحفر المجاهدون خندقا عميقا يسير فيه الراكب دون أن يرى طوله -عشرة كيلومترات- يستمر حفره سنة ونصف حتى يدخلوا القلعة من تحت الأرض ويفتحوها باذن الله.

خامس عشر : علمني الجهاد أن الهالات الضخمة التي ترسم حول الدول الكبرى كامريكا وروسيا لاتساوي شيئا أمام قوة رب العالمين وتأييده للمؤمنين ، ومن كان في شك مما أقول فليسال الروس عن هلهم ورعهم من المجاهدين الافغان ، لقد بدد الجهاد الافغاني أسطورة روسيا.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ان لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

- 1 - عند الترمذي برقم (2321) وابن ماجه برقم (4110) وهو عن سهل ابن سعد.
- 2 - يتصرف عن الظلال في تفسير سورة التوبة/ الجزء الثالث/ص -1735 طبعة الشروق.
- 3 - الاختيارات (4/158)

أصالة الشعب الأفغاني المسلم\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثامن والثلاثون- جمادي الأولى 1408هـ، يناير 1988م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد :

فلا زال الشعب الأفغاني يحتفظ بأصالته وكرم محدته وطيب فطرته وسلامة نفسيته وصفاء خامته ونقاء طيبته.

ومن نعم الله على أفغانستان أنها ماكنت هامتها لمستعمر ولا أذلت عنقها لغاز إلا الله الذي ساق جنده يحملون مشاعل نور الإسلام.

لقد نفى كبر أفغانستان كل خبث غريب وطيء أرضها، ولفظت أرضها الطيبة كل نجس جاء يدنس تربتها. فلم يستطع الاسكندر ولا التتار -جنكيزخان-ولا الإنجليز أن يثبتوا فيها أقدامهم لأن قمم جبالها تستعصي على الغزاة وعلو نفوس أبنائها تستعلي على الطغاة فحفظ الله على الشعب الأفغاني :

بساطتهم، وحياءهم، وكرمهم، وعزتهم، وشجاعتهم، ومروءتهم. لأن أعداء الله -خاصة الإنجليز-حيثما حلوا مسحوا البسطة وغرسوا التعقيد، واجتثوا الحياء وزرعوا القحة والبذاءة ولبسوا الإيثار وتركوا الأثرة وحاربوا الشجاعة وربوا الجبن والخور واقتلوا الكرم وورثوا البخل والشح.

أما عن حياء الشعب الأفغاني : لقد سارت به الركبان وتحدث به الشعراء خاصة عن حياء المرأة.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم-

(الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) (1).

وحيثما أثبت المستعمر قدمه فإنه يحيل المجتمع كله إلى مستنقع جنسي آسن يغرق فيه أبناء الجيل كله -جاء في البروتوكولات (نريد أن ننشئ جيلا لا يستحي من كشف عورته) -وليس أدل على هذا من بانوك التي تركها الأمريكان بورة الخطيئة في العالم.

وأعداء الله يدركون أكثر من غيرهم أن تدمير فطرة المرأة هي أقصر طريق لانهاية المجتمع كله وقد قال قائلهم : (كأس وغانية أشد على أمة محمد من ألف مدفع)، ولذا فقد ركزوا على المرأة في البلدان الإسلامية خاصة في :

تركيا : عاصمة الإسلام السياسية.

ومصر : عاصمة الإسلام العلمية.

وكانت الأنظمة الثورية هي القفاز الذي يضرب به أعداء الله والحربة التي يمزقون بها حجاب المرأة ويمسخون شخصيتها ويدمرون إنسانيتها.

ويعلن رئيس وزراء تركيا (تورجوت) سنة 1968 أن أكبر دخل لميزانية الدولة إنما يأتيها من بيوت الدعارة -البغاء!

ولقد تمرد الجيل بجنسيه -ذكرهم وأنثاهم- على القيم والمبادئ ومزقوا برقع الحياء، وانفلتوا من كل التقاليد المحافظة والآداب الاجتماعية وانطلقوا لا يلبسون على شيء فلا حرمة لأب ولا لأسرة ولا لدين ولا لمجتمع -جاء في بروتوكولات حكماء صهيون (سننشر آراء فرويد الجنسية على مثل ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس وتنهار الأخلاق في كل مكان).

أما في أفغانستان :

فقد وجدت المرأة فيها قلعة شامخة وحصنا حصينا يأوي إليه هذا الدين كلما اشتدت المحن وادلهمت الخطوب.

ولقد رأيت المرأة الأفغانية أثناء هجرتها تمسك ابنتها بيد وتمسك بالأخرى نقابها الذي تخشى أن يسقط عن وجهها على طول طريق العرق والدم والمرارة والحرمان وهي تكابد حرارة الجو اللاهية ولفح الهجير في حمارة القيظ.

ويرى الأفغان أنه من العيب أن يلقي الرجل عمامته ويكشف رأسه مهما كان الحر شديدا والريح سموما ، وكنت أعجب لهذا كذلك.

أما عن احترامهم للشعائر الإسلامية وأهلها فحدث عنه ولا حرج :

فعلماؤهم وحفظتهم يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع وفي أعماق قلوب أبنائه، فالعالم والقارئ والحافظ : لا يمكن أن يلفظها الأفغاني إلا مصحوبة (بصاحب) أي المحترم. وابن العالم : اسمه مخدوم فكل اسم تسمعه يبدأ بمخدوم فهذا يعني أنه ابن عالم أي يجب على الشعب خدمته.

وتجد الأفغان جميعا مؤمنهم وفاسقهم وفاجرهم يجل العالم ويحترمه.

يقول سيف : كنت سجيناً مع كبار المجرمين ومهربي المخدرات فكانوا لا يصلون ولكنهم يصطفون أمام مصلى السجن ينتظرون خروجنا حتى يصفوا لنا أحذيتنا إجلالاً واحتراماً ، وعندما ح كم على الشيخ سي اف بالإعدام استعد أحد كبار المهربين أن يدفع عشرين مليوناً لمدير السجن لإخلاء سبيل سيف.

لقد سمعت الشيخ يونس خالص -أمير الحزب الإسلامي والناطق باسم الاتحاد الآن- يقول (إنني احترم سي اف لأنه أستاذي في الحديث) رغم أن الشيخ يونس ناهر السبعين وسيف لم يبلغ الأربعين.

أما عن القرآن وأهله :

فحامل القرآن له توفير عجيب وإجلال غريب واحترام كبير في نفوس الأفغان فالأفغان يحملون أمتعتهم وأسلحتهم على الخيول والبغال ولكنهم يرفضون أن يضعوا عليها المصاحف مهما كانت ثقيلة وناءت بحملها كواهلهم.

ولا يمكن للأفغاني أن يتقدم على حامل القرآن أو يسبقه في شيء أو يتصدر عليه في مجلس.

قال لي سعيد الجزائري : علمتهم القرآن وعلموني أدب القرآن.

وحدثني قائلا : كنت أعلم سرية من سرايا أحمد شاه مسعود في تخار القرآن فكانوا يهابون أن يمزحوا أو يهزلوا أو يمدوا أقدامهم أو

يعبثوا بتيابهم أو لاحهم في حضرتي.

ويقول : كانت أسر تنا التي ننام عليها غنائم روسية مكونة من طابقين فكان مهجعي في الطابق العلوي من السرير وفي السفلي أحد المجاهدين الأفغان، وذات ليلة جلست في الطابق السفلي قرب المدفأة فأخذني النوم العميق ولم استيقظ إلا في منتصف الليل وإذا بالأفغاني صاحب المكان واقف فوق رأسي فسألته ما بالك؟ فأجاب : أريد النوم فقلت له : هلا نمت في الطابق العلوي للسرير فقال :

معاذ الله أن أنام فوق القرآن الذي في صدرك!!

يقول الأخ الحبيب عبد الله أنس (القرآن مفتاح قلوب الأفغان).

المروءة والكرم وخاصة إكرام الضيف

والأفغاني ينطبق عليه وصف الشاعر :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليق الله سائله

وأما عن المروءة : فقد حدثني أحمد المبارك (مجاهد صومالي) قائلا : قمنا بعملية في مركز بروان ثم تفرقنا عن بعضنا لغزارة النيران فضلت الطريق ودخلت بستاناً وإذا به بستان شيوعي فعرفني أنني عربي فأكرم وفادتي وأحسن لقائي وأتى بسيارة مع حراسه وأوصلني إلى قاعدة المجاهدين وعرض علي مبلغاً من المال إكراماً لي رغم أن بإمكانه أن يسلم رأسي للروس مقابل ثمن باهظ

ولكنها المروءة وإكرام الضيف.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم-

(خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا)

رواه الشيخان عن أبي هريرة(2).

أما الترفع عن الدنيا :

فكفى الأفغان فخراً أن منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في باكستان تسحقهم الفاقة ويبيد العري والمرض والجوع خضراءهم ومع هذا كله : يصعب على البوليس الباكستاني أن يسجل حادثة سرقة.

المصطلحات الإسلامية :

لقد فرض الجهاد الإسلامي الأفغاني على العالم أن يعيد إلى قاموس التعامل اليومي مصطلحات إسلامية كادت تندثر مع الزمن في طي النسيان فرفضوا كلمة الجهاد -ورفضوا كلمة الثورة -ورفضوا كلمة لاجئين وقالوا نحن مهاجرون، وهم يتداولون كلمة منافقين ويطلقونها على عملاء الدولة وانتشرت كلمات : غنائم ، غازي ، أمير ، إمارة ، بغاة ، حدود

الأصالة ضرورة لبناء المجتمع الإسلامي :

إن المبادئ لا ينصرها إلا النفوس الصادقة والفطر السليمة، وإن هذا الدين قد انتصر في كل مرة بشعب خامته طيبة وفطرته سليمة؛ فانتصر أول مرة بالعرب الأميين، وحكم الشعب التركي بإسلامه مع أميته ربع العالم وعلى مدى خمسة قرون متتالية.

ولقد رأيت أن أصالة الشعب الأفغاني بآباء رجاله وحصانة نسائه مع الحياء والعفة والوفاء وسلامة الجبلية والفطرة تكون لمجموعها : قاعدة صلبة يمكن أن يقام عليها هذا الدين ويشاد فوقها صرحه العظيم

إن الدين عند الشعب الأفغاني أصبح مع الزمن :سليقة وليس تصنعاً ، وطبعاً وليس تطبعاً ، ومعدناً وليس طلاءً ، وخليقة وليس تمثيلاً .

إن هذا الدين لا ينتصر بجبل : نخزته الشهوات، وانهكته الملذات وحطمت نفسيته وأذلته أجهزة المخابرات، وأتلفه الترف وأفسده السرف.

فهل ينتبه المسلمون إلى هذا الكنز العظيم بين أيديهم (الشعب الأفغاني وجهاده)؟ وهل يقف المسلمون بجانب هذا الشعب الكريم وينهلون معه من نفس المعين؟ هل يبادر المسلمون للحفاظ على هذه القاعدة الصلبة لعلها تكون بإذن الله المنطلق لهذا المارد الجبار ولهذا العملاق الكبير ليحرر الإنسان المعذب في الأرض؟ أم تفلت من بين أيديهم هذه الفرصة الذهبية كما أفلتت من أيديهم فرص كثيرة؟

إنه غيب دونه حجب مسدلة لا يعلمه إلا الله الذي علمنا أن الحياة والنصر مقامة على قوانين وسنن، وألزمنا الأخذ بالأسباب وأوجب علينا الإعداد.

والحق أن الذروة التي حل ق عليها الشعب الأفغاني بجهاده، تدرکہا الأشواق وتتطاول إليها الأعناق، ولكن قصرت دون بلوغها سائر الأعراق.

وختاماً دعونا ننشد مع أبي الطيب لحنه العذب لهذا الشعب الكريم.

قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصـوول (3)  
ما الذي عنده تدار المنايا كـالذي عنده تدار الشـمول (4)  
أنت طول الحياة للروس غاز فمتى الوعد أن يكون القفول (5)  
وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك.

- (1) صحيح الجامع برقم (5913).
- (2) رواه الشيخان عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (2766)
- (3) القنا : الرماح، النصول : السيوف، مساعيك : مطالبك من المجد والشرف.
- (4) المنايا : الموت. الشمول : الخمر أي لا يستوي يشرب كأس المنية بالذي يحتسي كأس الخمر مثل الملك ظاهر شاه.
- (5) بدل الروم في هذا البيت كتبنا الروس. القفول : الرجوع.

#### مدرسة الجهاد الإيمانية\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد التاسع والثلاثون- جمادي الثانية 1408هـ، فبراير 1988م].  
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.. أما بعد.

فقد كان يحلو للمؤرخين أن يطلقوا على أفغانستان (مدرسة الحرية) في آسيا لأن أفغانستان وقفت في وجه جميع الغزاة الذين حاولوا أن يذلوا شعبها أو ينالوا من كرامته، ولقد كانت قمم الهندوكوش هي العقبات الكبرى التي يتحطم على صخورها عتو الطغاة وتذل عند ذراها كبرياؤهم وتهن عند منازلها عزائمهم فلقد فشل الاسكندر المقدوني في أن يستعبد شعبها أو أن يمس إباءهم، وأما جينكيزخان فلقد واجه من صمود أبناء أفغانستان عنقا ماواجه نظيرا له في البلدان التي اجتاحتها أثناء غزوه المغولي.

وأما الإنجليز فلا زالت أجيالهم تنتقل أخبار آبائهم الذين لقوا حتفهم في خرد كابل وفي جك ذلك في نجرهار. ولا زالت صورة مذبحه الجيش الإنجليزي في جلال اباد 1824 بكامله وكان عداه مع أتباعه حوالي ستة عشر ألفا - أقول لازالت صورة تلك المذبحه شبحا رهيبا يفزهم في منامهم ويقض مضاجعهم، وكذلك لازالت خيالات وذكريات المقابر الكبرى للجند الإنجليز ذوي الوجوه الحمر سنة 1880 وهزيمتهم أمام الجيش الأفغاني 1919 الذي يقوده نادر شاه حتى وصل إلى مدينة تل -الباكستانية- وكانت هندية آنذاك إذ لم تكن باكستان قد ظهرت إلى حيز الوجود بعد.. لازالت هذه المقابر والهزائم معالم بارزة في تاريخ بريطانيا الحديث ولا زالت العبر التي خلفتها هذه الهزائم الساحقة تشكل عقدة كبرى في العقلية الغربية وفي نفسية جيلها مما حداهم ليطلقوا عبارتهم القائلة (لقد أخضعنا كل العالم لتقافتنا ولم يفلت من الذوبان فيها سوى التيس الجبلي في أفغانستان والأعرابي في وسط الصحراء (1)).

لقد سمعت الرئيس الباكستاني ضياء الحق ذات مرة يتحدث قائلا للسفير الروسي : لقد وصلت روسيا القمر وغزت الفضاء ولكن يبدو أنها لم تدرس التاريخ، فسأله السفير الروسي وكيف؟ فقال : لو درست التاريخ لما غلظت هذه الغلطة الكبرى وهي دخولها إلى أفغانستان!

وع ب ر التاريخ كله كانت أفغانستان هي المحضن الدافئ الذي ينشأ فيه القادة والعش الهادئ الذي تفرخ فيه البزاة والصقور التي تغزو المنطقة المحيطة بإيران والهند، فحمود الغزنوي قد دخل الهند فاتحا عدة مرات وحطم صنم (ساموناتا) وكذلك أحمد شاه بابا (أي الأب للشعب الأفغاني) الذي هزم الهندوس وعمل فيهم مذبحه عظيمة، وكانت دولة أفغانستان التي أنشأها أحمد شاه بابا تمتد من : مشهد في إيران غربا إلى كشمير ودلهي شرقا ومن بخارى شمالا إلى بحر العرب والمحيط الهندي جنوبا -وكانت بيشاور العاصمة الشتوية لأفغانستان وكابل هي العاصمة الصيفية وقد لقي الهندوس والسيخ على يده وعلى يد أبنائه من الولايات والإذلال والصغار مالم يروه على يد غيرهم.

#### الجهاد ضد الشيوعية :

وقد قضى الله -عز وجل- أن يتفجر هذا الجهاد المبارك على يد حفنة من الشباب المؤمن المجاهد مثل الأستاذ برهان الدين رباني، وسي اف وحكمت يار وفي طليعة العلماء المجاهدين : يونس خالص وجمال الدين حقاني ونصر الله منصور. لقد كنت في بداية هذا الجهاد أتمنى لو قبض الله النجاح للانقلابات الثلاثة التي رتبها حكمت يار مع قادة الجيش المسلمين في أفغانستان ضد نظام داود الطاغية، ولكن..

وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون  
(الآيات 7، 8 الأنفال).

#### طول مدة الجهاد :

إن حكمة الله البالغة قضت أن تفشل محاولات الإطاحة بنظام داود العلماني ليأتي الله بهذا الجهاد على يد هذا الشعب المجاهد الفذ، وشاءت إرادة الله أن يستمر هذا الجهاد هذه السنين العشر التي دارت فيها رحى الحرب ثقيلة سريعة تطحن أعصاب هذا الشعب وتسحق أبناءه، ويدفع فيها الثمن باهظا والتكاليف عالية والتضحيات جبارة ليتحول الجهاد إلى مدرسة إيمانية وجامعة ربانية تتفتح على حرارتها براعم كامنة في أرجاء العالم الإسلامي، ولتغدو مدرسة الجهاد الإسلامي في أفغانستان نموذجا فذا وأسوة حسنة لمن شاء أن يقتفي الأثر أو يسلك الطريق أو يسير على الجادة لقد حمل الشباب الأوائل -الذين فجروا هذا الجهاد- الآية الكريمة نبراسا على طول الطريق المرير

ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوي عزيز

(الحج الآية 40).

وكان الهادي عل طول هذه المسيرة التي رواها الدماء ووقودها الأشلاء قوله سبحانه :

كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

(البقرة :249).

وكان الحادي الذي يغذي عزيمتها بالمضاء وشعلتها بالسناء والضياء

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

(العنكبوت الآية 69)

وزاد الطريق :  
ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين  
(البقرة:153).

عقيدة التوكل على الله :  
لقد بنى الجهاد الإسلامي في أفغانستان عبر السنين التسع الماضية عقيدة التوكل على الله في قلوب أبناء هذه الأمة المسلمة وأعاد الثقة بالله سبحانه في أعماقهم، وما كان شيء من هذا كله يمكن أن يتم لولا أن الله ساق هذا الجهاد العظيم درساً عملياً ومدرسة تربية وأحداثاً واقعية في عالم الحياة.  
وعندما يشاهد الشاب هوان روسيا وإذلالها على يد هذا الشعب البطل الفذ ويعيش فوق أرض المعركة مستشعراً عظمة الله وقوته، وجبروته وهيمنته وأمامه أقزام صغار يحادونه ويتعدون حدوده وينتهكون حرماً وأولياته ويرى بأم عينيه وقائع لا تني تطالعهم صباح مساء كيف ينتقم الله لأولياته ويغار على حرمتهم لا يملك إلا أن يردد (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده).  
وعندما يرى الشاب المسلم بأم عينه الرعب الذي يملك الجنود الروس والهلع الذي ينعص عليهم حياتهم والخوف الذي يحيل عيشتهم جميعاً لا يطاق، عندما يراهم سجناء قلاعهم أسرى في حصونهم وكل واحد منهم إنما يعيش في هذه القلاع الكنيية المليئة بالمنعرجات والسرديب والمنعطفات ذات الهواء الراكد المكتوم وكل واحد منهم يدرك أنه يسير في درب مسدودة ويقف أمام جدران صلبة في نهاية كل درب.  
عندما يسمع المؤمن جندياً روسيا راجعاً من أفغانستان يصرح على التلفاز الأمريكي قائلاً: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول في ثيابنا) يدرك عظمة رب العالمين وهوان الكافرين وعزة المؤمنين.

أثر الجهاد الأفغاني في نفوس الشعوب المسلمة :  
وعندما يقف الشاب العربي المسلم فوق ذرى الهندوكوش ويرى هزيمة روسيا أمام جنود الله الحفاة العراة الجياح يدرك أن إسرائيل لا يمكن أن تحتمل سوى عدة ضربات تحت مطارق الإيمان وأمام سياط جند الرحمن.  
وأول ما يمر في ذهن الشاب العربي الذي يصطلي بنار المعركة على ضفاف الهلند هو : محاولة نقل هذه الصورة المشرفة إلى رحاب الأقصى وفوق ربوع الأرض المباركة.

ذعر اليهود :  
ولقد ذعر اليهود وهم يرون صفوة من أبناء الأمة المسلمة والعرب على الأخص يطلقون الدنيا ويحطمون القيود التي تشدهم إلى الأرض ويقطعون الحبال التي توثقهم بها ويطيرون مع أشواقهم المجنحة منتصرين على عناصر الضرورة والحاجة ويتغلبون على ثقله اللحم والطين نافرين مع أرواحهم المرفرفة فوق ذرى الهندوكوش وعلى شواطئ جيحون.

موقف الإعلام اليهودي الذي يسيطر على الغرب :  
ولقد عز على اليهود أن يروا ثمرات هذا الجهاد المبارك توكلوا على الله، وثقة بعظمته. ومما أذهلهم أن يروا أن الشباب الذين أغرقهم بالترف واشغلهم بمتاع الدنيا الرخيص قد انطلقوا من المستنقع إلى هناك.. إلى ذروة سنام الإسلام يسيطرون بدمائهم الزكية أروع قصص البطولة وأسمى آيات التضحية، ويرسمون التاريخ الإسلامي من جديد بالدماء ويعيدون أمجاد السلف بالجماع والأشلاء.  
فانطلق الإعلام الغربي يشوه صورة الجهاد المشرفة الأخاذة، بصور أن الجهاد عبارة عن مجموعات من قطاع الطرق يعيشون على تناول الحشيش والمخدرات، بل يزعمون أن هذا الجهاد المبارك إن هو إلا انتفاضات من القبائل التي تدافع عن مزارع الحشيش التي تصب عليهم ميازيب الذهب والجواهر.  
من جهة أخرى فقد صو روا الجهاد الذي يسقط من مجاهديه كل أربع دقائق شهيد وي هاجر كل دقيقة مهاجر من القرى إلى الأدغال والجبال.

أقول : هذا يصور في نظر العالم من خلال الإعلام الغربي اليهودي أنه حرب النجوم والكواكب وأنه صراع بين العملاقين الكبارين وما الشعب الأفغاني إلا ألعبه بيد أمريكا تقدمه وقوداً في معركة أهوانها ومصالحها وقرابين على مذابح شهواتها.  
وأصبحت صواريخ ستنجر هي حديث السامر لكل من أراد أن يتسلى بالتحليلات السياسية الدولية، وأضحى الإنسان لا يطالع خبراً في الصحف الغربية عن الجهاد إلا وصاروخ ستنجر يحوز قصب السبق وينال القسط الوافر من الحديث.  
وما علم الناس أن أمريكا تأخذ ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار.

لقد عز على أمريكا أن ترى أن الجهاد الأفغاني أصبح يشغل ذهن كل شاب مسلم وأصبح الجهاد الأفغاني رمز العزة في نظر كل شاب مسلم، وأصبح المثل الرائع الذي يحاول الشباب تقليده أولئك الأبطال الذين يهزون الأرض تحت أقدام روسيا، فأصبح القادة والأبطال مادة الأناشيد، وحديث الشعراء، وأحرف الأدباء، وعادت الأسر تنتظر صدور المجلات الجهادية بفارغ الصبر، وكم من شاب أرسل إلينا يقول : إننا نقرأها حرفاً حرفاً .

أصبحت أسماء يونس وحكمت يار وسي اف ورباني وأحمد شاه مسعود وجلال الدين وصفي الله وغيرهم أناشيد عذبة وألحانا جميلة تواكب مسيرة الجيل السائر إلى الله وتسدد جادة الصحو الإسلامية الراجعة إلى الرحمن.

التكالب الغربي والشرقي على إيقاف الزحف :  
ولذا ومنذ أن عاد نيكسون وكارتر من أرض المهجر والجهاد وأعلن نيكسون (أن المشكلة الكبرى هي الإسلام ولا بد من أن نتفق مع روسيا لإيقاف الزحف الإسلامي) منذ ذلك الوقت وأمريكا مع روسيا تبحثان عن مخرج من الورطة التي قد تؤدي بمصالحهم جميعاً فيما لو قدر الله للإسلام أن يقف شامخاً فوق أرض أفغانستان.

وليس عجباً أن يعقد المؤتمر بين ريغان وغورباتشوف في غرفة مغلقة وفي جلسة جد سرية لا يحضرها إلا المترجم الخاص لكل منهما ثم يتفق الطرفان على إرجاع الملك ظاهر شاه (الرجل الميت الذي يرتدي ثياب الأحياء) والذي غرس الشيوعية أصلاً في أرض الغزنوي وذلك لتجميع العلمانيين تحت مظلتهم ولتتفادى قدوم الغول المفزع الذي تكالبت على تحطيمه مخططات ثلاثة قرون وهو الصرح الشامخ الذي يمثل الخلافة الرائدة.

ثمار المدرسة الدانية :

وإنك لتستشعر العظمة الإيمانية والعزة الإسلامية وأنت تسمع تصريحات قادة الجهاد. إذ يصرح بونس خالص، ويقول : ما قابلت ريغان إلا لأعرض عليه الإسلام، وكذلك موقف حكمت يار وهو يرفض مقابلة ريغان.

وإن الأمل العريض لينبعث في أعماقنا أن هذا الدين سينتصر إن شاء الله من خلال الشباب المتحفز للجهاد المقبل على الله وتلي الثمار الدانية الجنية لهذه المدرسة الإيمانية هذه الثمار تراها من خلال حلي النساء التي تعبر عن سخاء النفوس ورخص الدنيا إزاء نصرة هذا الدين وكم من رسالة لبنت جامعية تحبي موات النفوس، ترى الحصاد يطيب من خلال الجموع التي تطلق الدنيا، تاركة وظائفها، هاجرة نعيمها وجامعاتها وشركاتها، مصطحبة أزواجها إلى أرض الجهاد يعبر بلسان هذه الجموع ذلك الشاب الذي يعيش في السعودية وهو يتحرق للمجيء إلى الجهاد فقلت له : ستخرج تأشيرة خروج وعودة؟ فقال : (سأخذ تأشيرة خروج بلا عودة) ثم فسر ها قائلا تأشيرة خروج من الدنيا..

ترى هذا الأمل : من خلال دعاء القنوات الذي تدوي به أركان المساجد في العالم الإسلامي تضرعا إلى الله أن ينصر المجاهدين في خوست (أفغانستان) وفي فلسطين.

ترى هذا الأمل : من خلال الأشرطة الجهادية التي يتلقفها الشباب في كل مكان.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(1) من محاضرة لكامل الدقس.

إن الحكم إلا لله \*

[نشر في مجلة الجهاد - العدد الأربعون - رجب 1408 هـ، الموافق مارس 1988م].

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد..

يكاد يدرك كل من له طرف المام بهذا الدين، أن الدين قاعدته الكبرى ومحوره الأصيل هو لا إله إلا الله محمد رسول الله والحكم بما أنزل الله جزء لا يتجزأ عن هذا الدين فلو مثلنا هذا الدين بقطعة نفود فإن وجهها الأول مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والوجه الثاني مسطر عليه

إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم

(يوسف الآية 40)

و «إلا» في الآية الكريمة وردت بعد النفي «إن» فلا هنا للحصر والقصر أي أن الحكم محصور ومقصود بين يدي الله، والحكم بما أنزل الله هو العبودية الحق، وهو الدين القيم، وأن تنحية الحكم الشرعي عن الحياة يعني تنحية العبودية لله، وانتهاء الدين الصحيح وإن أقيمت الشعائر وبنيت المنابر والمنابر. وكل كتب الأصول تفتتح باب الحكم والحاكم : بأن الحاكم هو الله وحده، والرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما يحكم بما أنزل الله إليه سواء كان وحيا مثلوا (القرآن الكريم) أو وحيا غير مثلوا وهو (السنة الشريفة).

والخليفة في الشريعة الإسلامية : مفوض من قبل الأمة التي تختاره بتنفيذ الشريعة الإلهية، لا وضع شريعة من عنده تصطدم مع هذه الشريعة.

والعلماء وأهل الحل والعقد : هم مجتهدون بالنظر في النصوص الإلهية لمحاولة معرفة الحكم الرباني في المشاكل التي تواجه المسلمين في حياتهم اليومية.

والحكم من الله (الح ك م) وهو اسم من اسمائه وصفة من صفاته فمن ادعى الحق بالتشريع بما يريد إنما يدعي الألوهية عملا ويزاولها سلوكا وإن كان لا ينطق بها لفظا وسواء كان هذا المدعي هو : طبقة من الشعب، أو الشعب كله أو حزب أو منظمة عالمية أو محلية، أو هيئة، أو فرد فالنتيجة واحدة وهي : انتزاع حق الله في التشريع للناس، وهذا شرك يخرج أصحابه من دين الله.

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله

(الشورى الآية 21).

وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم إنكم لمشركون

(الأنعام الآية 121)

فطاعة التشريع البشري الوضعي (القوانين الوضعية) مع الرضا القلبي شرك يخرج صاحبه من الملة.

والحكم الإسلامي الذي يمثلته شخص الخليفة لينفذ دين الله بقى شبحا رهيبا يقض مضاجع الغرب ويؤرق أجفانهم، وبقيت الإطاحة بهذا الصرح الشامخ شغل أوربا الشاغل ثلاثة قرون واعملوا فيه معاولهم حتى أجهزوا عليه في 3/3/1924 على يد الطاغية (مصطفى كمال أتاتورك) بعد معاهدة لوزان التي امتدت من نوفمبر 1922 إلى فبراير 1923 بين عصمت انينو نائب أتاتورك وبين كرزون وزير الخارجية البريطاني واتفقوا على أربعة شروط :

- 1- أن يطاح بصرح الخلافة.
- 2- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.
- 3- محاربة الشعائر الإسلامية.
- 4- اتخاذ قوانين غربية وضعية بدل الشريعة الإسلامية.

-وبعد الإطاحة بالخلافة اتفق العالم كله على :

- 1- اجتثاث أي تجمع يدعو للحكم بالإسلام من الجذور.
- 2- سحق طلائع البعث الإسلامي أينما وجدت.
- 3- تمبيع عبادة الجهاد ومصطلحاتها وشن حملة رهيبة على هذه العبادة باعتبارها وحشية همجية لا تصلح إلا لشرائع الغاب.
- 4- اغراق الجيل في مستنقع جنسي أسن يتحول المجتمع فيه إلى مجموعات من الحيوانات الشبيهة لا هم لها سوى ارواء النزوات واشباع الشهوات.
- 5- تصفية الأجهزة من ذوي الالتزام الإسلامي المتميز وخاصة أجهزة الأمن والجيش والإعلام والخارجية والجامعات.

وهنا نجد التفسير الواضح لعمليات القمع والإبادة والسحق لحركات البعث الإسلامي في بقاع الأرض الإسلامية كلها.

ولم يسبق لديك لغز محير في فهم أسرار الحرب الشعواء التي تشنها أجهزة الأمن والإعلام على كل من فكر بالجهاد أو خاض غماره.

وقضية تنحية دين الله عن الحياة وإحلال شرائع وضعية مكانها خطوة هائلة وقد كانت قاصمة الظهر لدى الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها ولم تصب البشرية نكبة أعظم منها.

ولم تصب الأمة الإسلامية بهذه الداهية خلال حقباتها التاريخية بهذا الحادث الجلل والرزء العرام إلا يوم أن سقطت دار الخلافة -بغداد- سنة 656 هـ ثم أراد هولاء تطبيق شريعة جنكيزخان (الياسا أو الياسق : السياسات الملكية) على الأمة الإسلامية فوق العلماء موقفا واضحا وبارادة حازمة حاسمة أمامها فأفتوا بكفر من يحكم ومن يتحاكم إلى الياسق.

وقال ابن كثير : (1)

(فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين).

وعندها وقفت الجماهير المسلمة كلها ضد التحاكم إلى الياسا، واضطر قازان التتاري أن يفتتح نوعين من المحاكم إحداها : محكمة الياسا، والثانية محكمة القرآن والسنة.

والآن : والجهاد الأفغاني الإسلامي على أبواب قطف ثمرته، والروس يلمون أذبالهم لينسحبوا خزيا نادمين بعد أن شهدت ذرى الجبال والسفوح والوهاد وشعاب الطرق هزائم ساحقة للجنود الحمر، وشمخت الهندوكوش بقممها تتناطح عنان السماء عزة وافتخارا وشكرا لرب العزة الذي نصر عبده وأيد جنده وهزم الأحزاب وحده.

أقول : الآن جاء دور التكالب العالمي حتى لا ترى هذه البقاع رابية لا إله إلا الله الحقة ترفرف فوق أرض الدماء والشهداء فيعد أن فشل الغربيون في زعزعة الثقة بالله التي بناها الجهاد المشرف العزيز في أعماقهم.

ويسوس من أن يزلزلوا عقيدة التوكل على الله التي رباها في قلوبهم كفاح مرير بين جند الإيمان وجيوش الشيطان، لقد استيأسوا من أن ينالوا من هذا الجهاد رغم الإعلام الذي يظهر قضية الجهاد على أنها صراع المطامع ومقايضات المصالح التي يتلاعب بها العمالقان من خلال حرب النجوم، والذي لايني يردد صباح مساء ذكر صاروخ ستنتجر الأمريكي، وابرار المجاهدين بأنهم عبارة عن مجموعات من أبناء القبائل التي هبت للدفاع عن مزارع الحشيش وليس للدين في هذه الساحة ناقة ولا جمل، ولا يخجل التفاز الأمريكي عن عرض مجموعة من المجاهدين يتعاطون الحشيش ثم يهجمون على قواعد الروس.

شهادة التاريخ :

ولقد انتهت الحروب الأفغانية الإنجليزية الثلاث بمجيء رجل لم يرق نقطة واحدة من عرق جبينه في الجهاد. فجهاد سنة 1842 الذي أباد الجيش الإنجليزي بكامله بين كابل وجلال آباد انتهى بتنصيب أسير في يد الإنجليز في الهند اسمه (دوست محمد خان) على عرش كابل واشترطوا عليه قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد الذي قتل بيده داكنتون الضابط الإنجليزي أثناء المفاوضات.

وانتهى جهاد سنة 1880 بإحضار أمير شريد لاجي في بخارى وسلموه شعب أفغانستان وركزوا عرشه على صدورهم وأنفاسهم. وانتهى جهاد سنة 1919 باظهار (أمان الله خان) الذي صادق لينين وستالين ونادى بنبذ الحجاب واطهار السفور ومطاردة الشريعة ومحاصرة العلماء وكبت أنفاسهم وهو أول أفغاني تظهر امرأته سافرة كاسية عارية متبرجة.

والآن هنالك التكالب العالمي واجماعه على أن لا تقوم دولة الإسلام بعد هذا الجهاد الإسلامي العريق. وهنالك ألب قوى الكفر على حرمان قادة الجهاد من ثمار جهادهم ومنعهم من حصاد جني دماء مليون ونصف مليون شهيد وحجتهم أن هؤلاء القادة أصوليون.

ظاهر شاه :

وهنالك الإجماع على إرجاع ظاهر شاه وذلك لتجميع العلمانيين تحت لوائه وكنفيه مع أن ظاهر شاه صحيا لا يستطيع أن يزاول حكما ولا يدير بلدية فضلا عن أن يدير مملكة.

وظاهر شاه هو الذي غرس الشيوعية في أفغانستان، وظاهر شاه هو الذي كان في مجلس شوراه 36 شخصا من الحزب الشيوعي، وظاهر شاه هو الذي أجاز لترقي أن يخرج جريدة خلق وليبارك كارمل أن يصدر جريدة (برشم).

وظاهر شاه هو الذي سي ر جيشا يقوده خان محمد لمهاجمة قندهار لأن نساءها رفضن النقاب وسقط قرابة ألف شهيد في المعركة، وظاهر شاه هو الذي حمل خمار امرأة مسلمة ووضع تحت قدمه وقال : انتهى عهد الظلام إلى الأبد.

وظاهر شاه هو الذي سن السنة السيئة في أفغانستان بأن تبدأ الحفلات الرسمية بأن يرقص الملك مع زوجة أقدم السفراء ثم يرقص السفراء مع نساء بعضهم البعض، وظاهر شاه هو الذي نصب نفسه مشرعا يحل الحرام ويحرم الحلال (وقد انعقد الاجماع على أن من أحل الحرام فقد كفر ومن حرم الحلال فقد كفر، ويقول ابن تيمية : من أحل النظر فقد كفر بالإجماع ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع) (2).

فهل يفتي عالم من علماء الإسلام أن الذي يفعل هذا يبقى في حظيرة الإسلام لحظة؟ إن هذا وأمثاله قد خلعوا ربة الإسلام من أعناقهم. ثم بعد هذا الجهاد المشرف والمجد الأمثل والعز الأصيل-الذي قدم له من التضحيات ما ناءت به كواهل الشعب الأفغاني-أقول : أبعد هذا نعود إلى النقطة التي بدأنا منها؟

أبعد أن جرت الدماء أنهارا ودموع الأرامل واليتامي والتكالي جداول يحرم الشعب المسلم من التقيؤ في ظلال هذا الدين؟ كل هذا الجهاد الذي خلف وراءه قرابة مليون يتيم مع ثلاثمائة ألف أرملة وقرابة مليوني جريح ومعوق ومشوه، أبعد هذا نرجع إلى الطاغوت ظاهر شاه؟

وهل استشهد د.عمر وحبيب الرحمن ونصرت يار وعطيش من أجل إرجاع ظاهر شاه وأشباهه إلى الحكم. إن دموع أم البحري (سعد الرشود) وعبد الوهاب الغامدي وأبي عثمان وماهر شلبك وسبع الليل وأبي حفص وأبي دجانة والديلمي لم تجف بعد.

هل أقبل العرب على هذا الجهاد ليعيدوا تنصيب الملك المخلوع على جماجمهم وأسلانهم أم من أجل نصره الإسلام وإقامة حكم الله في الأرض؟

لقد نص دستور الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان إن الهدف من هذا الاتحاد إقامة حكم الله في الأرض المنبتق من قوله تعالى : إن الحكم إلا لله».

وإن اشتراك أية جهة في حرمان الشعب الأفغاني المسلم من رؤية إسلامه متمثلا في نظام الحياة جريمة تاريخية وخيانة كبرى لله ولرسوله وللمؤمنين ومعرة ووصمة عار لن تسمح من جبين مرتكبيها على توالي الأيام وتعاقب الأزمان.

وختاماً نقول : إن الجهاد مستمر -إن شاء الله-حتى ترتفع رابية لا إله إلا الله خفاقة في أفغانستان

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم

(الروم الأيتان 54).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(1) البداية والنهاية لابن كثير (13/118).

(2) منار السبيل / باب حكم المرتد/ ص 405 بتصرف.

#### القاعدة الصلبة\*

[نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والأربعون - شعبان 1408 هـ، الموافق إبريل 1988م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..

فكل مبدأ من المبادئ لا بد له من طليعة تحمله، وتحمل وهي تشق طريقها إلى المجتمع تكاليف غالبية وتضحيات باهظة، وما من عقيدة من العقائد أرضية كانت أو سماوية إلا واحتاجت إلى هذه الطليعة التي تبذل في سبيل نصره عقيدتها كل ما تملك، وتحمل لأواء الطريق الصعب الطويل حتى تصل إلى أقرارها في واقع الحياة إذا كتب الله لها التمكن والظهور، وهذه الطليعة تمثل، القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول.

ومالم تجد العقيدة -ولو كانت من عند رب العالمين- هذه الطليعة المضحية التي تبذل كل ما تملك من أجل اظهار عقيدتها فإن العقيدة ستولد ميتة وتواد قبل أن ترى النور والحياة.

وشعار حامل العقيدة من أبناء هذه الطليعة لا بد أن يكون :

قل ادعوا شركاءكم ثم كيّدون فلا تنظرون ان ولي ي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين

(الأعراف الآيتان 195-196).

ما كنت أدرك أبعاد التركيز على طول فترة التربية المكينة كما أدركها الآن واضحة جلية لا لبس فيها ولا غيبش بعد أن خضت غمار الجهاد الأفغاني وللعام السابع والحمد لله، ولقد سبرت أعماق المسألة فوجدت التربية العقيدية الطويلة : هي أساس المجتمع الإسلامي وعموده، وبدونها لا يمكن أن يقوم المجتمع الرباني وإن قام فإنه سيكون هيكلا هشاً سرعان ما ينهار لهية ريح أو مرور عاصفة.

وخرجت بقاعدة أساسية لبناء المجتمع الإسلامي وهي :

إنه لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يقوم بدون حركة إسلامية تشب على نار المحنة وينضج أفرادها على حرارة الابتلاء، وهذه الحركة تمثل الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة، ويقوم جهاد طويل تمثل فيه الحركة الإسلامية دور القيادة والريادة والإمامة والإرشاد، ومن خلال الجهاد الطويل تتميز مقادير الناس وتبرز طاقاتهم وتتحدد مقاماتهم، وتتقدم قادتهم لتوجه المسيرة وتمسك بالزمام، وهؤلاء بعد طول المعاناة يمكن الله لهم في الأرض ويجعلهم ستارا لقدره وأداة لنصرة دينه. وإن حمل السلاح قبل التربية الطويلة للعصبة المؤمنة يعتبر أمرا خطيرا لأن حملة السلاح سيتحولون إلى عصابات تهدد أمن الناس وتقض عليهم مضاجعهم.

الخطوط الرئيسية لتربية العصبة المؤمنة والطليعة الرائدة :

- 1- لا بد أن تشب في أتون المحن وأمواج البلاء.
- 2- أن تكون القيادة المربية تشاركها مسيرة الابتلاء والعرق والدماء، فلا بد أن تكون القيادة هي المحضن الدافئ الذي تنمو تحت أجنحته هذه الأفراخ ولا بد من طول مدة الحضانة والتربية.
- 3- ولا بد لهذه الطليعة أن تترفع عن منافع الدنيا الرخيص ويكون لها طابع متفرد من حيث الزهد والتقشف.
- 4- وكذلك يجب أن تكون ممثلة باليقين الراسخ بالعقيدة مع الأمل العريض الذي يملأ جوانحها بانتصارها.
- 5- ولا بد من الإصرار والعزيمة على مواصلة السير مهما طال الأمد.
- 6- وزاد الطريق من أهم ضرورات المسيرة وهو النوافل والصبر والصلاة.
- 7- الولاء والبراء.
- 8- لا بد أن تدرك المخططات العالمية ضد الإسلام.

وهناك أسباب رئيسية لهذه التربية الطويلة :

- 10- لأن طول التضحية وفداحة التكاليف مع طول الزمن يؤدي إلى الملل واليأس إلا إذا كانت هذه التربية العميقة هي صمام الأمن لهذه المسيرة.
  - 2- لأن الاعراءات والمساومات على الطريق مستمرة ولكنها كلما اقتربت من النصر تزداد العروض ومحاولات الاحتواء فلا بد أن تكون القيادة عناصر غير قابلة للذوبان.
  - 3- لأن هذه القيادة إذا مكن الله لها في الأرض هي التي ستوضع بين أيديها الكنوز وهي التي ستشرف على حماية أموال الشعب المسلم وأعراضه ودمائه.
- فما لم تكن أمانة فويل للأمة من قيادتها.

التربية النبوية للجيل الأول :

ولقد كانت العناصر الثمانية الأنفة الذكر بارزة من خلال التربية النبوية للجيل الأول ولذا فعندما ارتدت الجزيرة بأسرها قامت القاعدة الصلبة وارجعتها إلى الإسلام.

(1) أما عنصر المحنة الذي لا ينفك عن أية دعوة

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين

(الأنعام الآية: 34) .

وقوله عز وجل ولا مبدل لكلمات الله ; أي أنها سنة ماضية من نواميس الله التي لا تتخلف في الحياة.

وقد سئل الشافعي رحمه الله : (أيهما أفضل : ي م ك ن للرجل أم ي بتلى؟ قال : لن يمكن له حتى يبتلى)(1)

وحديث خباب بن الأرت في البخاري وغيره :

(أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يتوسد بردة في ظلال الكعبة فقلت يارسول الله ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا فقدع وهو محمر وجهه فقال : كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق بأتنين ما يصدده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم وعصب ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون") (2)

والمحنة تصقل الأرواح وتصفي النفوس وتطهر القلوب من أدرانها وأوسارها وهذا الذي بينه الحديث الصحيح :  
(إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها)(3).  
والمحنة كلما اشتدت كلما اقترب النصر (واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)(4)  
وإن طول معاناة الشعب الأفغاني عبر الجهاد الطويل قد صقل عناصره، وأنضج جنوده، وزاد في صلابته قاداته.

وفي الصحيح (5)

(أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل يبئلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة).

(2) أما مشاركة القائد للجند في المسيرة ومعاناته كما يعانون فهذا يزيد في محبة القائد في قلوب الجند ولذا ترى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ينتقل مع أصحابه من دار الأرقم إلى حصار الشعب ثلاث سنوات بالجوع، إلى الطائف ثم إلى المدينة المنورة فيدر وأحد والخندق.. إلى أن مك ن الله له وللعصبة المؤمنة في الأرض.

ولذا فإننا نجد أن المجاهدين الأفغان يفدون قاندهم الذي يعيش بينهم بالنفس والنفيس.

(3) أما الزهد في الدنيا : فهو ناشيء عن وضع الدنيا في نصابها الحقيقي : وضاليتها بجانب الآخرة (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحكمك إلى اليم فأدخل اصبعه فيه فما خرج فيه فهو الدنيا)

حديث صحيح(6)

(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)(7).

وحقارة الدنيا ينشأ عنها الزهد :

(ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس)

صحيح(8)

والزهد في الدنيا ينشأ عنه الاستغناء عن الناس والعزة والاستعلاء.

ففي الصحيح(9)

(واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغنائه عن الناس).

وقد كان -صلى الله عليه وسلم- يوصي كثيرا بالاستغناء عن الناس، ففي الصحيح (10) (استغنوا عن الناس ولو بشووص السواك) أي لو أكلتم قنات السواك فلا تسألوا الناس.

ولذا فقد أخذ -صلى الله عليه وسلم- العهد على بعض الصحابة أن لا يسألوا الناس شيئا فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على جواده فلا يطلب من الناس أن يناولوه إياه (11)

والزهد هو القاعدة الأساسية للجهاد، والترفع أعظم واهية تحل بالأمة وتقسد أبنائها وتتخر في كيانها، والتخفف من الدنيا وقلة ذات اليد من الحوافز الأساسية للجهاد ولذا فإننا نجد أن أتباع الأنبياء معظمهم من الفقراء.

وما أذل أعناق الرجال مثل الكماليات والتوسع في الدنيا ولذا يبقى المرء خائفا على راتبه ووظيفته ومتاعه، وكلما ازداد راتب الموظف ازداد تكاليه على الوظيفة وخوفه من أهل الدنيا.

ولذا رأينا أن الزهد كان طابعا مقصودا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولصحبه الكرام رضي الله عنهم رغم أن الدنيا بين أيديهم

(ماشع آل محمد من خبز الشعير يومين)

صحيح (12)

(4) زاد الطريق فهو : القرآن ، والذكر ، وقيام الليل ، وصدقة السر ، وصوم النافلة ، وصحبة الصالحين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد وهو قمة هذا الزاد وذروته.

ولابد من النوافل حتى تقوى أوامر الصلة بين العبد وربيه، والنوافل هي أساس التوفيق والفتور في العبادة علامة الخذلان،

(وما يزال عيدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه...)(13)

والنوافل زاد الجهاد وروحه وحياته.

(5) الولاء والبراء : ومن أهم الأركان الأساسية في حياة الأمم وجود النماذج التي لا تباع ولا تشتري، وقد فخر "غاندي الهنديوسي" وهو يقدم "نهرو" للشعب الهندي قائلا (أقدم لكم رجلا لا يشترى).

وكم من رجل باع وطنه ودينه وشعبه من أجل متاع رخيص : كما فعل مصطفى كمال أتاتورك الذي اتفق مع الإنجليز وسمح لهم بضرب الجيوش التركية الأربعة في فلسطين، وأسقط الخلافة وحارب الإسلام من أجل كرسي أو رئاسة.

وكم من الكماليين في أمتنا باعوا بلقمة غذاء أو كلمة ثناء أو كأس أو غانية.

وانطماس مفهوم الولاء والبراء في أذهان الكثيرين أودى بهم وبمن معهم في جحيم الهاوية.

ففي أفغانستان مثلا : تجد بعض المسلمين قد التقوا في بداية الجهاد حول الشخصيات البارزة الذين كانوا أيام الملك في مجلس الأمة ممن يسمون (أرباب ووكيل) وتجد هؤلاء في لحظة من لحظات الضعف يعلنون أن حكومة كابل مسلمة وينضمون بمن معهم للحكومة ويتركون الجهاد.

أهمية القاعدة الصلبة في الجهاد الأفغاني :

وقد أدركنا الآن أهمية هذه القاعدة التي تربت على الإسلام منذ نعومة أظفارها في الدعوة الإسلامية،

تلفتنا حولنا ونحن نرى تنكر العالم كله لهذا الجهاد، والمؤامرات العالمية التي تريد قطف ثماره وإطفاء أنواره، ونرى كذلك التكاليف العالمية لتحجيم هذا الجهاد ولتنحية قياداته الحقيقية عن مواصلة الأخذ بزمام هذا الشعب المسلم.

تلفتنا فما وجدنا إلا أبناء الدعوة وأبناء القاعدة الصلبة الذين وقفوا في وجه العالم كله قائلين : لا ، نحن هنا.

وعندما كشر أعداء الله عن أنيابهم وتراجع الأصدقاء عن مساندتهم أو وقفوا موقف المتفرج هنا نهض قادة الجهاد الأفاضل سي اف وحكمت بار ورباني وخالص وقالوا : حسينا الله ونعم الوكيل.

انتفض هؤلاء الأربعة : يميظون اللثام عن مؤامرة اللثام وقالوا : إن ربنا أقوى من كل قوى الأرض :

وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان علما قديرا

(فاطر - الآية 44).

رأينا في كل تجارب الشعوب الإسلامية : أن ثمرات الجهاد غالبا يقطفها صنائع الغرب وربائب أمريكا والعلمانيون في أفغانستان سابقا وفي الجزائر وتونس ومصر.

والآن تحاول أمريكا أن تختلس ثمرات هذا الجهاد العظيم وتحول دون تحكيم كتاب الله، وواجهت القاعدة الصلبة : ضغوطا دولية واغراءات عالمية ولكنهم أبوا أن يحنوا رؤوسهم للعاصفة وقرروا مواصلة المسيرة المضنية على طريق العرق والدموع والدماء.

واجب العالم الإسلامي :

وأما أبناء العالم الإسلامي ففرض عليهم أن يقفوا الوقفة الصلبة بجانب هذه القاعدة الصلبة، بالمال والنفوس والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (الأنفال الآية 73) .  
والقرار الأخير : مواصلة الجهاد مهما طال الطريق حتى آخر نفس يجري وآخر عرق ينبض أو نرى دولة الإسلام قائمة. وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

- (1) زاد المعاد / ج2/ ص -45.
- (2) رواه البخاري 7/126 وهو عند النسائي وأبي داود.
- (3) أخرجه الحاكم ( 1 -248 ) وقال عنه صحيح الإسناد والبخاري في مسنده ( 756 ) . وابن أبي الدنيا ( 68 -1 )، وابن عساكر (2-427-9) . وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1714).
- (4) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ (يا غلام إني أعلمك كلمات...) وليس فيه هذه الزيادة، وهي في مسند الإمام أحمد برقم (2804).
- (5) الترمذي (2 -64) وابن ماجه (4023) والدارمي (2 -320)، والطحاوي (3 -61) وابن حبان (699) والحاكم (1 -40-41) وعند أحمد (1 -172)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (143).
- (6) الحديث عن المستورد الفهري . شرح النووي / ج7/ ص -92 بلفظ قريب.
- (7) رواه الترمذي في الزهد برقم (2320).
- (8) رواه ابن ماجه في الزهد برقم (4120)، وأخرجه الطبراني والحاكم.
- (9) رواه الحاكم في المستدرک والبيهقي عن سهل بن سعد وهو في صحيح الجامع برقم (73).
- (10) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وهو في صحيح الجامع برقم (948)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (1450).
- (11) إشارة إلى حديث طويل عن عون بن مالك .  
شرح النووي / ج7/ كتاب الزكاة / ص 32  
(21) الحديث في الصحيحين.
- فتح الباري / ج 11/ باب (17) برقم (6454) بلفظ قريب.
- شرح النووي / ج12/ ص 106، بلفظ (ما شبع آل محمد -صلى الله عليه وسلم- من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-).
- (31) الحديث عن أبي هريرة.
- فتح الباري / ج11/ باب (38) برقم (6502).

حلوى رمضان

أم طبق فلسطين وأفغانستان\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثاني والأربعون- رمضان 1408هـ، مايو 1988م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد :

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

(إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة) (1)

وفي الصحيحين: (2)

(من قام رمضان وصامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .  
فنحن في هذه الأيام نتقيا ظلال هذا الشهر الكريم الذي جعله الله -عز وجل مطهرة السنة كلها من أضرار النفس وذنوبها وأدرانها وعيوبها، شهر يتسابق فيه المتسابقون على الخيرات، وهو كذلك شهر الجهاد، تفرغ فيه ذكرياته أطراف بدر والفتح وتتزاحم في ذهن صور عين جالوت وغيرها التي وقعت في أيامه المباركة.

وبين الصيام والجهاد علائق وصلات، فرمضان شهر الصبر والجهاد، عبادة الصبر

( يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

(آل عمران: 200)

وخلف فم الصائم أصيب عند الله من رائحة المسك، ودم الشهيد أطيب يوم القيامة من ريح المسك.

ورمضان شهر البذل، وفي الجهاد بذل الروح والدم والمال والنفس، ورمضان شهر الذكر والقرآن وأرض الرباط والجهاد أرض الذكر والقرآن والصيام دليل الإخلاص والتجرد، والجهاد سبيل الصفاء والنقاء، والصدق.

مآدب رمضان:

أقبل رمضان بمآدبه الفاخرة التي تنبأها بما يزخر فوقها من ألوان الطعام، وتتنافس بما تزدان به أطرافها من شتى ألوان الحلوى التي لا تكاد اليد تتناول من كل طبق لقمة ولا يستطيع الفم أن يتناول من كؤوسها -ولكثر تهاشفاً-

أقابل بين هذا وبين تلك الأسود الرابضة على تلال الجبال، وذرى التلال قلب هذه الأمة النابض، وشریان حياتها، ولحنها العذب الذي سارت به الركبان وهم يرددون:

حق الجهاد فليس عنه خيار و غدت مراحل مالهن قرار

خيل المنيا أسرجت فتأهبي حطين إن رحاك سوف تدار

هؤلاء درع الأمة الحصين، لا يجدون في سحورهم سوى الشاي المر والخبز الجاف وكذلك الافطار غالبا لا يختلف عن السحور ولا يكاد متسحر يأمل أن يفطر في غروب اليوم التالي لأنه يعيش بين فكي الموت.

ويد المنون رحي تدور كأنما سكرت بشلال الدماء فلا تعي  
وهناك في فلسطين فوق النار وفي أرض بيتا تصطرع الضراغم مع الرشاش والرصاص في غزة والخليل.  
أشباح جن تلك أم هي نعمة نزلت لسحق الغاصب المتمنع  
هؤلاء وهؤلاء فوق ذرى الهندوكوش وفي رحاب الأقصى، في فلسطين وأفغانستان يحركون أهم القضايا التي تستحوذ على اهتمام  
المسلمين وتسترعي انتباههم وتشد أنظارهم وتلتقط أنفاسهم، بفضل الله ومشينته.  
وهم بحاجة إلى رمضان المسلمين لتعد فيه البرامج التي تعدهم طيلة عامهم، إن أصحاب المآدب والموائد في هذا الشهر الكريم بحاجة  
إلى:

أن يفترضوا أنه نزل بساحتهم ضيف من مجاهدي كابل في رمضان فأعدوا له طبقا من الرز وصحنا من الحلوى.  
وأن يتذكروا هذه الجموع الغفيرة من الأيتام التي يصعب على مخيلتي أن تنساها وهي تحمل الأواني -قرب أماكن القمامة- تنتظر الناس  
أن يفرغوا بهذه الأواني بعض فتاتهم وبقايا طعامهم وكلما أقبل إنسان ببقية طعامه انقضوا عليه يرحونه والدموع تغمر وجوههم أن  
يسقط فتات الخبز في صحنهم بدل إلقائها في القمامة.  
- أن يخصصوا مالا يقل عن نصف زكاة أموالهم لهؤلاء الجياع الذين يحمون الأمة الإسلامية بجماعهم ويخطون تاريخها بنجيحهم، وقد  
أفتى بوجوب الزكاة إلى المجاهدين جمهرة علماء الأمة وصفوتها وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز بأنها أفضل القربات  
وأعظم الصدقات.

وقد سئلت أيجوز دفع الزكاة للمجاهدين الأفغان؟ فأجبت بأن الآية الكريمة تقول:  
(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل)  
(التوبة: الآية 60)

فكل من توفرت فيه صفة من هذه الفئات الثمانية استحق الزكاة، ونكاد نقول: إن كل مجاهد أفغاني فقير ومسكين وغارم ومجاهد -في  
سبيل الله - وابن سبيل فخم من الصفات الثمانية تتوفر في المجاهد الأفغاني.  
وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية (لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع) (3)  
فالجوع في الأمة الإسلامية منتشر ولكن الجهاد مع الجوع قليل فيجب الاهتمام به والتركيز عليه.  
- أن تجمع صدقات الفطر ثم ترسل أموالا ليشتري بها الرز أو الطحين للمجاهدين.  
- أن يتبرع المسلم بجزء من ماله زيادة عن الزكاة. قال القرطبي (اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه  
يجب صرف المال إليها) (4)  
- إن يكفل أسرة شهيد ويجهز غازيا .  
- الدعاء: وهذا أهمها في الوقت الذي تكالبت فيه قوى الأرض جميعا على هذا الجهاد تريد أن تطفئ نوره وتخد ناره، في هذا الوقت  
الذي وقف فيه المجاهدون وحدهم دون أهل الدنيا وكشر العدو عن نابه ونزع المدارون لثامهم، ووجم الأصحاب وجوم أهل القبور  
وصمت الأحياء صمت الأموات.

اذلال الله لروسيا:

نعم لقد أذل الله روسيا وأعلنت انسحابها مهينة ذليلة ولكنها اشترطت أن لا تمتد يد بالمساعدة إلى هؤلاء الأبطال.  
هنا وقد أغلقت أبواب الأرض أو كادت فأبواب السماء مفتوحة تنتظر  
(من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟) (5)  
فلا بد من تخصيص المجاهدين في أفغانستان والصامدين في فلسطين بالدعاء وخاصة في أوقات الاستجابة:  
- عند الإفطار.

- عند السحر حيث ينزل ربنا -عز وجل- إلى السماء الدنيا.

- في القنوت -سواء في قنوت الوتر أو قنوت الفجر -

- أثناء الصيام في النهار.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

- 1 - أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم ورجاله ثقات وله شاهد عند احمد والنسائي يتقوى به.
- 2 - الحديث ورد بعدة روايات في الصحيحين: فتح الباري / ج 4 / الباب الأول برقم (1901) (2009) (2014)
- 3 - الفتاوى الكبرى (4/607)
- 4 - تفسير القرطبي/ ج 2 / ص 242
- 5 - فتح الباري / ج 2 / ص 242 وعند الترمذي (446) وابن ماجه (1366) وأحمد (2- 264) وأبو داود (1315) .  
عيد الإسلام  
وعيد المسلمين\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثالث والأربعون- شوال 1408هـ، الموافق يونيو 1988م].

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت ليالي رمضان الجميلة وتشفت الأذان بسماع القرآن الندي الشجي من أفواه المقرئين وسمعت النفوس بتلك الساعات الثمينة  
التي يقضونها قائمين يستعذبون بها حلاوة القرآن غضا طريا ، وبدأت منازل القمر تتراجع ونوره يخفت ويخبو، وطفق هذا الضيف  
الكريم يلم أنياله ويحزم أمعته ليودع وإلى رحلته السنوية. والكل يرنو إليه ودموع الفراق الحار تترقق بين موقيه وتتحد هائلة على  
سأليه.

وهناك في قمم الجبال وبين الوهاد والنجاد والأدغال رمضان آخر غير رمضان المسلمين اليوم. هنالك لثبات (فئات) من الضراغم  
والسرايا من ذوي العمائم ممن يخطون تاريخ هذا الدين بالدماء ويكتبون على صفحات القلوب أروع معاني التضحية والفخار ببطرونها  
بأحرف من نور ويمسحون عن جبين هذه الأمة وصمات الخزي والعار التي تركتها عليها الخلوف التي أضاعت الصلوات واتبعت  
الشهوات.

هذه ليالي رمضان يتمنون أن يلتقطوا فيها أنفاسهم ويأووا فيها إلى إمامهم يرتل في لياليه أعذب الألحان ويردد هذا الكلام الرباني الخالد،  
ولكن هيهات هيهات، إن الأيام عصيبة والساعات حاسمة ولا بد أن يقضوا مضاجع عدو الله وقد بدأ يودع أرض أفغانستان وداعا غير  
وامق، لابد أن يطاردوا فلوله ويشنتوا جمعه.

فلا ساعة للانتظار ولا وقت للذة، أيام لها ما بعدها في تاريخ هذه الأمة المسلمة وفي مسيرة هذا الدين.

وجبة واحدة:

نعم إنهم يأكلون كما حدثني أبو حمزة وهو يحدث أثر عودته من قندهار بعد سلسلة من الانتصارات الباهرة، قائلا : كنا نأكل وجبة واحدة في اليوم ونشرب الطين المائي الممتن الذي نتسابق عليه مع الغنم حتى نبذل صدانا ونروي ظمأنا.

كانوا ينتقلون من فتح إلى فتح ومن مركز إلى مركز كأنهم أشباح تنزلت من السماء.

لا أبعد الله عن عيني غطارفة أنسا إذا نزلوا جنا إذا ركبوا

ليوث غاب لكن لانيوب لهم إلا الأسنة والهندية القضب

وفي بعض المناطق لم يستطيعوا أن يوفرُوا الخبز فراخوا يبحثون عن الددم (ثمرة صغيرة برية) يسكتون آلام السغوب التي تأكل أعماقهم وتتلوى منها بطونهم.

آلام وآلام:

مسلمون تتلوى بطونهم تخمة لعسر الهضم وتلبد أنواع اللحوم والدهون في بطونهم ومسلمون يصابون بالقرحة المعديّة لأنهم لا يجدون الخبز ولا الرز ولا زالت صورة الشفاء ماثلة في المخيلة تلك التي تصلبت وأسودت لكثرة أكل العشب وكأنها شفاء الغنم وبدا لون العشب الأخضر بارزا على وجوههم وعلى عروقهم.

وكانوا يأكلون العشب علما بأن سواه لن يجدوا طعاما

وهناك في الربوع المباركة هي الانتفاضة الجهادية حيث أغلقت الحوانيت وقطع المسلمون جميع الأواصر مع هذه الحياة لاترى في الشارع سوى الذين يهجمون على الموت أمام المدرعات والرشاشات لا يحملون سوى الحجارة.

أصلاح هذا من وراء الغيب جـاء؟

ليعيد حطين الكرامة والبطولة والشفاء

أم من أرى قطز وبيبرس الكتيبة واللواء

في عين جالوت العزيمة والرجولة والدماء

لا يا فتى الشعراء.. لا قطز هناك ولا صلاح

وما تراه اليوم لم يك بالسيوف ولا الرماح

لكنما ثارت محاريب المساجد في فلسطين الذبيحة

فرمت بأفلاذ الكبود الخضر في القدس الجريحة

أبناء عشر بالأيادي اللدن هبوا يزأرون ويثأرون

يتمردون على الحديد وينفضون لظى القيود

وبالحجارة يهضون .. وبالعصى ينقذون ..

وتتوالى ملاحم البطولة هنا وهناك، واختفت معالم الترف والتميع وتكاتفت الأيدي، والتقت القلوب والكل يدفع حتى بفلات كبدته يحملهم زجاجة المولوتوف ليرميها على سيارة مدججة بالسلاح ليحرقها ويلقى مصرعه أمامها.

والكل ينتظر الخبز وقد غابت عن الحياة كل وسائل الحياة.

ومضى رمضان وبدأ الناس يستعدون للعيد: واكتظت صالات مكاتب الطيران. ولم تعد تسمع على سماعة الهاتف سوى الحجز والتذاكر وبدأت إجازة العيد وحجزت كل أسرة لكامل أفرادها شقة جميلة على ضفاف التاييمز، أو في لوزان أو على شواطئ أو نتاريو أو فلوريدا. هناك حيث تبدد الأموال، وهنا حيث يخوض الأبطال غمار الأهوال بين الشهب المنفضة من فوقهم ويمشون فوق أرض الزلازل والبراكين المتفجرة بين أيديهم وأرجلهم.

والمسلمون في عيد المسلمين:

مشغولون ببطير العيد وعجين التمر الذي يصنع منه حلوى الفطر، وفي عيد الاسلام: الأيدي مشغولة بمعجون الجلكنيت والسيفور و T.N.T تصنع منها عبوات لتفuzz على أعداء الله منامهم وتدمر فوق رؤوسهم بنيانهم أو تخسف الأرض من تحت أقدامهم.

وفي عيد المسلمين:

كل شاب أو شيخ يلهث وراء اللباس الأنيق الذي سيرتديه في الأيام الأولى من شوال، ولا بد أن يكون لون البياقة مناسبة للبدلة والحذاء والجوارب بل لا بد أن يتوافق مع لون السيارة، وفراش البيت لا بد له من تجديد إذ أن الأثاث القديم لم يعد متناسقا مع لون الستائر والسجاد ودهان العمارة الجديدة لا يتناسب مع هذا كله.

وفي عيد الإسلام الآن:

وعلى الحدود الباكستانية الأفغانية ترى الجموع المكتظة من جند الله -عزوجل- كل يرتب أمتعته ويبحث عن أصحاب الخيول والبغال والعرق بجهده، عن أجرة الأمتعة والأثقال والذخائر التي جمعها في أرض القبائل ويشغل لبه ويحيى فكره أجرة هذه البغال التي كادت تفوق تذاكر الطيران، فأجرة البغل قد تصل إلى ثلاثمائة دولار وهذا مبلغ ضخم في حياة المجاهد إذ يكاد خياله يقصر أن يدرك الطريق الذي يمكن أن يوفر به هذا المبلغ.

ثمن خبز الطريق:

وعلم الله أن ثمن الخبز في الطريق أصبح من العقبات الكؤود التي تعترض هذه المسيرة المباركة، وليس في المقاهي على طول الطريق الدامي الشاق المعلق بين السماء والأرض والممتد قرابة شهر ونصف سوى الخبز والشاي ومع هذا فأين ثمن الشاي؟

طريق محفوف بالمخاطر. مفروش بالأشواك. وهو بين سرب طيران يبصره فيلاحق القافلة على طول الجادة اللاحية يتناولها بصواريخه التي تصل طنا كاملا، وتزداد الأهوال في مسيرة الصحراء عبر هلمند وقندهار وأورزجان ونيمروز فلاش عب ولاجلبل ولا شجر ولا حجر.

قافلة "م و ح د":

ولقد كانت قافلة الشهيد "م و ح د" (قائد بروان) شاهدا حيا يقرب إلى الأذهان أهوال يوم الحشر الأكبر إذ بقيت الطائرات تتابعه حتى لم ينج من قافلة عدادها مائتا جمل سوى واحد!.

وهناك مئات الألوف من الأيتام ينتظرون حتى ليلة العيد ويومه من يسمح على رؤوسهم بدل أيدي آبائهم الشهداء الذين قضوا نحبتهم وهم يصبغون مجد الأمة بالدماء.

وهناك مئات الألوف من الأرامل تنتظر ليلة العيد صدقة الفطر حيث حدثني أحد الأخوة أننا في العام الماضي كنا ندخل بحفقات الرز (صدقة الفطر) على الخيام فيكون فرحا ليلة عيد الفطر.

وهناك مئات الألوف من المجاهدين ينتظرون ليلة عيد الفطر الحذاء والكساء والغطاء والدواء وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي تنكرت فيه الدنيا بأسرها لهذا الجهاد المبارك وكشرت فيه عن أنيابها. وأجل الصديق وiban العدو.

وهناك الآلاف المؤلفة التي ترصد لليلة العيد هديتها الثمينة بأن تحيل الدنيا جحيما فوق رؤوس الروس وتحت أقدام الشيوعيين.

فهل ت حول أموال عيد المسلمين لتصب في بوتقة عيد الإسلام؟ وهل توفر لعب الغلمان لنصنع بها روائع الزمان التي نتحدث بها الركبان ...

ألا ليت قومي يعلمون!.

قوائم

محمد بن مسلمة\*

[\*نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والأربعون- ذو القعدة 1408هـ، الموافق 1988م].  
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

ويعد:

فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:  
(بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رهطا من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم قال: فدخلت مربط دواب لهم قال: وأغلقوا باب الحصن ثم أنهم فقدوا حمارا لهم فخرجوا يطلبونه فخرجت فيمن خرج أريهم أنني أطلبه معهم فوجدوا الحمار فدخلوا ودخلت وأغلقوا باب الحصن ليلا فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن ثم دخلت عليه فقلت: يا أبا رافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فضربته فصاح فخرجت ثم رجعت كأني مغيب فقلت يا أبا رافع وغيرت صوتي فقال: مالك لأمك الويل قلت: ما شأنك؟ قال: لا أدري من دخل علي فضربني قال: فوضعت سيفي على بطنه ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم ثم خرجت وأنا دهش فأتيت سلما لهم لأنزل فيه فوقع فتوثنت رجلي فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية فما برحت حتى سمعت ناعيا أبي رافع تاجر أهل الحجاز، قال: فقمتم وما بي قلبة مد حتى أتينا النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه (1)

وفي الرواية الأخرى أن الذي دخل عليه هو عبدالله بن عتيك. وكان أبو رافع يعادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويؤلب عليه الناس.

قال ابن حجر في الفتح (2): وفيه جواز التجسس على المشركين وطلب غرتهم وجواز اغتيال ذوي الأذية البالغة منهم.

مصرع كعب بن الأشرف:

روى الإمام مسلم في صحيحه (3) قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:  
(من لكعب بن الأشرف فإنه أذى الله ورسوله؟ فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله، قال: نعم، قال: ائذن لي فلأقل -أي شئنا عنك- قال: قل، فاتاه، فقال له وذكر ما بينهما وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عانا -أتعبنا- فلما سمعه قال: وأيضا والله لتلمن -ه- لتسامنه- قال: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شئ يصير أمره قال: وقد أردت أن تسلفني سلفا قال: فما ترهنني؟ قال: ما تريد؟ قال: ترهنني نسائك قال: أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنون أولادكم قال: ينسب ابن أحدنا فيقال: رهن في وسقين -كيلين- من تمر ولكن نرهنك الأمة (يعني السلاح) قال: فنعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عيس بن جبر وعباد بن بشر. قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت امرأته: إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال: إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنك منه فدونكم قال: فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا: نجد منك ريح الطيب قال: نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب قال: فتأذن لي أن أشم منه قال: نعم فشم فتناول ثم قال: أتأذن لي أن أعود قال: فاستمكن من رأسه ثم قال: دونكم فاقتلوه).

هذان نسان واضحان قاطعان في دلالتهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أزال من طريق الدعوة رأسين من رؤوس الكفر بالقوة اغتيالاً، وذلك لأن الصارم لابد من استعماله لإماطة الرؤوس المدبرة والعقول المفكرة التي لا تكف عن نصب الاحابيل ووضع العراقيل أمام هذا الدين وكعب بن الأشرف وأبو رافع من زعماء اليهود ومن أئمة الكفر لديهم، وإذا أضفت إليهما قوله عز وجل:  
(واقعدوا لهم كل مرصد)

(التوبة: 5)

قال أبو بكر بن العربي في أحكامه (4) (قال علماؤنا: هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة قبل الإنذار-.

وقال عند آية:

(... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ... )

(البقرة: 194)

قال علماؤنا: هذا دليل على أن لك أن تبيح دم من أباح دمك، وتحل مال من استحل مالك.

وقد أجمع العلماء: على جواز الدفاع المشروع ودفع الصائل على الأعراض والدماء والأموال.

فأما الدفاع عن العرض: فهو فرض (واجب) بإجماع العلماء فمن أراد أن ينتهك العرض فلا بد من دفعه بالزجر ثم باليد ثم بالعصا فإن لم يكن بد من استعمال السلاح فلا بد من استعماله وقتل الصائل ولو كان قائما صائما.

وأما الدفاع عن النفس والمال: فهو واجب عند جمهور العلماء، وأما جوازه فقد انعقد الإجماع عليه ولو كان استعمال هذا الدفاع ضد خيار المسلمين المختبئين الخاشعين.

ولنرجع إلى الحكم الشرعي لاغتيال رؤوس الكفر التي لا تكف لحظة عن التدبير ضد هذا الدين محاولة منهم لاطفاء نور الله بأفواههم، وهذا أمر تقتضيه الضرورة، إذا أن هذا الدين جاء لتخليص البشرية من نير العبودية ولانقاذهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولا

يمكن أن تخلص الطريق إلى الله من طواغيت يستعبدون الناس لأنفسهم من دون الله ويقفون أمام هذا النور المبين لتبقى الجماهير تتصور في دياجير الظلام، ليس لهم من هم سوى ارواء الشهوات واشباع النزوات. وكما قال زويمر -زعيم المبشرين المنصرين: (لقد أنشأنا جيلا همه الشهوات، ويعيش من أجل الشهوات وفي سبيل الشهوات يوجد بأعلى ما يملك)

لا بد من إزالة العوائق التي تعترض سبيل هذا الدين القويم، ولابد من تحطيم العقبات التي تحول دون وصول النور إلى الناس وهؤلاء الطواغيت الذين يقول فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له) (5) وإزالة أئمة الكفر وقادة الفتن حق طبيعي، وحكم شرعي رباني، وضرورة منطقية عقلية. ولذلك فعندما قال أحد الجالسين في حضرة معاوية رضي الله عنه وبوجود محمد بن مسلمة -قاتل كعب بن الأشرف- والله ما قتل كعب إلا غدرا فغضب محمد بن مسلمة وقال لمعاوية (6): أيقال هذا في مجلسك وتسكت والله لا أجالسك . . ولئن خلوت به لأقتلنه. وقد اعتبر محمد بن مسلمة دم هذا المسلم هدرا لأن قوله يشي وينم أن حكم اغتياله لكعب بن الأشرف إنما هو غدر لا يليق بطبيعة هذا الدين. وهذا مساس بمقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي سن هذه الشرعة وأمر بهذه السنة. وهذا يعني نسبة الغدر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو أمر لا يختلف عليه اثنان أنه خروج من الملة بوجوب القتل ويهدر الدم.

ضابط:

ولا بد من العلم أن هذا الأمر -اغتيال أئمة الكفر- راجع إلى العلماء الذين يقودون مسيرة الجماهير المتجهة إلى الله وليس راجعا لاجتهاد فردي. بل مصلحة الجماعة التي يقدرها القائد ويحددها العالم المسؤول ببيان حكم الشرع وتوضيح الحكمة من هذا الأمر.

سنة مهمة:

ولقد سبب إهمال هذا الحكم الشرعي -اغتيال قادة الكفر- من الظلم الكبير والشر المستطير للأمة الإسلامية التي عانت الويلات ودفعت الضرائب الفادحة من أراضها ودمائها وأموالها ما لا يعلمه إلا الله. وكان تطبيق هذه السنة النبوية والشرعة الإلهية: بين الحين والآخر - من ق بل أفراد يغامرون بأرواحهم ويخاطرون بأنفسهم وأموالهم تخليصا للأمة بكاملها من حياة السوانم إلى حياة الإنسان، وانتشالا لها من مستنقع الطين ووحل الجنس إلى قمة سامقة مضيئة يستروح فيها الناس نسمات الحرية والعزة.

فإن تفق الأنام وأنت منهم  
فإن المسك بعض دم الغزال  
فلسطين الحلبى قتل "كليب" فخلص الناس من جيش عرمرم من الفرنسيين  
إن نفسا ترتضى الإسلام ديناً ثم ترضى بعده أن تستكيناً  
أو ترى الإسلام في الأرض مهينا ثم تهوى العيش، نفس لن تكون  
في عداد المسلمين العظماء  
وشاب متحمس خلس لبنان من غطرسه "المارينز" وجبروت ذوي الوجوه الحمر.

إحياء هذه السنة:

ولقد جاء الشعب المسلم الأفغاني ليحيي هذه السنة بنماذج لسان حال أحدهم يقول:  
وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظماء  
فقتل زعيم الماليشيا (شير أغا وتوران غلام رسول) وحاجي سلطان محمد في بغلان ودليلي من غزني، واختطاف السناتور عبد الرزاق من قندهار، واختطاف زرغون الضابطة الشريرة على باب كابل ومن مركزها وقتلها، وقتل محافظ هرات ومستشاره بباب وزارة الداخلية في كابل... كانت عملية مذهلة في الجرأة والإقدام والشجاعة والافتحام.

قتل مولوي جل أحمد بشتون العميل:

في فارياب حيث الثلوج تكسو الأرض ولا تكاد الأصابع تضغط على الزناد لشدة البرد قال القائد علاء الدين: من لهذا الرجل الذي (آتاه الله آياته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) يسخر دين الله لخدمة الشيوعية ومحاربة المجاهدين، وانطلق ثمانية من بينهم الحاج أحمد العراقي وتسوروا على الرجل جدار بيته بعد أن تخطوا أكثر من خمسين مركزا للشيوعيين حتى وصلوا إلى بيته الواقع في وسط مركز فارياب مهيمنة. عندما دخلوا ساحة داره طلبوا المولوي -العالم- فانتفضت زوجته تدافع عنه، وتقول: أنتم من الأشرار فحاولوا أن يغيروا هويتهم ولكنها قالت: أنا أعرفكم من جماعة علاء الدين. وأقبلت على رشاش أحدهم وأخذت مخزن الذخيرة وشب أولاده وبناته من فراشهم مذعورين وساد الهرج وعلا الصراخ ولم يجد المجاهدون بدا من قتله في أسرع وقت فقتلوا رأس الفتنة "بشتون" وانسحبوا في الوقت الذي تحركت فيه الدبابات والطائرات للقبض على المجاهدين وفتحت الرشاشات من كل مكان، وصوب أحد المجاهدين مدفعه نحو دبابة وأحرقها ونجا المجاهدون وعادوا قبل الفجر وعلاء الدين قائم يصلي ويتضرع لربه أن ينقذ المجاهدين.

خلاصة:

(1) لا بد أن يقف المسلمون الموقف الذي تتطلبه عقيدة البراء والولاء، فلا يتزعزع ولا يتأرجح تجاه أعداء الله البارزين، وأقلها مقاطعة البضائع الروسية واليهودية والأمريكية لأن الأمريكان أولياء اليهود وأنصارهم ومؤيدوهم وداعموهم.  
(2) أن ترتب قوائم نسميها قوائم محمد بن مسلمة ندرج عليها سدة الكفر وأئمة الشرك من الطواغيت الذين ينازعون الله في ألوهيته وربوبيته في الأرض.

ندرج عليها أولا : كل يهودي يمد اسرائيل أو يتعاطف معها. وندرج عليها: أئمة الكفر وزبانية تعذيب البشرية من الروس والشيوعيين. وندرج عليها زعماء الأحزاب الملحدة والعلمانية التي تتبجح بالحادها ومناوئتها للإسلام، وندرج عليها: كل من يعلن وقوفه بجانب اليهود من أي الأصقاع ومن سائر البقاع.

ألا من قفى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم  
فيا خيل الله اركبي: ويا جند الله أقبلوا، ويا سيوف الله ابرقي، ويا سماء ارعدي ورددي:  
أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالبها  
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

- (1) فتح الباري (117-6)  
 (2) فتح الباري / ج 6 / باب (155) ص - 156  
 (3) الحديث في الصحيحين: فتح الباري / ج 6 / باب (158) برقم (3031) شرح النووي / ج 12 ص 161، وفي المختصر برقم (1170)  
 (4) أحكام القرآن لابن العربي (2 - 902)  
 (5) أخرجه الإمام أحمد (2 - 92/50) وأبو يعلى في مسنده / والطبراني في الكبير، وهو في صحيح الجامع برقم (2831).  
 (6) الصارم المسلول لابن تيمية / ص - 90، والذي قال العبارة هو (ابن يامين).

عقيدة

الولاء والبراء \*

[\*نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والأربعون- ذو الحجة 1409 هـ، أغسطس 1988م].  
 الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فإن أنظمة العالم الإسلامي الآن أمام خيار صعب بعد إعلان حكومة المجاهدين وتوزيع الحقايق الوزارية اثر هذا الجهاد الإسلامي المشرف الذي ما شهد التاريخ الحديث له نظيرا ، وبعد أن أنقذ هذا الجهاد الأمة المسلمة من وهنتها ورفعها من كبوتها بعد أن دفع من الجماع ما يستحق أن يبني فوقه صروح المجد، وبذل من الأشلاء والدماء ما يمكن لسفينة الإسلام أن تشرع فوقه بسلام. والآن وقد أعلنت الحكومة المجاهدة وتنتظر الاعتراف فإن اعترف بها فهذا واجب الأخوة الإيمانية وحق الوشيعة الإسلامية، وهذا أمر طبيعي ومنطقي في حق كل دولة تمتلك أرضا وتحمل الشوكة وتحمي الثغور ولها كل المقومات لأية دولة أخرى. وإن كانت الأخرى فليس بمستغرب على أنظمة تقوم قراراتها على الموازنة بين المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار، وهذه كلها إنما تنطلق من نظرة مادية قريبة وتنبثق من خلال موازين متأرجحة لا يعرف لها عيار ولا يستقر لها قرار. وليست هذه هي المرة الأولى أن تغمض الأعين دون نظام إسلامي قائم أو تهمل الأنظمة أهمالا تاما دولة قائمة على دين ومبنية على عقيدة، فهناك دولة قبرص الإسلامية التي تنتظر الاعتراف منذ عقد من الزمان. وسواء اعترفت الأنظمة بحكومة المجاهدين أم لم تعترف فالمسلمون في كل مكان ييؤونها شغاف قلوبهم ويجري حبيها مع نجيع عروقهم، وكما أن المجاهدين فرضوا احترام جهادهم على كل أنظمة الأرض، فإن دولتهم ستفرض احترامها -إن شاء الله- على كراسي المعمورة بأسرها. والحق أن الاعتراف بدولة المجاهدين الإسلامية موقف قد يكلف النظام المعترف بها تبرم كثير من الطواغيت الذين يملكون القنابل الذرية والأقمار الصناعية، بل نفور كل أعداء الله الذين يقول الله عز وجل عنهم:

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)

(البقرة: الآية 217)

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

(البقرة: الآية 120)

وأعداء الله لا يعرفون إلا مصالحهم ويعبر عن سياستهم قول وزير الخارجية البريطانيه ردا على الأستاذ سعد جمعه رحمه الله رئيس وزراء الأردن عن نكبة 67 عندما قال له سعد: نحن أصحاب حق، فقال البريطاني: (السياسة ليس فيها حق ولا باطل السياسة فيها مصالح ومنافع).

والاعتراف وغيره إنما ينبثق مما تكنه القلوب من عقيدة وما تحمله الجوانح من مبادئ وما تنطوي عليه الحنايا من قيم والتصرفات والأفعال والشعائر إنما هي انعكاسات العقائد المستكنة في أعماق الضمائر.

وهذه القضية وغيرها من التصرفات التي تعب ر عما في النفوس من المبادئ والإيمانيات لا بد أن نردها إلى هذه العقيدة التي هي ملزوم لا إله إلا الله إذ أن -لا إله إلا الله- تستلزم من لفظها النفي والتبرؤ -البراء- من كل طاغوت، والاثبات والولاء لله ولكتبه ولرسوله.

وعقيدة الولاء والبراء: هي أول مقتضيات لا إله إلا الله ومن مستلزماتها التي لا تنفك عنها.

ولا إله إلا الله (كلمة التوحيد) إذا استقرت في القلوب وتفاعلت مع الضمائر لا بد أن تتحول إلى استقرار في النفوس تقيض عليه السكينة والطمأنينة وشهادة على اللسان يلهج بها في كل مكان وأفعال على الجوارح وفق المنهاج الذي أنزله الواحد الأحد.

ويستحيل على عبد أن تستقر في مساربه نفسه عقيدة التوحيد ويبقى ساكنا جامدا ميتا لا حراك فيه.

لا بد أن تتحول هذه العقيدة إلى حرارة تجيش بها الصدور وتقيض أفعالا في عالم الظهور. وتنتج سلوكا وأخلاقا وأنظمة بمثل ماء السماء الطهور.

وهذه العقيدة...

تثمر الحب لله ولأوليائه، والبغض لأعداء الله، وتنتج الوقوف بجانب أولياء الله، والبعد والهجر لأعداء الله.

وهذه المواقف الإيمانية انعكاس طبيعي ومنطقي للحقائق الإيمانية التي تستقر في الأعماق، فكما أن القلب الحي النابض بالدم النظيف ترى معه جسدا صحيحا سليما، فكذلك القلب المريض الذي يحمل أمراضا خبيثة في طياته لا بد أن تظهر اثارها حرارة وبثرات وفروحا على الجلد.

ومن المستحيل أن تحب إنسانا ثم تكره سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وحركاته، وتكره طريقة طعامه وشرابه.

إن الذي يحب إنسانا: تراه يقلده في طريقة كلامه وسلامه وحركاته ويحب اتباعه في لباسه وطعامه وشرابه.

والحب ينتج الطاعة والبغض يورث المعصية.

إن المحب لمن يحب مطيع، قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم بهذه الآية:

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

(آل عمران: 31)

يقول ابن تيمية "إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يوالي إلا الله ولا يعادي إلا الله وإن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله ويوالي المؤمنين في أي مكان حلوا ويعادي الكافر ولو كان أقرب قريب" (1)

وقد روى الطبراني بإسناد حسن: (2)

(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله).

بل ولا إله إلا الله لا تنال إلا بالحب له والبغض له.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك).

(وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا) (3) إن محبة الله التي تستلزم محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أثمرت نماذج من التضحيات وأفذاذاً من البشر ما يحسبه الإنسان ضرباً من الخيال أو لونا من الأساطير. إنها أبرزت أمثال:

زيد بن الدثنة الذي يقول بين يدي قتله وأبو سفيان يقول له (أتحب أن محمداً مكانك) فقال: (والله لا أحب أن محمداً يشاك شوكة في قدمه وإنني جالس في أهلي)، فقال أبو سفيان (ما رأيت كحب أصحاب محمد محمداً) (4) وأظهرت: المرأة التي من بني دينار: التي قتل أبوها وأخوها وزوجها فسألت: (فما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أروني حتى أنظر إليه فأشير لها إليه حتى إذا رأيته قالت: كل مصيبة بعدك جلل) (صغيرة) (5) يقول الشيخ حمد بن عتيق: (ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم -الولاء والبراء- بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده) (6).

إن توحيد الله يقتضي أن تدخل في حربه وتناصر أوليائه، وتحب العيش معهم وتدافع عن دارهم وحرمااتهم وتجاهد في سبيل الله لحماية أعراض المسلمين ودمانهم وأموالهم.

وأن تكره الكافرين وتهجر دارهم وتمقت العيش بينهم ففي الحديث (7): (من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله) وصح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال:

(من بنى بارض المشركين فصنع نبروزهم ومهرجاناتهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة) (8)

قال ابن تيمية: وظاهر هذا، إنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور. (9)

وأهل عقيدة التوحيد ومقتضاها من الولاء والبراء يتجمعون على وشيجة الإيمان ويلتقون على صلات العقيدة والدين يتجاوزون فيها المواقع الجغرافية والحدود الزمانية واللون والعرق والعشيرة والجنس والصناعة والحرفة، ولا يلتقون كما تلتقي الحيوانات على الخطيرة والكلا والجنس فحزبهم العقيدة:

لا يجمعهم لون جواز سفر، ولا قطعة أرض محدودة بجبل أو نهر، ولا حزب دينه اللغة، ولا جماعة كل رابطتها أنهم سود أو بيض، أو رابطتهم أنهم فلاحون أو عمال أو كادحون، ولا صلاتهم أنهم رابطة محامين أو نجارين أو حدادين ولا أنهم شام أو يمن، وهكذا مما تجتمع عليه البهائم والسوائم.

وذلك لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: (دعوا فإنها منتنة) (10)

(ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) (11)

فلا يمكن أن يدخل المؤمن الذي فهم عقيدة التوحيد تحت راية تجمع قومي منتن: كالقوميين العرب، وحزب البعث، والقوميين السوريين حتى ولو كان المخططون لهم من المتمسكين بالمغفلين، فكيف إذا كان قائد القوميين العرب: قسطنطين زريق، وجورج حبش، النصرانيين، وقائد البعث ميشيل عفلق النصراني، وزكي الأرسوزي النصيري، وقائد القوميين السوريين أنطون سعادة وجورج عبد المسيح النصرانيان؟!.

راية جاهلية وقيادة كافرة ومنهاج إلحادي علماني فأنى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينضوي تحت هذا اللواء؟

ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء النابعة من التوحيد أن يدخل الماسونية اليهودية أو يأوي إلى أوكارها وجحورها ولا أن ينضم إلى المحافل الماسونية الكاروتاري والليونز والبنى برث التي ولدتها اليهودية للنيمة الحاقدة.

ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء أن يكون جاسوساً في المخابرات المركزية الأمريكية أو الروسية أو أن يكون عينا لجهة مشبوهة تحارب الإسلام ولالطاغوت يكيد للحق وأهله ويحارب أولياء الله ويوالي الشيطان في كل مكان.

ولا يمكن لمؤمن موحد أن يوالي الحلفاء وبريطانيا ضد الخلافة العثمانية.

أما الدين الذي تنزل من لدن حكيم عليم فقد تجمع فيه المؤمنون على العقيدة على طول الزمن الممتد مع رسالات الأنبياء كلها صلوات الله وسلامه عليهم.

وغاب فيها نتن القبيلة واختفت نكرة الجنس وتوارت لوثة اللون واندثرت حمية القوم والأرض.

لقد تبرأ منها إبراهيم عليه السلام من أبيه، وانسلخ نوح عليه السلام من ابنه.

وتمردت وترفعت "أسيا بنت مزاحم" على زوجها أكبر طواغيت الأرض فرعون.

وتبرأ نوح ولوط عليهما السلام من زوجتيهما.

وفي هذا الدين ظهر عبدالله بن عبد الله بن أبي الذي قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إن أمرتني برأس أبي أتيتك به)

وفيه: محبصة بن مسعود الذي قتل كعب بن يهودا زعيم قريظة فقال له أخوه حويصة -وكان كافراً- :

(أقتلت كعب بن يهودا -حليفنا- والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنك للثمن يا محبصة. فقال له محبصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لأقتلك فبات حويصة طيلة ليلته وهو يقول: والله إن هذا لدين ثم أسلم) (12)

ومن هذا الدين سعد بن أبي وقاص الذي قال يوم أحد:

(والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصتي على قتل عتبة ابن أبي وقاص) (13)

والآن ماذا عن دولة المجاهدين؟

هل لدولة أن تقول ما قاله البراء بن معرور ليلة العقبة وهو يبيع:

(والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (السلاح) وورثناها كابراً عن كابر). .

حتى يرد على المجاهدين والأفغان كما رد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :

(بل الدم الدم والهدم الهدم الحرمه أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) (14)

أي ذمتي ودمتكم وحرمتي حرمتكم.

والتاريخ رافع قلمه ملتقط أنفاسه وينتظر الجواب.

(1) الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (62)

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (11537)، وعند الطيالسي (378). وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1728)

- (3) حلية الأولياء (312/1)
- (4) مختصر السيرة (154)
- (5) مختصر السيرة (149)
- (6) الولاء والبراء للقطاني
- (7) أخرجه أبو داود برقم (2787) بلفظ "... وسكن معه فإنه مثله". وهو في صحيح الجامع برقم (6186)
- (8) الولاء والبراء للقطاني (274)
- (9) اقتضاء الصراط المستقيم (ص 200)
- (10) مختصر صحيح مسلم للألباني برقم (1811)
- (11) شرح النووي / ج 12 / ص 238، وأبو داود برقم (5121) واللفظ له.
- (12) سيرة ابن هشام (13/3)
- (13) سيرة ابن هشام (32/3)
- (14) سيرة ابن هشام (85/2)
- \* شكر الله لأخي محمد سعيد القحطاني صاحب كتاب (الولاء والبراء) فقد أفدت منه كثيرا .

#### لغة البيض والسمر\*

[\*نشر في مجلة الجهاد - العدد السادس والأربعون - محرم 1409 هـ، الموافق أغسطس 1988م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن لغة البيض والسمر (السيوف والرمح) يفهما كل البيض والسمر، لغة يحبها الله ورسوله، وأنزل الله لها آيات بينات وأبرزها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث جليات وذلك لأن نصرة المبادئ وإعلاء القيم وإرساء قواعد العدل في الأرض تعتمد اعتمادا كبيرا على هذه اللغة.

لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز

الآية (25) الحديد.

فالحديد وهو مادة البيض والسمر أنزله رب العزة وسميت باسمه سورة من كتاب الله العزيز، وذلك لأن نصرة الله ورسوله تنكئ عليه اتكاء مباشرا وتعتمد عليه بعد التوكل على الله العزيز.

وقد فرض رب العزة في الذكر الحكيم الأعداد فقال:

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

الآية (60) الأنفال.

قال ابن عباس(1): القوة هنا السلاح والقسى، وقال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح (ألا إن القوة الرمي) مسلم (2)، وقال السدي (3): القوة السلاح ترهبون به عدو الله وعدوكم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تخزون به عدو الله وعدوكم)، فقد فرض رب العزة الإعداد من سلاح ومن خيل من أجل اهانة أعداء الله وإذلالهم، وقد لقي رجل الإمام مجاهد (المفسر) بمكة ومع مجاهد جوالق فقال مجاهد: هذا من القوة وكان مجاهد يتجهز للغزو.

وقد كان الصحابة يتغنون بالقوة والإعداد ويتسابقون في ميدان العزة والجهاد وقد كان لعروة البارقي سبعون فرسا معدة للجهاد، ويعتبر حديث (ألا إن القوة الرمي) من دلائل النبوة ومعجزاتها فإن معظم الحروب الحديثة قائمة على الرماية من الرصاصة إلى القذيفة إلى الصاروخ كلها رماية بينما كانت الحروب قديما وفي عهده - صلى الله عليه وسلم - تعتمد بثقلها على السيوف والرمح والخيل وأما استعمال السهام فكان دون ذلك.

ولذا فإننا نرى للفرس والسيف والرمح أسماء كثيرة وردت في أشعار العرب الجاهلية ثم في أشعارهم بعد الإسلام وكثيرا ما كانوا يفخرون بالحسام والقنا والجياد ويتغنون بها وأما ورود السهام في أشعارهم فنزير يسير وقليل نادر بالنسبة للسيوف والرمح.

إنى وريك لا أنفك منتطقا بصارم مثل لون الملح قطاع

والحق أننا عندما كنا نستعمل هذه اللغة كان يفهم علينا الأنام قاطبة وكانت المهابة في قلوب أعدائنا منا وكان النصر يأتينا مسيرة شهر بالربح، وكانت فرائض الأعداء ترتعد، وأرابهم ترتجف، وأوصالهم تهتز إزاء ذكر المسلمين الذين كان يصفهم أعداؤهم "رهبان في الليل فرسان في النهار" بل كانت نساء الكفار يخوفن أبناءهن في وهن الليل بأسماء المسلمين حتى يخلدوا إلى السكينة والراحة والنوم. وقد بيّن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ظهور المذاكي وأقتاب العواتق ورحال الجياد هي موطن العزة ومنهل الثواب ومعين الأجر.

ففي الحديث الصحيح (4)

(من خير معاش الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هبة أو فرزة طار إليها يبتغي الموت مظانه)

وبين - صلى الله عليه وسلم - في الأحاديث الصحيحة: (أن السيف مع الخياط) (5) وأن (الجنة تحت ظلال السيوف) (6)، وقد وضع رب العزة هذه القاعدة بجلاء لا غمّة فيه بناموس وقانون أودعه كتابه الخالد فقال عز من قائل:

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض

الآية (251) البقرة.

فموتي في الوغى عيش لأنني رأيت العيش في أرب النفوس

وبين أن انهيار الأمم وفساد سليقتها ودمار حضارتها ومسخ شخصيتها مرتبط ارتباطا وثيقا بترك هذه اللغة ونسيانها، وأوضح أن (حب الدنيا وكراهية الموت) هو الموت الحقيقي للأمم وخاصة الأمة الإسلامية وهو بداية النهاية لمجد المسلمين وسوددهم.

وقد عبّر عن قاعدة العزة "كعب بن مالك" (رضي الله عنه) بقوله:

وقلنا لن يفرج ما لقينا سوى ضرب القلائس والجهاد (7)

حال الأمة المسلمة بعد ترك هذه اللغة :

وبعد أن تركت أمة القرآن النطق بهذه اللغة التي يفهما الأحياء جميعا عادت القهقري ولم يعد يسمع صوتها وخبا نورها وخدمت نارها وانطفأ ذكرها، لأن الناس لا يسمعون مثل صليل السيوف وضبح الخيل، وقعقة السلاح وأزيز الرصاص وهدير الطائرات ودوي المتفجرات.

لغة أهل الهندوكوش :

وبقيت الأمة المسلمة رهينة القيود ترسف في الأغلال وتتلبط في الأوحال تحت مواطئ الأقدام والنعال، حتى رفع الشعب المسلم الأفغاني غيرته (صوته) قائلا :

دع المداد وسطر بالدم القانسي وأسكت الفم وانطق بالغم الثاني

فم المدافع في وجه الطغاة له من الفصاحة ما يزري بسحبان

وبدأ العالم يفهم هذه اللغة بعد أن ارتوى السلاح من دماء الكافرين واستيقظ الناس على هدير بحور الدماء التي سالت وعلى زئير اللبوث التي ثارت، ووقف العالم كله باحترام واجلال أمام هذه التضحيات الباهظة وأذل الله أوراغ (جبناء) اللثام الذين استأسدوا في ساح الإسلام وخمد البغاث بعد أن استنسر في ديار العز والمجد.

رد الفعل من أعداء الله :

كل من واكب مسيرة الأحداث في كابل عبر هذا العقد الزمني يدرك كيف غي رت هذه اللغة الأرض في داخل أفغانستان وروسيا وأرض الشيوعية خاصة وفي العالم عامة.

يقول سي اف : لقد كان الحزب الشيوعي لا يستطيع تنفيذ الإعدام على أعواد المشانق وحبال الموت بل كانوا يصفون المئات مقيدون ثم تأتي الجرافات وتحفر أخاديد الحنوف (الموت) ثم تفتح الرشاشات أفواها على هؤلاء فيسقطون في خنادق المنية وتعود الجرافات مرة أخرى لتدفنهم، ولقد دفن الكثير من المسلمين أحياء في داخل سجن "بول جرخي" الذي طوى في رماله ما يصل إلى (186 ألفا) كما شهد بهذا أحد أعضاء المخابرات (خاد) الكبار.

وكم من الناس قد دفنوا أحياء بجريرة فتح المذباغ على (إذاعة صوت بريطانيا) ومن ذا الذي كان يجرو أن يظهر في المسجد خمس صلوات متتالية؟ ومن من المسلمين في أفغانستان كانت تجرو على الإشارة ولو بطرف لسان أو إشارة بنان؟

وأما الآن : فقد سمع الشيوعيون لغة الميدان، بأنصع بيان وأفصح لسان بعد أن أذل الله سادتهم وانسحبوا وذولهم بين السيقان حتى أعلن أحد الجنود الروس الراجعين من الميدان: (إننا عندما نسمع صرخة الله أكبر نبول على ثيابنا).

وأرسلت الحكومة الروسية وفدا سريا يرجو المجاهدين أن يخففوا ضرباتهم عن الجنود المنسحبين فأجاب المجاهدون: نحن غير مرتبطين بجنيف بعقد ولا ميثاق. ولينك معي وأنت تبصر رسل الروس إلى المجاهدين يعرضون عليهم أن يقدموا لهم أكبر ضابط شيوعي أفغاني مقابل الكف عنهم أو مقابل دفع مبلغ ضئيل لجنود الروس الذين يحتاجون إلى الدرهم الواحد لشراء علبه السجائر.

صدقك وهو كذوب :

وقد لخصت الإذاعة البريطانية قصة الشعب الأفغاني فقالت: حاولت بريطانيا أن تفرض سلطتها على الأفغان فدفعت الثمن غاليا ولم تعتبر روسيا بما قدمت بريطانيا من تضحيات باهظة نتيجة غلظتها فسلكت نفس السبيل وها هي جحافل المجاهدين تطارد فلول روسيا في أعماق أفغانستان، وبعد هذا كله يريد الغرب أن يسير في هذا الطريق الشائك الوعر وهيئات هيهات.

عجب عجاب :

ولا ينقضي عجبك ولا تستطيع أن تمسك نفسك قهقهة وأنت ترى رجالات الحكومة الشيوعية في كابل يحملون العصي ويسوقون الناس قسرا إلى المساجد في أوقات الصلاة.

مرسوم هام :

وهذا بعد أن أصدر رئيس الدولة الشيوعي -نجيب- مرسوما يقضي بفصل أي موظف من وظيفته إذا تأخر ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة.

وتلمح من خلال خطاباته عبارات الاستخذاء والاستكانة والاستعطاف لقلوب الشعب الأفغاني وهو يقول: لا تقولوا لي (نجيب) أنا (نجيب الله).

وقد قرأت رسالة من نجيب إلى الشيخ جلال الدين حقاني يستعطف فيها الشيخ جلال الدين قائلا له:

أنا لست شيوعيا وأنا مع سليمان لائق -وزير الحدود اليتيمين المسلمين الوحيدين في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ونحن ندين بالإسلام سرا ولا نستطيع مواجهة ضغط الشيوعية وثقلها علينا.

وماذا عن غناء الأعراس في العاصمة ؟ إن النساء في العاصمة يتغنين ببطولات المجاهدين وكأنهن ينشدن مع أبي الطيب لكل مجاهد قائلات :

وصن الحسام ولا تذل ه فإن ه يشكو يمينك والجمام تشهد

جف النجيع عليه وهو مجرد من غمده فكأن ما هو مغم -د

ري ان لو قذف الذي أسقيته جرى من الم هجات بحر مزبد

وأصبح لمعان أسنة المجاهدين، والأسل (الرماح) والقلائص، والمذاكي والعقاق والجرد (الخيول) ، والمتقفة السمر ووميض البيض، وشجاعة اللبوث، وإيمان الضراغمة هو حديث السامر الجميل في كابل ويحلو للمستمعات أن يرددن مع المنشدات شعر حسان للمجاهدين:

يسرون بالبيض الخفاف إليكـ مرحا كأسد في عرين مغرف (8)

حتى أتوكم في بطون حصونكم فسقوكم حقا ببيض ددف (9)

وأما النساء الشيوعيات وأزواج الضباط العملاء والمنافقين فكان على رؤوسهن الطير لا ينبنس بنبت شفة..

يبكين شجوا مسيلات كدحتهن الكوادح (10)

ولقد أصاب قلوبها مجل له جلب قوارح (11)

في مكاتب الدولة:

والحديث في داخل المكاتب الرسمية لا يكف ولا ينقطع عن انهيار الدولة، وعن الهزائم التي تمني بها جيوشها، والخسائر التي تتكبدها يوما بعد يوم، وابداء النشوة والسرور والفرح والحبور بانتصارات المجاهدين مع الشماتة بهؤلاء المرتدين الذين باعوا الأرض والعرض لروسيا.

الرسائل :

والرسائل تترى من قادة الشيعيين يعرضون خدماتهم للمجاهدين ويتوسلون لهم أن يؤمنوا طريقا لهربهم إليهم ورسم جادة قرارهم نحوهم.

الغيب المسدل :

والنتيجة يعلمها رب العالمين ولكن بوارق النصر وبشائر الظفر تنير لنا معالم الطريق وكأنها تشير إلى أن النصر قريب وأن دولة الإسلام عما قليل ستظهر للوجود -إن شاء الله- تقدم للبشرية قادة من المسلمين يصنعون قراراتهم بأيديهم، وتنبثق أراؤهم من طبائهم ككتابهم وهدى نبيهم -صلى الله عليه وسلم-. ويعتمدون على الله ثم على البيض والسمر التي تحملها الزنود السمر في إقرار القرار ولا يتلقون الأوامر من البيوت البيض أو الحمر.

فيا أمتي :

هلا سلكت سبيلهم واستعملت لغتهم التي توقظ الوسنان وتصيح أسماع الزمان؟ ان تقتفي آثارهم هديت، وها هو شعب الأرض المباركة في فلسطين قد فهم هذه اللغة فأيقظت قعقة صوته وزمجرة ليوثه العالم أجمع وإن شاء الله البقية على الطريق قادمون.

(1) القرطبي (36-8).

(2) شرح النووي /ج13/ ص -64.

(3) الطبري (30-10).

(4) شرح النووي /ج13/ ص -34.

(5) رواه أحمد وسنده حسن وصححه ابن حبان.

(6) فتح الباري /ج6/ باب (22) برقم (2818).

(7) القلائس : رؤوس الخوذ.

(8) عرين مغرف : مكان الأسد ملتف الشجر.

(9) بيض دلف : سيوف سريعة القتل.

(10) شجوا: حزنا ، مسيلات: لابسات ثياب الحزن.

الكوادح : المصائب.

(11) مجلد : جرح، قوارح: موجعة

من الدعوة إلى الدولة\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد السابع والأربعون- صفر 1409هـ، سبتمبر 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت ثلاثة عشر عاما كاملة منذ أطلقت الحركة الإسلامية أول رصاصة في وجه نظام داود سنة 1975 حتى الآن، ولقد جاءت روسيا بداود لتصفية الحركة الإسلامية فكتب الله أن تهزم روسيا ويسحق عملاؤها، وكانت نقلة واسعة خطتها الحركة الإسلامية عبر مسيرة المعاناة تجرعت فيها الحركة من المرارة وتكبدت من الآلام، وتقلبت في أتون ملتهب من المآسي ما شابت له النواصي، وخلال هذه المحن نضجت نفوس الذين عاشوا الأحداث، والنضج النفسي والصفاء الروحي وإشراقة القلب تكون ثمرة طبيعية، ونتيجة منطقية يهدها الله -عز وجل- للصابرين، وهذه بركة الصبر:

إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين

الآية (90) يوسف.

وخلال هذه الطريق المريرة الوعرة التي تجثم الأخوة مشقة اجتيازها بلغت الحركة عموديا -من حيث البناء الذاتي- شأوا بعيدا وكذلك فإن الانتشار الأفقي بين الناس كان كبيرا جدا .

أما من حيث الارتقاء الروحي والريانية في الحياة فإنك تلمسها من خلال مواقف أفرادها وقادتها أمام الأعاصير العالمية الهوجاء التي تريد أن تعصف بهذه الحركة التي لا زالت ومنذ أول يوم تمسك بزمام توجيهه وعجلة القيادة، فقد وقف القادة مواقف سامقة أمام دهاقين السياسة العالمية وصانعي قرارات الأمم، هذه المواقف تعيد إلى أذهاننا سيرة السلف وتحيي في أعماقنا قصص عيد الله بن حذافة السهمي أمام قيصر وربيعي بن عامر في إيوان رستم يوم أن اقتحم بفرسه داخل الإيوان تطأ سنابك ففرسه طنافس رستم والزرابي ويربطه بنمرقة من نمارقه.

وهذا الاستعلاء الإيماني الذي تمثل شامخا في مواجهة ساسة الدنيا وعلى رأسهم "ريغان" لم يكن لينتج من فراغ أو يربى من خلال صفحات الكتب وخطب المنابر لقد كان هذا الاستعلاء ثمرة مباركة للصبر الطويل عبر المعاناة المريرة الأليمة.

النقطة الواسعة :

لقد كان البون شاسعا بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد (الأمين العام للحركة) الكلاشنكوف على الأوراق ثم يشرحه في أعماق الغرف الظلماء للذين يرببهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الصاروخي "أر. بي. جي." الذي يحطم الدبابة، والحركة الإسلامية وهي تعلن قرارها بالمواجهة المسلحة في وجه داود، لم يكن بوسعها يومئذ أن تتلم في خيالها مجرد تصور هذه القمة السامقة التي بلغت بالجهاد المبارك، فلم يكن لديها من بين أبنائها كلهم رجل يستطيع استعمال القاذف سوى "أحمد شاه مسعود"، والآن أصبح استعمال القاذف -هذا- من هوايات الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث بعد.

القرار التاريخي :

لقد كان قرار المواجهة المسلحة لداود خارقا لتفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شابا قد التفوا حول "برهان الدين رباني" و"حكمت يار" في بيشاور - بعد نجاة هؤلاء الشباب من قبضة داود الحديدية التي كانت ترتجف لذكرها أوصال أفغانستان وتحسب لها ألف حساب.

ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية انبثقت من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وكانوا قد تلقوا قسطا من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب :

ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها ومنهلا عذبا لا بد أن يردده كل الذين يحاولون انشاء المجتمع المسلم من جديد، ولقد أعطت أعماقا وأبعادا لكثير من المعاني القرآنية والمصطلحات النبوية الكريمة في أذهان الجيل. ولا بد لأبناء الحركة الإسلامية العالمية أن يقفوا طويلا أمام هذا المعين الثمر الذي فجرته الدماء والأحداث فوق أرض أفغانستان فينهلوا منه.

وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة وأعطت المصطلحات الحركية أعماقا، وأبعادا .  
(1) فلقد كان معنى الصبر " قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الطغاة وزبانيتهم وجلاديههم.

أما الآن :

فالصبر قد أخذ بعدا أكبر ورقعة أوسع فهو يعني: حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال ولأشهر متطاولة تمتد إلى سنوات عمل شاق على النفوس، لأن النفوس تألف الحياة بين الأحبة وفوق الأرض التي درج الإنسان عليها وحبا بين ربها ونجاده.

والنفس تستوحش من الغربية، غربة عن الأهل، والجيران، واللغة واللهجات التي تربى عليها، فإذا أضيف إلى هذا كله الجو الرهيب الذي يسيطر غالبا على ثغور الرباط، وقلة الزاد، وجفاف العيش وشظف الحياة، ومجموع هذا كله يكون جوا قاتما كئيبا ثقيل على النفس.

وهذا الجو لا يخفف ثقله ولا يجلو حزنه سوى التعويض الرباني للقلوب بما يسبغ الله عليها من فرح ومسرة وأنس وسكينة.

(عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم)

صحيح (1).

فالهم والغم : أمران ملازمان للرباط لا يفارقان إلا القلوب المرتبطة بالله الموصولة بحبله العائذة بجلاله.

(2) ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتك نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات ولم تقطف من ثمار عرقها ولم تخرف (تحصد) من نتاج بذارها شيئا .

ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على اعجابهم، وتنال احترامهم واكبارهم، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة، أكبر عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.

ولذا بقي مصعب بن عمير معلما بارزا في دنيا الصحابة وبقيت ذكرياته تستجيش أعماق العواطف وتستهل العيون بالعبرات ولذا فعندما وضع طعام شهى أمام عبد الرحمن بن عوف استعبر (بكى) وقام وذكر مصعبا .

يقول خباب بن الارت رضي الله عنه

[هاجرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نلتمس وجه الله تعالى فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ومنا من أينعت (نضجت) له ثمرته فهو يهدبها (يقطفها)]

متفق عليه (2).

والآن : لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئا بعد.

(3) إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جدا ، ولم يتغلغوا في مناصب الدولة ولم يرتقوا في سلم وظائفها وكانت أكبر وظيفة لديهم عمادة كلية الشريعة بيد غلام محمد نيازي -رحمه الله- ولذا فلم يكن لديهم مناصب كبرى يمكن أن يساوموا بها على المبادئ نفسها اتباعا لقاعدة: (اختيار أهون الشرين) (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفهما).

ولذا بقيت المبادئ واضحة ناصعة وما اعتراها ليس ولا غموض ولم يعيش الدعاة حياة متناقضة بين مبادئ معلنة وبين مواقف عملية تملئها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المبينة والبراء من النظام القائم.

ولم يعيش جمهور المسلمين حيرة قاتلة ازاء التناقض في حياة بعض الدعاة بين نهج مرسوم وواقع عملي يومي، وبقيت المبادئ المعلنة مشرقة لأن السلوك الذي يحياه الدعاة كان الصورة الصادقة والترجمة العملية للكلمات والشعارات والمبادئ.

(4) إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية وكانت رأس الحربة فيه وقضت فيه بأفلاذ أكبادها وضحت فيه بأعلى ما تملك من أبنائها أدى إلى انضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة وتصفية أرواحهم وإلى صلاية عودهم، ولذا فإنك تجد فرقا هائلا بين نفسية هؤلاء الشباب الذين تتردد أسمائهم على جميع الشفاه كسي اف وحكمت يار ورباني وخالص، أقول: هنالك فرق كبير بين نفسية هؤلاء الدعاة عام 1975 ونفسيتههم عام 1988، بعد أن أمضوا مرحلة تساوي المرحلة المكينة تماما -ثلاثة عشر عاما- في أتون القتال وبين حجري الرحي، وأصبحت كبرى المشاكل في أعينهم جد صغيرة.

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحول

(5) إن المعركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير

الآية (22) فاطر.

وذلك لأن الشعب كله اختلط سيوفه منافحا عن عرضه ومكافحا عن دينه وكل واحد يقول:

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مفرط ومقصر ومخطئ ومتعثر وصادق وملثم أعطاهم من التجربة والخبرة والحكمة من خلال المعاناة المريرة في رفع المستويات، ومحاولة إيجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة وتواجه عدوا واحدا خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة ويحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.

بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والنوادي والخطبات والاجتماعات.

(6) والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراسا للحكم وهذه الممارسة للحكم والدربة على القيادة السياسية والعسكرية لم تكن من خلال صفحات الكتب فوق مقاعد الدراسة في كليات الإدارة، بل كانت خبرة عملية أورثت نضجا سياسيا وعمقا في النظر فرضتها بقدر الله- الأحداث الضخمة والعقبات الشاقة التي تواجههم على صعيد الواقع.

ولذا فلو أخذنا كمثال: أحمد شاه مسعود، أو المهندس بشير أو الشيخ جلال الدين.. كل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يجد حلا للمشاكل الاجتماعية، ولقضايا الجفاف التي تعض المنطقة بنابها، وعليه أن يوجد حلا لقضايا الجراح التي لا تكف عن النزيف، وللمشاكل الأيتام والأرامل، ولابد أن يبحث عن وسيلة لإيجاد مخرج لمئات الألوف من الأولاد الذين لا يعرفون القراءة، فلا جرم أنه مضطر لفتح بعض المدارس ولو في كهوف الجبال أو تحت الشجر.

فكل واحد منهم: إنما هو: حكومة قائمة بذاتها:

فهو كرئيس الوزراء وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد. وقد سألني بعضهم: أو تظن أن الأفغان يستطيعون إقامة دولة إسلامية بأنفسهم؟

والجواب كما مر: أن القادة قد تمرسوا على الحكم خلال فترة الحياة بين فكي الموت، وإذا كان بعض العسكر قد وصلوا إلى الحكم من خلال البيان الأول في الدول العسكرية الثورية، دون أن يعرف عنه سابقة حكم ولا صبغة إسلامية ولا نشأة حركية ولا ذكاء ملموس ولا خلق أسر أخاذ، أفلا يستطيع هؤلاء القادة الحكم؟! وبعد هذه المسيرة الطويلة من تربية عميقة نظيفة في ظلال القرآن إلى فارس يمتطي صهوات العتاق المذاكي إلى قائد يفقد أبناءه الذين تربوا على يديه الواحد تلو الآخر يتجرع الغصص ويتلوى بالآلام ويدفن قلبه مع كل شهيد؟

ناموس وقانون انشاء المجتمع المسلم :

إن القانون الإلهي لانشاء دين الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي يكون في خطوات:

- 1- أولها قيام رجل يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ثم يجمع الناس حوله.
  - 2- تقوم الجاهلية في وجه هذا المصلح تدافع عن مصالحها بكل ما أوتيت من قوة وتلقي بخيلها ورجلها وتدفع بنقلها لاجهاض هذا العمل المبارك وفي الطريق يسقط من يسقط ويثبت الله من يثبت يتحمل الأبداء والاضطهاد والتشريد والسجن.
  - 3- تقوم الدعوة الإسلامية بدور الصاعق الذي يفجر طاقات الشعب ويقوم جهاد طويل تكون الدعوة فيه موجها وقائدا ومشعلا للفتيل ويقدم الشعب المسلم الوقود لهذه المعركة الطاحنة الطويلة.
  - 4- وبعد الجهاد الطويل تفقد الحركة الإسلامية معظم أبنائها ويبقى قسم منها بضن الله بهم عن الموت وهؤلاء هم الذين يضع الله بين أيديهم مقابيل الحكم بعد أن أصبحوا أمناء على الدماء والأعراض والأموال.
- هكذا قام هذا الدين أول مرة وهكذا يقوم في كل مرة.
- ولا يجوز أبدا لأبناء الدعوة الإسلامية أن يزهدوا في الحكم بعد النصر فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: منهم الخليفة، ومنهم الوزراء، ومنهم مجلس الشورى، ومنهم القادة والقضاة، وأمراء الولايات وخزنة بيت المال.
- وإن شاء الله فنحن على أبواب دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح وازاء رؤيتها ننشد وحق لنا أن ننشد:
- حتى رجعت وأقلامي قوائلي الحكم للسيف ليس الحكم للقلم

(1) أخرجه أحمد (5-326) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1914).

(2) فتح الباري ج7/باب (26) برقم (4082).

الطريق إلى "طالقان"\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثامن والأربعون- ربيع أول 1409 هـ، أكتوبر 1988م].

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من قرية على مقربة من بنجشير أكتب إليكم، بعد رحلة شعرنا فيها بالبركة والراحة والتيسير الكبير بفضل الله العلي الكبير، وبصحبة الأستاذ رباني الذي كان نعم الصاحب والرفيق والأخ الشقيق.

وقد انطلقت القافلة يوم الخميس الماضي 8/9/1988 من "شترال" بالسيارات وبتنا في "جرم جشما" وانطلقنا صباح الجمعة من "جرم جشما" إلى الحدود واجتازنا الحدود وقضينا يوم الجمعة في معسكر صغير وكان يصاحبنا الأخ الحبيب أبو إبراهيم ويوم السبت تسلقنا الجبل الأول الذي يعترض طريقنا واسمه ديوانا بابا (الجبل المجنون) وقد مكثنا في تسلقه والنزول منه حوالي خمس ساعات ونصف، ونزلنا عند رجل مضيف لكل المجاهدين المارين وداره تعتبر مضافة لكل مار بهذا الطريق ومع هذا لا يطمع من المجاهدين بدرهم ولا دينار ولا تكل أزواجه وأهله عن الطبخ والخبز وتقديم الطعام الذي لا يقل عن الخبز والشاي، فقلت له: يا حاج متين (أنت مثل حاتم طائي) الذي كان يقول لغلامه:

أوقد يا غلام فالليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر

إن جلبت ضيفا فأنت حر

فقال لا أطعم من أحد بشيء إلا إذا كتب الله لنا الحج على أيديكم. وبتنا أسفل الجبل الثاني الذي يعترض القادم إلى الشمال اسمه "كافر كوتل" وقد أطلق عليه الأستاذ رباني "مجاهد كوتل" وهو يرتفع أكثر من أربعة آلاف متر فوق سطح البحر وقد استغرق تسلقه (سبع ساعات ونصف) ولا يستطيع أن يتسلقه حصان ولا بغل إلا إذا كان خاليا من راحته، وفوق قمة الجبل جلسنا ووجّه الأستاذ رباني كلمة للمجاهدين.

ثم بدأنا ننحدر من قمة الجبل إلى السفح وقد استغرق نزولنا الجبل قرابة ثلاث ساعات وهذا الجبل هو الفاصل بين نورستان وبخشان، وفي خضم الجبل توجد ثلاث طائرات منها طائرة لاتزال تحتفظ بجديتها وآلاتها ولم يأكلها الصدا بعد، وفي غابة صغيرة رأينا المجاهدين الذين يرتدون الألبسة الخاصة (أردية الجيش وبأحذية ذات نوع واحد) وقفوا في انتظارنا واستقبلنا وكانت هذه المجموعة المتقدمة عبارة عن سرية متقدمة لأمنيات الطريق وتأمين المبيت في هذا المكان، وبتنا في وسط هذه الغابة التي تسفح سبرات رياحها الوجوه وتلذع نسماتها القارسة الأعصاب، وقد تناولنا طعام العشاء من لحوم الطباء (الغزلان) وكانوا قد اصطادوا لنا مجموعة من الغزلان وفي الصباح غادرنا وسرنا حتى زالت الشمس وشارفت الساعة الثانية ظهرا وإذا بأخوين عربيين (أبي طه العراقي، شقيق ياسين وأبي أيوب، والثاني الأخ يونس المصري) وكان لقاء حارا وعناقا يعبر عن أخوة عميقة وأشواق دفينة لم يتمالك أبو طه نفسه حتى فاضت العبرات وسالت الدموع على الوجه سيلا.

قال أبو طه: نحن عائدان إلى باكستان ولكن قدمكم جعلنا نغير خطتنا فلا بد من مرافقتكم بضعة أيام حتى نقوم ببعض الخدمة وكنا مستأجرين لفرس معها صاحبها وفرس آخر لهما خاصة -ملكا لهما- فسر صاحب الفرس ودفعنا له الأجرة ثم عادا أدراجهما يرافقتنا هذه الرحلة. وأخبرنا أبو طه: إن الأمير على بعد ساعة، وكلمة الأمير إذا أطلقت في جهة الشمال فإنما تعني أحمد شاه مسعود.

وبعد قليل وإذا بمسعود وأرينبور ونجم الدين ينتظران على تلة، وترجل الأستاذ رباني وترجلنا وكان عناقا حارا بيننا وبين هؤلاء القادة الثلاثة ووقفت وكأنني لأول مرة أرى الجهاد أمام سرية تعدادها مائة مجاهد منظمة واقفة في طابورين عسكريين بأسلحتهم، ذوي بزة عسكرية متشابهة ووقفة تنم عن العزة وتحية في أعماق النفس الافتخار بهذا الدين الذي يضمنا وبهذه القيم التي تجمعنا وتحت راية لا إله إلا الله التي تلقنا.

سالت من الغاب الشبول غلابها لبن اللبابة وهاج عرق الضيغم  
لينم أبو الأشبال ملء جفونه ليس الشبول عن العرين بنوم  
وتقدم قائد السرية وألقى التحية العسكرية للأستاذ رباني وتكلم الأستاذ أرينبور كلمة حيا فيها القادمين، ثم تكلم الأستاذ رباني كلمة طويلة وقدمني وتكلمت عن دور الجهاد الأفغاني في صناعة التاريخ الإسلامي من جديد، وكان لقاء تاريخيا ودوى فيه التكبير وعلا فيه الهتاف وأما أحمد شاه مسعود فلم يتكلم سوى أنه أشار إلى أرينبور بأن يتكلم ثم ركبنا الجرد الأبابيل من العتاق المذاكي وانسابت بنا الخيول متوجهة إلى قاعدة (كران ومنجان) وعلى الطريق كان أحمد شاه يتكلم مع رباني وعبد الله أنس يترجم لي ونحن نمطي صهوات الجياد.

خيول لاتضاع إذا أضيغت خيول الناس في السنة الجماد  
يناز عن الأعنة مضيعات إذا نادى إلى الفزع المنادي  
فقلت للشيخ رباني مازحا، قل لمسعود أين ذهب لحكم (فما هو إلا الجلد والروح والعظم). ثم قلت له بيت المتنبي:  
كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني  
فابتسم وتكلم مشيرا لعبد الله أنس: لقد قلت له (لعبد الله أنس). إذا رجعت وحدك فلن نسمح لك بدخول "بنشير". وعبد الله أنس له مكانة مرموقة في قلب أحمد شاه وفي نفوس أتباعه، وكان عبد الله أنس إذا ظهر بين المجاهدين أشارت إليه الأصابع وبدأت الألسنة تردد اسمه، وهو شخصية إسلامية متوازنة ذو أفق واسع، يجد مدخله إلى قلوب مستمعيه ويختلس أفئدة المحيطين به ويأخذ بالباب الذين يصغون إلى كلامه، وطوبنا ليلتنا في "كران ومنجان" وفي الصباح خرجنا على الخيول وبدأ أحمد شاه يشرح لنا عملية احتلال كران ومنجان.

فقال: لقد كان الفتح كرامة ربانية قبل كل شيء. ثم بدأ يرينا الجبال التي تسلفها المجاهدون وتعجب كيف استطاع المجاهدون أن يتسلقوها وهي قائمة تناطح السحاب كأنها جدار أملس، وكم يشدك تصميم هؤلاء وعزيمتهم، وطاقتهم، قال مسعود:  
لقد تسلفوا هذه الجبال خمس ساعات متواصلة في التسلق وشدة البرد تجمد الأطراف وبعضهم يحمل الدوشكا على ظهره وآخر مدفع (75) وثالث مدفع (82) ولولا أنني كنت أسمعها من فم مسعود لما كدت أصدق أن طاقة البشر تستطيع القيام بهذا العبء الثقيل. وتحمل هذا العبء وتطيق هذا البلاء، وقال مسعود: لقد كنت لا أستطيع أن أضغط على اللاسلكي لشدة البرد حتى أتكلم فيه، ونفذ الطعام وطلب مسعود من أرينبور أية قطعة خبز أو حبة من الحلوى فلم يجد، ومع أن الحصون التي كان يقبع بها الأعداء جد منيعة لا يخترقها رصاص ولا قذائف وهي ممتدة على طول خمسة كيلو مترات إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب سنلق في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماوهم النار وبئس مئوى الظالمين الآية (151) آل عمران.

واقترح المجاهدون على الكفار حصونهم وكانت مقاومة شرسة وانقضوا عليهم كالصواعق:  
همام إذا ما فارق الغمد سيفه وعابنته لم تدر أيهما النصل  
ولم تمض سوى ساعتان إلا ربعا حتى استسلمت جميع المراكز  
أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصا عليها مستهما بها صبا  
فحب الجبان النفس أورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا  
والحق أنك لا تدرك الصعوبات التي يواجهها هؤلاء الأبطال في عملياتهم وفتوحاتهم إلا وأنت تقف فوق أمثال هذه الأرض وأنتك لتدرك البون الشاسع في الاستعداد العسكري والطاقة والتنظيم عندما ترى هذه المنطقة (علامة داري: كران ومنجان) تنهاوى خلال أقل من ساعتين تحت ضربات المجاهدين، وتقارن بينها وبين قلعة (تشاواني) التي مكثت متمردة شاهقة أمام جموع المجاهدين خمس سنوات، مع أنه لا مقارنة بين تحصينات تشاواني وبين كران ومنجان، وبذلك الأمر عندما تعلم أن الجبال التي تسلفوها كانت مغطاة بالتلوج، قال أرينبور: لقد أكرمنا الله بالضباب نزحفت تحته مع أن السماء كانت صافية.  
وأما أرينبور فتحسبه لتواضعه أحد الخدم لا يجلس إلا في طرف المجلس مع أنه فتح مدينة (كشم) قبل أيام فترك الجرحى وجاء لاستقبالنا، وقد كان فتح "كشم" آية من آيات الله و"كشم" محصنة أكثر من "كران ومنجان" وقد كان فيها عشرون مركزا محصنا حول المدينة وفيها مطار محصن تحصينا كبيرا وكل خنادقه تحت الأرض وقد كان قائد الشيوعيين (عبد الرزاق) يقول عن مركزه المحصن في مدخل المدينة (إذا استطاع المجاهدون أن يقتحموا حصني هذا فلا شك أنهم يستطيعون فتح كابل)، والحمد لله (لقد أذل الله الكفار: فاتأهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب

الآية (2) الحشر.  
ولقد فتح الله "كشم" على يد أرينبور وولى عليها أحد أتباعه وجاء لمصاحبتنا ومرافقتنا.  
شخصية أرينبور:

يعتبر هذا القائد أحد أبناء الحركة الإسلامية الأوائل في أفغانستان وبعده الدعاة أستاذهم ومربيهم، بل يعتبر الآن مفكرا من مفكري الدعوة الإسلامية. ويعتبر الشخص الثاني بعد مسعود في المناطق الشمالية، ويميزه تواضع جم وأدب رفيع عدا ما يذكر عنه من الزهد والعبادة والنوافل.

دخول كشم: واحتل المجاهدون كشم وكانهم جيش منظم وذلك لأن الإمارة واحدة في الفتح ولم يشترك مع أرينبور سوى مجموعة (سرية) من الحزب الإسلامي يقودهم (فداء محمد) الرجل الذي يشار إلى طيبه بالبنان ويثني على اعتداله واتزانه كل لسان.

فداء محمد وسرية البخاريين:  
وسرية فداء محمد من أبناء بخاري الذين هاجر أبائهم من بخاري قبل ستين سنة، وهم يعنون أنفسهم ويربون أرواحهم لاسترداد بخاري الذي يعتبرونه أهم فرض الأعيان. ومن بين أفراد السرية لفت نظر غلامان صغيران أحدهما فيض الله محمد (11 سنة) ونور الله محمد (10 سنوات).

قال يونس المصري: قبل فتح كشم سألت نور الله: إلى أين يانور؟ فقال: أنا ذاهب لأقنع شجرة الخقيين (الشيوعيين) من جذورها وأقطع بذرتهم.

وأما فيض الله الذي كان يخوض المعركة حافيا فكل ما يحلم به بعد الفتح أن يجد حذاء جديدا يلبسه كما قال: أبو طه.

و غلام ثالث اسمه خدا يداد (عطاء الله) 61 عاما فقد أطلق سبعين قذيفة (آر. بي. جي) على المركز الذي دخلوه مع أبي طه وكان أول المقتحمين على الشيوعيين حصونهم.

في قرية أبي:

وفي هذه القرية قرب بنجشير ضمنتنا جلسة ممتعة مع الإخوة رباني ومسعود وأرينبور، وبدأ مسعود يتكلم عن معدن اللازورد: الذي يستخرج من الجبال المحيطة فإنه يستخرج من الجبال المحيطة ثلاثمائة وخمسون طنا سنويا ومعدل ثمن الكيلو الواحد 20 دولارا أي أن دخل اللازورد حوالي 7 مليون دولار سنويا . أما الزمرد الأخضر: فهو من الجواهر الكريمة وقد بيع قدر الأصبع منه في هذا العام بمليونين ونصف المليون من الدولارات.

امكانيات أفغانستان:

قال رباني: إنها تزرع بالمعادن: البترول، والغاز في جوزجان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان وبامكان أفغانستان الاكتفاء الذاتي بالقمح والأرز والسكر.

قال أرينبور: إن أزمنا هي أزمة الرجال من الدعاة الذين يحملون أعباء الحكم الإسلامي فأجبت: إن في العالم الإسلامي طاقات كثيرة سواء من أبناء الدعوات أو من المسلمين الملتزمين وبامكانكم بعد أن تمسكوا بزمم الحكم وتمسكوا بمقود القيادة في أفغانستان أن تستعينوا بهذه الطاقات الضخمة شبه المعطلة في العالم العربي والأدعة المهاجرة في أمريكا وأوروبا.

إن الخطوة الأولى أن تطيحوا بالحكم في كابل وعساه أن يكون قريبا وبعد هذا فالأمر سهل بإذن الله. وإن الذي أعانكم على خوض هذا المضمار المضطرب باللهيب خلال عشر سنوات وقد اجتزتم هذا الخضم المتلاطم من الصعاب والمشاكل والعقبات، هو سبحانه قادر على أن يعينكم في ارساء قواعد الحكم الإسلامي في ربوع أفغانستان والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الآية (21) يوسف.

قلت لمسعود: نريد أن نخوض معكم عملية افتتاح إحدى المدن أو المراكز الكبيرة.

فرد أرينبور: إن حياتك ليست ملكا لك ولا لأفغانستان إنما هي للأمة الإسلامية جميعا ، فأجبت:

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا

الآية (145) آل عمران،

وردت:

أي يومي من الموت أفر يوم لا قدر أم يوم قدر

يوم لا قدر لا أهربه ومن المقدور لا ينجو الحذر

وأضفت قائلا: إن كثيرا من الدعاة كانت شهادتهم أفضل للدعوة وللإسلام من حياتهم:

ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعنق

وللحرية الحمراء بـباب بكل يد مضجرة تنق

ثم ذكرت قصة استشهاد سيد قطب وكيف كانت دفعة قوية للدعوة الإسلامية في العالم وهزة عنيفة أيقظت الكثيرين من المسلمين من سباتهم وكانت بداية للصحو الإسلامية التي أصبحت ظاهرة في الربع الأخير من هذا القرن.

وأضفت قائلا: إن تفسير في ظلال القرآن لم يطبع في حياة سيد سوى مرة واحدة ولكن في السنة الأولى بعد استشهاد طبع سبع طبعات. فمقبب أحمد شاه قائلا: إن كان لديك وقت ففي مخططنا سلسلة عمليات ونحن ننتقل وإياك في السيارة فقلت: إن شاء الله أمشي أو أكثر.

قال الشيخ رباني: نحن هنا جنود عندكم فلا نأمركم بشيء. فقلت: نعرض رغبتنا بالقتال ونحن نلتزم بالأوامر ونأمل من الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

البغل بمائة شيوعي\*

[\*نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والأربعون - ربيع الثاني 1409 هـ، الموافق ديسمبر 1988م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

يشهد الحزب الشيوعي الأفغاني حالة من الهزال والإحتضار، يعد فيها أيامه ليلفظ أنفاسه الأخيرة.

ولم أشهد في حياتي حالة من الذل والهوان والحقارة يحياها حزب حاكم مثلما يعيش الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام بشقيه (برشم وخلق)، وبرشم هو الجناح الشيوعي الذي أسسه بابر كاركمل وخلق هو الجناح الآخر الذي أسسه محمد نورترافي. ومن المعلوم أن الرئيس (نجيب) هو أحد أعضاء برشم.

وقد كتب الله لي ليلة أمس أن التقى بمجموعة من القادة حول كابل في مناطق " قره باغ " و " استالف " و " شكردره " في بيت يقع في خطم أحد الجبال التي كانت مسرحا لأحداث صنعت التاريخ الإسلامي الحديث. وذلك في منطقة " بارنده " التي تقع في أحضانها قرية " جكدك " مسقط رأس أحمد شاه مسعود القائد مسلم، وقرية " مالاصبا " وهما جد متجاورتين ومابينهما من أكوام الحديد، والآليات وعجلات المدرعات وجنازير الدبابات T55، T62 مما خلفته المعارك في سنتي 1986 و 1987 ومما لم يستطع الروس أن يسحبوه لتعذر ذلك عليهم تحت حمم المجاهدين المتساقطة عليهم من الجبال المتجاورة والذين تقذف بهم التلال وقمم الجبال في ساعة الشدة ، ما يحسبهم أعداء الله ضربا من الجن قد انشقت عنهم القمم وألقت بهم السفوح وفي لحظات خاطفة يجرون عملياتهم ثم يختفون في لمح البصر كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم وكأن لم تغن الساحة قبل ساعة ببشر .

كان لم يكن بين الجبال أو الغضى أنيس ولم يبرز بها أي ضيغـــــــــــــــــم

التقيت بهم وبدأوا يتحدثون بوقائع تحسبها ضربا من المزاح أو نوعا من المجاز لتقريب الصورة الى ذهن السامع وليست حقائق تجري أحداثا يومية في الساحة الواسعة حول كابل التي طالما تغنت بالشيوعية ودوت ارجاؤها بشعاراتها.

التقيت بالقادة محمد أنور والقاري محب الرحمن وأمير صوفي رسول من استالف وقره باغ وسلطان محمد من بغرام وجمعة خان من كوشي وأختر محمد قائد في شكردره فطلبت منهم أن يحدثوا عما جرى على أيديهم أو رأوه بأمر أعينهم وكان البيت ممتلئا بالقادة والمجاهدين وكان الأستاذ رباني وعبد الله أنس بين الحاضرين .

وقد ذكرتهم بالله أكثر من مرة وقلت لهم: نحن ننقل الى العالم الإسلامي وأنتم مسؤولون عن كل كلمة بين يدي الله غدا، فافتتح الحديث أختر محمد باللغة الفارسية مع أنه يستطيع أن يتعنع بالعربية ويتكلم بها بصعوبة بالغة . وكان يتناوب الترجمة الشيخ رباني والأخ عبد الله أنس .

قال أختر محمد : كان الروس قبل عدة أعوام يقولون للشيوخ الأفغان أفغانستان إما أن نحكمها أو يحكمها الباسماش (الأشرار) الذين يعيشون في الجبال -يعنون المجاهدين- أما أنتم فلن تستطيعوا أن تثبتوا أقدامكم فيها .  
وقد جاء الزمن بمصداق ما كان الروس يرددونه. فمنذ أن أعلن "غوربتشوف" عن موعد انسحاب الروس حتى الآن والروس الذين في أفغانستان لا تكاد الدنيا تسعهم فرحا وغبطة و هم يعدون الأيام التي يقطعونها حتى يأتي موعد خروجهم وهم يتصلون بالمجاهدين قائلين لهم:

نحن في هذه الأيام ضيوف عليكم فدعونا ودونكم بني جلدتكم .  
بل أخذ الروس يتسللون بمرأى الشيوخ الأفغان يقانون الى الموت على أيدي المجاهدين ويرون في هذا تنفيسا لأحقاد حبسية وآلام عميقة وجراحات غائرة خلفتها في مسارب نفوسهم هذه المجازر التي شهدها ، وكانت ثمننا للأمجاد الشيعية التي كان يحلم بها أمثال تراقي وحفيظ الله أمين وكرامل ونجيب، ثم تبدت سرايا للناظر أو سحابة صيف عن قليل تقشع .  
لقد شعر الروس أنهم خ دعوا من قبل الحزب الشيوعي الأفغاني اذ صو روا لهم أن أفغانستان طعم سائغ وصيد ثمين فيما لو تخطت أقدام الجيش الأحمر نهريجيون (أموداريا) فانزلت أقدام الدب الأحمر الذي تحطم على صخرة المقاومة الإسلامية التي تفجرت في أعماق هذا الشعب الأبى المسلم .

حدثني أحمد شاه مسعود قال : لقد عرض على الروس سنة 2891 هدنة مؤقتة لمدة ستة أشهر ، وجاء الدبلوماسي الروسي وجلس مع عدة ليل وفي الليلة الثالثة وإذا بالكلام ينساب على لسانه بنفس فيه عن الأم حبسية في صدره فقال :  
(أنت لاتعلم الحالة النفسية التي نعيشها ، لقد ادخلنا "بريجنيف" الأحمق هذه الأزمة الخائفة والدوامة العنيفة التي لانعلم لها حلا ، اننا نشعر كأننا مقيدون بالأغلال ونبحث عن طريقة فك هذه القيود) ، ثم قال مسعود: ( وهممت أن أسجل هذا الكلام في ليلة لاحقة ولكني رأيت أن علو النفس تأبى علي استعمال هذه الأساليب الخسيسة وترفض هذه الوسائل الدنيئة ) وكان مير داد المسؤول الشيوعي البنجشير في الجلسة فأشار اليه الروسي قائلا : إن هؤلاء - بانعي الوطن - يتحملون كل النتائج، والآن أن الأوان أن بنفسوا عما في صدورهم من الأم وأحقاد تجاه هذه الطغمة الشيوعية التي باعت بلادها واستقدمتهم ليكونوا ضحية على مذابح أهواء نجيب وكرامل، وقدموا من الضحايا حسب اعتراف الناطق الرسمي مايقارب خمسين ألفا بين جريح وقتيل ودعك عن الطائرات المحطمة التي بلغت حسب إحصائيات الدوائر الرسمية الأمريكية والباكستانية من خلال أجهزة التنصت والأقمار الصناعية في التقرير الأخير في شهر أغسطس سنة 1988م ألفين وثمانين طائرة ومثلها تقريبا من الطائرات المستهلكة وسبع عشرة ألف دبابة ومدرة واحدة وعشرين ألف ناقلة ، ولا تسئل عن الأموال التي أنفقت وذهبت أدراج الرياح .

يحدث أختر محمد ويؤمن القادة على صحة كلامه فيقول :لقد وصلت التسعيرة الأخيرة للحزب الشيوعي الأفغاني عند الروس في الأيام الأخيرة كالتالي :

- (1) القادة الكبار الذين يشكلون جهاز المخابرات (خاد) ثلاثة آلاف روبية أفغانية (خمسة عشر دولارا ) .
  - (2) القادة الصغار : ألفا روبية أفغانية ( عشرة دولارات ) .
  - (3) الجنود الشيوعيون : خمسمائة الى ألف روبية(دولاران ونصف الى خمسة دولارات) .
- فإذا كان ثمن البغل في أفغانستان يساوي خمسين ألف روبية أفغانية فهذا يعني، أن (البغل بمائة شيوعي) .  
قال أختر محمد : ففي الأيام الأخيرة كانت (بوستة : مركز) للشيوخ الأفغان اسمها بوستة (حسين) وكانت تؤذي المجاهدين كثيرا فذهب المجاهدون الى الروس لشراء المركز الأفغاني فطلب الروس ثمانين ألف روبية ( أربعمئة دولار) فلم يتفقوا . وفي اليوم التالي ذهبت مجموعة أخرى من المجاهدين وقدمت للقائد الروسي (مسجلا وثلاثة أحزمة وسط) فتقدم الروس بالدبابة ودكوا المركز بمدافعهم ، ثم تقدم المجاهدون وقتلوا وأسروا وأسروا وغنموا 12 "كلاشنكوف" و" دوشكا" (سلاحا ثقيل) ولأسلحي وعاد المجاهدون يحملون الغنائم والروس يهتفون :  
زنده باد مجاهدون ( يعيش المجاهدون ) .  
وحدث لال محمد قائلا :

في قرية ( توتم دره / غوربند) باع الروس للمجاهدين شاحنة قادمة للحكومة الأفغانية مليئة بالملابس والفحم الحجري بصندوقين من العنب .  
حدث "سيد ظفر " قائد "سالانج" فقال :  
قال لنا الروس : دعونا وحالنا وشأنكم مع بني قومكم من الشيوخ ، خذوا من السيارات من الطريق العام ماتشؤون .  
وحدث أختر محمد قائلا :  
لقد اشتريت أكثر من عشرين مرة أنا والمجاهدون مراكز شيعية بمسجل ويتقدم الروس يدكون البوستة بالدبابة فيدكون المركز ونحن نركب معهم ثم نتقدم ونأخذ الغنائم والروس يهتفون لنا: (يعيش المجاهدون) .  
وكم من مركز للشيوخ باعه الروس بثلاث دجاجات أو شاة !!

بيع الطريق العام :  
وحدث أختر محمد والقادة يؤمنون أن الروس يضمنون الطريق العام (بييعون مايمر فيه من السيارات لمدة يوم أو ساعات ) للمجاهدين وقد اشترى عبد الناصر من الحزب الإسلامي الطريق الوطني (الأوتوستراد:العام) بمائة ألف روبية لمدة ساعتين وأخذ عشرين سيارة .  
ويشتري نورز وعبد القيوم الطريق العام يوميا - من الروس - بخمسين ألف أو ستين ألف روبية (مائتان وخمسون دولارا ) .  
فيأخذ السيارة بما فيها فإن كانت السيارة للحكومة أخذها وما فيها وإن كانت خاصة وفيها صاحبها أخذ ما فيها وأعطى السائق ورقة أني أخذت حمولتها فيأتي السائق بالورقة التي امضاها قائد المجاهدين فتعطيها الدولة الشيوعية أجره سيارته .  
قال أختر محمد : وقد اشتركت مع بعض المجاهدين في شراء الطريق العام ذات يوم ولكن وللأسف كانت السيارة التي أخذناها محملة بالإسمنت فحزنا لذلك .

موقف الحكومة الشيوعية :  
وقد أصبح موقف الحكومة (نجيب) والحزب الشيوعي جد هزيل فصارت تتظاهر بالإسلام وفتحت باب التجارة الخارجية للتجار على مصراعيه فأضحت كابل سوكا دولية للبضاعة العالمية فنجد في أسواقها البضاعة الغربية والشرقية على السواء ففيها الصناعات اليابانية والبريطانية والكورية والصينية والروسية وقل ما تتفقد سلعة إلا وتجدها في أسواقها مع أنها دولة اشتراكية تقف دون التوسع الاستهلاكي وتحول دون التجارة الخارجية إلا في أضيق الأطر وما ذلك إلا لتخفف على الناس من آلام المعاناة وتنسبهم الواقع الأليم الذي يحيونه.

وقد ذكرنا من قبل أن نجيبا - رئيس الجمهورية- أصدر مرسوما يقضي بفصل أي موظف يتغيب ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة.

السيطرة على ممر سالانج :

واستولى المجاهدون على ممر سالانج وأمسكوا بالزمام وحطموا في شهر مارس أربعمائة سيارة من بينها عشرون دبابة وقطعت المواد الغذائية عن كابل وأصبحت كابل تنن تحت وطأة الجوع ونقص المواد الغذائية ، فصارت الشاحنات الروسية تفرغ حمولتها في بولخمري / بغلان وتتصل بالحكومة الشيوعية في كابل حتى تستلم هذه البضائع ولكن وزارة التموين في كابل تقول : أنا لا أستطيع أن أوصولها الى كابل وتعتذر روسيا عن ابصالها الى العاصمة وعندما يعلم المجاهدون بتفريغ الحمولة في بولخمري يتصلون بوزارة التموين في كابل : لنن أفرغت الشاحنات في بولخمري لن تصلكم شاحنة فترد عليهم الوزارة : (نحن نلتزم بما ترون اسمحوا لبعضها بالمرور وخذوا بعضها هكذا كان يحدث الكومندان عبد البصير قائد من سالانج ونحن نصغى اليهم مندهشين متعجبين . وهذا الوضع جعل الناس في كابل يصرخون في وجه الحكومة ( ام ا أن تؤمنوا لنا العيش واما أن تسلموا البلد لغيركم).

حصاد السنين بالنسبة للشيوعية :

وهكذا عاد الحزب الشيوعي يجني حصاد السنين فلا رضي عنه سيده الحاكم في الكرملين كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال اني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين الآية (16) الحشر.

ولا رضي عنه الجيش الذي يعتبر أن الشيوعية هي :الدمار وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وتدمير المساجد .  
وحيثما سرح الفلاح الأفغاني العادي نظره : يجد أن المأسي التي تغمر المجتمع بأسره ليس لها الا سبب واحد وهو : الشيوعية (برشم وخلق).

فقد كان الأفغاني قبل سني حكم الشيوعية اذا ترمى الى مسامحه كلمة كفر ينصرف ذهنه الى اليهود والنصارى والمجوس والهندوس . وما كان يدور بخلده أن الشباب الذين كانوا يملأون جنبات كابل دوبا وصراخا أثناء المظاهرات ممن يعتنقون الفكر الشيوعي هؤلاء من الكفار وأما الآن فإذا أطلقت كلمة الكفر فلا ينصرف ذهنه إلا إلى برشم وخلق .  
ان الأفغاني يلتفت حوله ليتفقد والده فيتذكر أن تراقي الشيوعي هو الذي دفنه حيا واما أمه فقد دفنت تحت ركام البيت أيام حفيظ الله أمين ، وأما اخوانه فقد استشهدوا أيام كارمل . وهذه ابنته التي شوهت بالنابالم وهذا ابنه الذي شل بشظية من الشظايا . كل هذا يغرس في أعماقه احقادا على الشيوعية الكافرة لاينفسها إلا الانتقام ولذا فإذا من الله على أفغانستان بالحكم الإسلامي ووقف الحاكم الإسلامي في كابل ليقول اذهبوا فانتم الطلقاء . فان هذا لن يؤمن الشيوعيين على دمائهم ولن يحفظ لهم أرواحهم ،لأن كل أفغاني موتور على هؤلاء يريد أن ينفس عن مأسية بالانتقام من قاتل أبيه . ولذا وكماظن :  
لن يبقى شيوعي واحد حيا في داخل أفغانستان .  
وكما قال الشيخ يونس خالص ( نحن الأفغان إن أخذنا بثأرنا بعد مئة سنة نكون قد استعجلنا ).

الحقيقة المرة :

والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة أنه لم يعد لهم بقاء في داخل أفغانستان ، وأصبحت الحياة شبه مستحيلة بالنسبة لهم خاصة وحكمهم يلفظ أنفاسه محتضرا على فراش الموت .  
ولذا فقد أصدر مجلس الوزراء الشيوعي أخيرا قرارا يسمح لكل مواطن أن يأخذ جواز سفر يمنحه حرية التنقل والخروج، وتتوالى الأنباء عن طوابير الشيوعيين المصطفة بأية دائرة للجوازات كل يريد أن يفر بروحه من هذا البلد الذي أغرقه بالدماء وفرشه بالأشلاء . وأخذ الشيوعيون يصفون املاكهم ويحاولون أن يحصلوا على مبلغ من العملة الصعبة يؤمن لهم بقية حياتهم في دولة من دول أوروبا الشرقية .

محاولة يائسة :

وتقدم مجلس الوزراء بطلب إلى السيدة الحاكمة روسيا أن تتمهل في سحب قواتها من أفغانستان ويلتمسون بكل وسيلة دليلا لها أن تحفظ لهم بقية حكمهم المتهتر المتروخ .  
وقدم الطلب الى وزير الخارجية السوفييتي "شيفرنادزه" فيرفض أن يتسلم الورقة بيده .  
وهكذا وقف الشيوعيون يتجرعون غصص حصاد عقد ونصف من الزمن ، فيفقرون أمام روسيا ناكسي رؤوسهم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي . والسادة الروس الذين في أفغانستان يطلعون عليهم (وطن فروش : بائعي الوطن) ومن جهة أخرى امام شعب يتلمظ غيظا وغضبا ينتظر الساعة التي ينقض فيها عليهم ليبيد خضراءهم ويهلك حرثهم ويجتثهم من الجذور .  
والحق: ان الشيوعيين الأفغان فشلوا في بيع أفغانستان للروس فباعهم الروس للمجاهدين.  
ولم أر الآية الكريمة:

لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون  
الآية (16) فصلت.

متمثلة في مجموعة أكثر منها في الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام .  
وماجمل مايقوله أبو الطيب فيهم :

ذل من يغيبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام  
وصدق الله العظيم :

... ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الأبصار  
الآية (2) الحشر

مسيرة عقد

في جفن الردى \*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الخمسون- جمادي الأولى 1409هـ، الموافق يناير 1988م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فنحن الآن على أبواب عام عاشر منذ الدخول الروسي إلى أرض أبي حنيفة، أما الانقلاب الشيوعي فقد مضى عليه عشر حجج ونيف، وقد كتب الله لي أن أواكب هذه المسيرة المريرة على طول هذا الطريق الدامي نيفا وسبع سنين ذقت في دربها مالم أنق قط في حياتي، ذقت الحلاوة في مرارتهاء، واستعذبت العناء في عذابها، وكنت أحس بأن ثقل الأحداث التي تلقي بكلكها على عاتقي تصفي النفس من غواشيها وتنضج الروح على حرارة محنتها:

عذابه فيك عذب      وبعده فيك قرب  
أنيت الجهاد الأفغاني ولم يخط الشيب في عارضي، ولهول مارأيت فقد اشتعل الرأس شيبا، لقد عايشت الجهاد الأفغاني في هذه الفترة يوما يوما بأعصابي وقلبي ومشاعري وأحاسيسي وصرت أردد مع أبي الطيب:

لم يترك الدهر من قلبي ومن كيدي      شيئا تنيمه عين ولاجيد  
وقد درنا مع الدهر فرأيت من رفع ومن وضع، وكنا نتقلب بين أعطاف نعيم النصر أحيانا، ونتجرع غصص الهزيمة أخرى، صاحبنا فيها المجاهدين من القادة إلى الجند، حتى أصبحت أرواحنا واحدة مفرقة في جسوم كثيرة، والشعب الأفغاني بطبيعته قريب إلى القلب، تهواه الأفئدة، لأنه يحمل في طيات جبلته سجيا قل ما توفرت في شعب آخر، ولم تقسد فطرته سيول المدنية الغربية التي تجرف كل ما يواجها من قيم وتغسل ماتلاقيه من مبادئ ومثل.

عرفنا في الشعب نخوته وإباءه، وعزته وصفاءه، وكرمه وحياءه، وغيرته ووفاءه رغم أن البعض كان يعتب علينا أحيانا، ويجد أخرى، ولكن محبة هذا الشعب هي السمة البارزة في شغاف القلب طيلة هذا العقد. تجاوزت فيها عن سفاسف الأخلاق، لأنني منشغل بالقضية بضخامتها وأهميتها وعلو شأنها في العالم المعاصر (إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها) (1).

وكنيت أبان هذه الفترة ازداد اعجابا بهذا الشعب لأنه رغم الارزاء الفواح، والأصاحي التي تقدم لهذا الدين والذبايح على سفوح الهضاب والصفائح، فإن الإصرار العنيد لايفارق همته، والعز المجيد لايعادر لمتة. ويواصل المسيرة مع القرع، وحداه طول الطريق المرير

ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .

الآية (139) آل عمران

ونشده في هذه المسيرة المضنية:

أطرح المجد عن كتفي وأطلبه      وأترك الغيث في غمدي وأنتجع (2)

والمشرفية لازالت مشرفة      دواء كل كريم أو هي الوجع (3)

شعب طحنته المصائب، وصبت عليه النوائب، عاش بين فكي الكماشة، وهصرت نضارة حياته رحي الحرب، في تجاعيد جبينه تقرأ ملاحم الآلام العميقة، وفي قسماط وجهه تلمح التاريخ المعاصر كوثيقة.

لقد كانت المسيرة سفينة أشرعت فوق أبحر الدماء، ومركبا تقاذفته أمواج البلاء وطريقا انداؤه الدموع والعرق وزاده الغصص والعناء ولكن:

هي نفرة كالتى من طابة حطمت      هام الطغاة ودوى بعدها الظفر

تدافعت وحداها المجد واتزرت      بالبيض تسبقها الخطية السمر(4)

وكنيت طيلة المسيرة المريرة ارى بعين البصيرة وكأن يد الله تدير المعركة، وبقيت أحس من أعماقي أن قدرة الله وراء هذا الشعب المسحوق ظلما.

القوارع الربانية على روسيا :

أقبلت بخيلها وخيلائها، وصلفها وكبريائها، وجبروتها وانتفاخ عليائها، ثم رأيتها باندحارها وصغارها وذلها وهوانها، بعد أن أعادت ضربات المجاهدين فوق هامها الوعي الى رأسها، ورأيت العد التنازلي للعسكرية السوفياتية بعد أن مزقت شر ممزق في أرض البطولة والفداء.

شاركت المجاهدين بفرحتهم بهلاك "بريجنيف". ثم باندثار "اندرووف" ثم بقطس "شيرننكو"، ثم بذل "غوربتشوف" ورأيت بد الله وهي تنتقم بقوارع السماء من جذور البلاء وصانعي الشقاء للأبرياء.

رأيت انفجار المفاعل النووي في شيرنوبل الذي أفسدت آثاره كثيرا ، ونغصت على أهل أوروبا عيشهم.

ورأيت الزلزال الأخير في "ارمينيا" الذي لم تشهد له روسيا نظيرا في كل حقباتها التاريخية وكان الدمار الذي خلفه والخراب الذي انتجته مئات الأضعاف من انفجار شيرنوبل. هلك مائة ألف، ومات ثلثا سكان العاصمة (لينين كن) وحمل الزلزال المساكن ثلاثة أقدام وألقاها إلى الجبل فارتطمت به ثم عادت لتخسف بها الأرض، وتشرذ نصف مليون من ارمينيا وافتتحت روسيا حسابات لجمع التبرعات في كل مكان، وجاءت طائرتان للأغاثة فتحطمتا. وهكذا سخط الله بتصيب، ولعنته تنتزل عليهم لأنهم وقفوا أمام ولاية اذربيجان الإسلامية.

رأيت تاجكستان وتركستان الغربية تهتز لأن الحياة قد دبّت فيها، والروح سرت في أوصالها بسبب اضطرار روسيا لفتح الجسور مع صنيعتها في كابل، وتسربت الكتب الإسلامية والمصاحف لتقرأها ذراري المسلمين فيرتبطون بدينهم وتاريخهم ويدخل المجاهدون ويجرون العمليات العسكرية على مشارف بخارى، وتبدأ المظاهرات ويقتل المئات من تاجكستان، وتضطر تاجكستان أن تبدأ بالاذان باللغة العربية بعد أن غاب هذا الصوت أكثر من نصف قرن، وبدأت الإذاعة تقرأ القرآن وذلك تسكينا لشعب تاجكستان وإرضاء لمشاعرهم.

الصنم الذي هوى :

ورأيت ورقة الشيوعية تحترق في أفغانستان نهائيا بعد أن مرغت في الأوحال وديست بأقدام الأبطال الذين يحلو لي أن أنشد لكل واحد منهم:

تلقاه بقطر سيفه وسنانه      وبنان راحته ندى ونجيعا (5)

ورأيت الدمار الذي حل بالحزب الشيوعي والتمزق الذي أصابه والبأس الشديد الذي ألقاه الله بين أفرادها يصفي بعضهم بعضا ، ورأيتهم يستجدون رحمة المجاهدين ويستعطفون قادتهم، رسائل بابرک ونجيب تتوالى تترى إلى المجاهدين يتوسلون إليهم أن يجلسوا معهم وأن يطرحوا أمامهم مشاكلهم وجند الله يستعملون بايمانهم ويأفون أن ينزلوا مع هؤلاء الأنكاس الأنجاس، ورأيت الروس يبيعون الشيوعيين الأفغان كالكلاب التي يقتلها صاحبها اذا كلت أنيابها عن النهش أو عجزت عن الحراسة.

العزة والشموخ :

ورأيت كيف لفتت بطولة الأفغان وعزتهم أنظار العالم إليهم حتى أصبحت قضيتهم أكبر حدث يشغل العالم ومؤسساته. وعاشنت الأحداث وواكبت المسيرة ورأيت عزة السلف وشموخهم ممثلة في أبنائهم فرأيت كيف رفض حكمت يار مقابلة "ريغان" وكيف واجه سياف بعزة المسلم واستعلائه ارماكوست - وكيل الخارجية الأمريكية- والصفعات التي وجهها إليه، ورأيت يونس خالص كيف رفض مقابلة كوردفيز، ورأيت رباني وهو يرد على روسيا بعزة وإباء في داخل أروقة الأمم المتحدة. وسمعنا رده وهو رافع الرأس ناصع الجبين على غورباتشوف. والنشيد العذب على لسان كل واحد منهم: وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

المكائد والمصائد :

ولمست بيدي مؤامرات العالم على هذا الدين وهم يرتعدون رعبا اذ يرون دين الله قادما بخطى حثيثة نحو الحياة ليأخذ بيده المقداد ولتسلس له الناس القياد رأيت الكيد تجاه الاسلام، وأبصرت أعداء الله يعرضون أصابع الندم إذ لم يخنقوا هذا المولود المبارك قبل أن يولد، وكيف تركوا هذه الشجرة تضرب بجذورها وتستوي قائمة على أصولها دون أن يجتثوها. سمعنا "نيكسون" يقول على شاشة التلفاز (ان العدو الحقيقي هو الاسلام ولا بد لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا حتى تواجه الاسلام) ! وكتب شخترمان اليهودي الأمريكي:

We have Awaken the Giant ؟What We have done)

ماذا صنعنا ؟ لقد أيقظنا العملاق.

ثم كانت مؤامرة جنيف لإيقاف الجهاد، فاشتعلت ناره بعدها وزاد ضرامه ليرى البشر أن المقادير بيد الواحد القهار وليس للبشر من الأمر شيء، ثم قتل ضياء الحق. محاولة من الغرب أن يطفئ نور هذا الحق يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون الآية (8) الحشر.

والآن نحن على أبواب كابل:

وأمل من الله أن يكون هذا العام هو عام الفتح، إذ أن كل المدن في أفغانستان محاطة إحاطة السوار بالمعصم من قبل المجاهدين وهي تترنح لتسقط بقيادتها الشيوعية تحت أقدام الأباة الكماة الغر : لا أبعد الله عن عيني غطارفة جن ا إذا ركبوا إنسا اذا نزلوا ونحن نرى بفضل الله الأمل فوق رعوس البييض (6) والأسل (7)

روسيا والعد التنازلي :

وأخيرا وبعد أن بنست روسيا أن تحسم القضية عسكريا فقد طلبت بنفسها أن تقابل المجاهدين وجها لوجه في الطائف وعلى قدم المساواة مع المجاهدين، ومبدأ المفاوضات لا غبار عليه من جهة الأصل لاشرعا ولا مصلحة -ولكن بشروطه الشرعية التي نص عليها الفقهاء والتي لا يتسع لها هذا المقال-.

والآن هذه أفغانستان :

أبطالها لكثرة ماعانوا كأنهم ظلال ، بناؤها لما أصابه من الدمار كأنه أطلال أنضأت طلت دمعهم أطلالهم فتخالهم بين الرسوم رسوم (8) كم من الأرجل سقطت بسبب الثلوج لأنها لاتجد الحذاء؟ وكم من ثاكل فقدت وحيدها لاتجد رغيفا يسكت جوعتها؟ كم من بيت تهدم فوق أهله فلم يبق منهم سوى طفلة صغيرة لاتعرف لها أهلا ؟ كم من شاب أو قائد طالما زلزل الأرض تحت أقدام روسيا ومع هذا فعندما جرح لم يجد أجرة توصله إلى مكان علاجه؟ لقد مر علي المجاهد شاه سليمان وقد اسقط خمس طائرات في يوم واحد لا يجد العلاج فتلك ربوعهم بالدافق الموار تغتسل وتلك جماجم الاطفال تسحق وهي تبتهل وكل قذيفة يشدو على أنغامها الأمل ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل ومع هذا فلم تلت لهم قناة ولم تهن لهم شكيمة: وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين الآية (146) آل عمران.

كلمة من الأعماق إلى كل مسلم :

إنه من العار على أمة أن يكون بعض بنيتها يخطون تاريخها بالدماء ومع هذا فلا تقدم لهم الأمة ثمن الضمادات التي توقف نزيفهم، ومن الإثم على أهل ملة أن يكون إخوان العقيدة فيهم درعا لدينهم ودثارا لملتهم وشعارا لعزتهم ومع هذا فإن أبناء ملتهم لا يقدمون لهم ثمن الطعام، ولا يتكفلون لهم بالكساء ولا بلقمة الغذاء.

فماذا على المسلمين ؟..

ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة دين الله في الأرض مقدار مصروف ابنته الصغيرة؟ وماذا على المسلم لو اعتبر الجهاد الأفغاني كمولود جديد حل على أسرته؟ ماذا على المسلمين لو أخوا تغيير نوع السيارة ؟!! أو تجديد غرفة النوم؟ أو طاقم صالة الضيوف؟ وهل يصوم المسلمون عن المرطبات ويدفعون ثمنها لبناء حصون المجد وقلاع المكرمات ؟ ونحن نهيب بإخواننا المسلمين أن لا يتركونا على أبواب كابل وينكصوا، وأن لا يخذلونا ويدعونا فرادى نواجه المعارك المصيرية واللقاءات الحاسمة.

انها أيام حاسمة في دورات الزمن وصفحات مشرقة في جبين التاريخ فاصغوا أيها المسلمون إلى النداء الرباني الجليل ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

- (1) رواه الحاكم في المستدرک. وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1378) وفي صحيح الجامع برقم (1885).
- (2) أنتجع : أطلب الكل أي كيف ألقى المجد الذي يحققه لي الجهاد ثم أبحث عنه، وأترك الرزق الذي يحققه لي السيف ثم أبحث عنه.
- (3) المشرفية : السيوف.
- (4) البيض : السيوف ، الخطية السمر: الرماح.
- (5) البنان: الاصبع، الراحة : الكف، ندى : كرم ، نجيع : دم
- (6) البيض : السيوف
- (7) الأسل : رموس الرماح
- (8) أنضاء : مهزولين ، طل ت: أروت ، أطلالهم : آثار بين بيوتهم ، أي أن هؤلاء القوم قد روت دموعهم هذه الربوع فكأنهم أشباح بين هذه الآثار.

والله غالب على أمره\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الحادي والخمسون- جمادي الثانية 1409 هـ الموافق يناير/فبراير 1989م].

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد.  
فعلى أبواب كابل تصطف الجياد وقد احكم الفرسان لجمها والمقاد، والطيران لا يهدأ في ليل ولا في نهار، وقلوب القوم مذعورة من الأبرار.

قيام بأبواب القباب خيولهم وأشباحهم في قلب أعدائهم تجري  
وقد أشام كل ليث مهنده، يرى في بذل دمه مجده وسودده، والحق قد اتخذ أهيته وعدته، وعيون الصراغمة ترمي شررا وتقدح شررا ،  
وتتلطم غيظا ترتب الساعة التي تقفز قفزتها لتقصم ظهر الكفر بضربتها، ولسان القوم ينشد لحنه العذب الذي تحيا على أنغامه الأمم،  
وتصقل من خلاله النماذج والقمم  
ولن أصلحكم مادام لي فـرس و اشتد قبضا على السيلان (1) إيهامي  
إنها لحظات حرجة يلتقط فيها التاريخ أنفاسه ويمسك بقلمه منتظرا ماذا يسطر في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية بل تاريخ العالم أجمع.  
وعجلة التاريخ تقف على مفترق طريق إم أن تطوي الكفر وتمضي على بركة الله لترفع راية الإسلام من جديد وتحيا طارف (2)  
مجده والتأيد(3)، وان كانت الأخرى لا قدر الله فحسبنا الله ونعم الوكيل وهو العليم الحكيم، ينظر إلى القلوب والنفوس ويهبها ويعطيها حسب ما يصلحها ويصلح مجتمعا.  
ونحن الآن ننعم بأعظم خارقة حصلت خلال القرون الثلاثة الأخيرة تقريبا وهي انتصار شعب مسلم أمي فقير على أشرس واقتك طاغوت في الأرض.

ففي معركة بين (أشرف شعب وأشرس دب) ورأس مال هذا الشعب توكله على الله، وأما عزته التي تتناطح السحاب فهي فريدة الزمان وأما إياؤه وأنفته فتلك لا يكبحها عنان وغوربتشوف وأركان جيشه والجنرالات في أرض كابل الملتهبة بصرحون: أن دخول أفغانستان كان خطيئة -كما صرح غوربتشوف- وأن الهزة الاقتصادية التي يتعرض لها الاتحاد السوفياتي كانت بسبب القتال في أفغانستان، ويصرح أحد الجنرالات الروس في كابل: أننا خسرنا بدخولنا كابل ولم نحقق السلام الذي كنا نحلم به وننشده.  
ولقد عانى غوربتشوف وجهازه الحاكم الآن في إيجاد تبرير معقول للانسحاب ومقبول لدى الأمهات اللواتي تكلن أبناءهن في هلمند وهرات والنساء اللواتي تأمين بقتل بعولتهن في بلخ وطالقان، والأفلام الوثائقية التي وصلت تصور لك مدى الحرج الشديد الذي يواجهه غورباتشوف بالانسحاب ولدينا فيلم يصور النساء اللواتي يندبن حزنا ويدفن الدموع حسرة على أرحامهن الذين غيبيهم الثرى في ذرى الهندوكوش. وأما الحكم الشيوعي في كابل فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وكان الشاعر يعنيه بقوله:  
يسأل أهل القلاع عن ملك قد مسخته نعمة شارد  
تستوحش الأرض أن تقر به فكلها آن ه له جاحد(4)

والدب الروسي منسحب لامحالة -بإذن الله- ولا يمكنه الاستمرار أبدا في داخل أفغانستان.  
والحكم الشيوعي الأفغاني لن يلقى السلاح لأنه يدرك تماما المصير الذي ينتظره بعد الهزيمة، ويتوقع كثير من المراقبين أن المعارك التي تنتظرها أفغانستان في الأشهر القليلة القادمة ستكون شرسة ضارية، وذلك لأن الحكم الشيوعي سيضرب ضربات اليأس من الحياة ولذا فإن طعناته ستكون موجعة وصفعة الجبان عادة مؤلمة والقط عندما يحس بالخطر فإنه يصبح أسدا لأنه يتشبث بالحياة بكل وسيلة وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جيانا

وبعد أن يؤس الروس من تأمين انسحابهم ومن تأمين عملاتهم فإنهم اشتدوا شراسة ولكن على الأطفال والنساء، ولقد جاءتني رسالة من كندز تنبئنا أن الروس قاموا بمجزرة هناك في مديرية إمام صاحب ذبحوا فيه بالسكين النساء والأطفال وقتلوا ما يقارب أربعين إلى الخمسين من العجزة والقواعد.

وكذلك فقد قصف الروس القرى المحيطة بممر سالنج حتى بلغت الضحايا ألف قتيل من العزل المدنيين وهذه القرى لم تكن قد قصفت من قبل، وقد كان القصف غاية في الوحشية والعنف والدب الروسي معروف بعنجهيته وصلفه وخبثه  
عليه من اللؤم سروالـة فليس يرق لمستعطف -ف

الذخائر المكسدة :

إن روسيا تحسب ألف حساب لترسانة الأسلحة والذخائر التي كومتها في مخازن الدولة الشيوعية وهي في المقابل ستدفع الدولة الشيوعية الأفغانية إلى محرقة لا يدرك هولها حتى تضمن انتهاء هذه الذخائر المخزنة التي بين أيديها وبين أيدي المجاهدين وحتى تبقى دولة المجاهدين القادمة وكأنها منطقة معزولة السلاح.

أما المجاهدون: فهم ينتظرون ساعة الانقضاض ليجهزوا على الحكم الشيوعي الهش، والحق أن هذا الشعب قد حمل من أصيل السمات ماجعله فريدا بين الأمم، وأكثر ما يهز هذا الشعب إعجابا الشجاعة والوفاء.

ولذا خاب الذين حاولوا قياده من خلال الجيوب وألسل المقاد للذين خاطبوه بالمحبة من أعماق القلوب.

فلا تستنكرون له ابتساما إذا فهق المكر دما وضاقا(5)

فقد ضمنت له المهج العوالي وحمل هم الخيل العتاقا (6)

عقبات الطريق :

ويكاد المراقبون يجمعون كما قال كارلوتشي - وزير الدفاع الأمريكي - على ثلاث قضايا:

1- الانسحاب الروسي.

2- سقوط الحكم الشيوعي.

3- وصول المجاهدين إلى الحكم .

ولكن ماذا بعد؟ فهناك العقبات الجمة التي تنتظر دولة المجاهدين القادمة:

منها العقبات الخارجية وتواكبه المتاعب والمصاعب الداخلية ولن نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض للمشاكل الداخلية وسنكتفي بذكر العقبات الخارجية: وعلى رأس هذه العقابيل:

- الرعب العالمي من حكومة المجاهدين الأصوليين المتطرفين كما يحلو لأجهزة الإعلام أن تطلق عليهم.

- واليهود أكثر أعداء الله هلعاً من نتائج هذا الجهاد الذي سيفرز قيادات إسلامية أصيلة - إن شاء الله- واجتزئ هنا ببعض شذرات مما فلت على ألسنتهم من حقد وما سال على أسنة أقلامهم من غيظ على الاتجاه الإسلامي.

فقد كتبت "الجبروزلم بوست بتاريخ 25/9/78 مقالا لحاييم هيرتسك (السكرتير اليهودي السابق) في الأمم المتحدة تحت عنوان (حتى لانخسر الأصدقاء ونشد على عضد الأعداء)، قال فيه: (إن جهوداً كثيرة بذلت لكبت نشاط الحركات الإسلامية ولكن الأحداث الأخيرة في المنطقة الإسلامية وعودة الاتجاه الإسلامي يمارس نشاطه على نطاق واسع في مصر وأفغانستان وسوريا وتركيا وإيران وغيرها قد أظهرت أن جميع الأساليب التي اتبعت لكبت نشاط الحركات الإسلامية كانت فاشلة على المدى البعيد رغم ماحققته من نجاح لفترات قصيرة).

وكتبت "يدعوت احرنوت" الجريدة اليهودية في 18/3/78 (هنالك حقيقة هامة وهي جزء من استراتيجية اسرائيل في حربها مع العرب وهي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طول ثلاثين عاماً ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش.

وستجد اسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو إذا قتله يهودي).

وكتبت "الصنداي تلغراف" البريطانية في 17/12/78 مقالا بقلم "بيرغرين دورستون" قال فيه (إن الغربيين يقعون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين لأن الخطر الحقيقي الوحيد الذي يهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين).

ونقلت القبس الكويتية عن وكالات الأنباء العالمية خطاباً لموشى ديان - وزير دفاع اسرائيل الهالك - في 26/1/79 قال فيه:

(إن على دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة أن تعطي اهتماماً أكبر لاسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورة الإسلامية التي بدأت من ايران والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أية منطقة أخرى في العالم العربي وربما في تركيا وأفغانستان أيضاً).

ويقول "بريجينسكي" - مستشار البيت الأبيض (إن الادارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ ازاء تزايد نشاط الحركات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام أن يلعب دوراً مؤثراً في السياسة الدولية)، جريدة الرأي الأردنية 21/1/79 نقلاً عن واشنطن بوست.

ولانسى أن الإدارة الأمريكية أوفدت رئيسين سابقين وهما نيكسون وكارتر لدراسة أوضاع الجهاد الأفغاني فعاد نيكسون وفي مؤتمر صحفي على شاشة التلفاز قال (إن أكبر عقبة تواجهنا هي الإسلام ويجب أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتقف في وجه الزحف الإسلامي).

ولانستطيع الاستطراد في هذه الشواهد، فمعاهدة جنيف بترتيب اليهودي الأمريكي الروسي الأصل "ارنولد هامر" وذلك لايقاف الجهاد الأفغاني وقد وقت بداية الانسحاب بذكرى قيام دولة اسرائيل في الخامس عشر من أيار، وقد قدم تقرير قبلها إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي يقول:

(إن استمرار الجهاد الأفغاني خطر على مصالح أمريكا).

إن دولة المجاهدين القادمة -والله أعلم- ستواجه الدنيا بأسرها بخططها وأحبابها ومكائدها وحقدتها، ولن يسمح هؤلاء الأعداء للدولة الفتية أن تنوق طعم الراحة أو تنعم بلحظة استقرار. ما استطاعوا فإذا كانت أمريكا ودول الكفر قد اطبقوا على تصفية الرئيس الراحل ضياء الحق - رحمه الله - لأنه اجتهد في محاولة اخراج القنبلة الذرية (التي يسميها الغرب القنبلة الإسلامية) ولوقفته الصامدة الشامخة بجانب الجهاد الأفغاني ولأنه أعلن جادا قبل مقتله بأشهر أنه سيطبق الشريعة الإسلامية.

أترى هذه الدول ستقف مكتوفة الأيدي، وفيها الآلاف من ضياء الحق ويجمع شعبها على أن الإسلام هو دين الحياة عقيدة وعبادة ونظام حياة.

وستثير هذه القوى الغربية والشرقية -على السواء- الدول المكتنفة للدولة الإسلامية الوليدة وقد بدأت ايران تتحرك تطالب بنسبة الربع إلى الثلث في مجلس الوزراء للشيعنة وقد نسيت نفسها أنها حرمت أي سن ي أن تطأ أقدامه مجلس الوزراء الإيراني.

ولكن إيران تعرف من هم الأفغان؟ وقد بقيت المنطقة الشرقية منها تحكم لفترات طويلة من قبل الأفغان.

وأما الهند فهي ترتجف لمجرد رؤية عمانم الأفغان وقد صرح غاندي (إن قيام دولة إسلامية متطرفة خطر على أمن المنطقة كلها) والهند أكثر من غيرها ترهب الأفغان الذين كانوا إذا انتفضوا لايقف لغضبهم شئ حتى يدخلوا دلهي. وحسبك من قادتهم الذين أذلوا الهندوس محمود الغزنوي - الذي حطم صنم ساموناتا - وأحمد شاه بابا.

وأما باكستان فلا أظنها في وقت الحصاد تضيق ثمار المواقف المشرفة التي امتدت قرابة عقد من الزمن بجانب المجاهدين.

وخاتماً نقول:

إن اطمئناننا إلى رحمة الله بعباده وحبه لنصرة شريعته، وقوانينه التي لا تتخلف تجعل سرائرنا مرتاحة وصدورنا منشحة لقدر الله الجاري وناموسه الماضي في خلقه فهو يقول لنا:

وما كيد الكافرين إلا في ضلال

الآية (25) غافر

وما كيد فرعون إلا في تباب

الآية (37) غافر  
ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين .  
الآية (18) الأنفال  
وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليهما قديرا ،  
الآية (44) فاطر.  
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون  
الآية (21) يوسف.

- (1) السيلان : مقيض السيف
- (2) الطارف : الحديد
- (3) التلبد : القديم
- (4) الأنة : المثلث ، المتعب تحت الحمل الثقيل
- (5) فهق : امثلا . المكر: محل الكر والنزال
- (6) المهج : الأرواح. العوالي: الرماح . العتاق: الجيدة.

جاء الحق وزهق الباطل\*  
[نشر في مجلة الجهاد-العدد الثاني والخمسون- رجب 1409هـ، الموافق فبراير/مارس 1989م].  
حمدا لله يارب، نصرت عبدك، وأعززت جندك، وهزمت الأحزاب وحذك، سبحانه لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك،  
ما أدينا حق شكرك، وما عبادتك حق عبادتك، فآلهما اللهم في النعماء شكرا ، وانزل السكينة على قلوبنا في البأساء صبرا .  
وهكذا هزم أعداء الله، ونكست راياتهم، ومزقت كتائبهم، وتفرق شملهم، وهتكت أستار الهيبة التي تمثل نسيج العنكبوت حول الأصنام  
الكبرى والطواغيت العظمى ودحرت روسيا من أعماق أفغانستان بعد معركة استمرت عشر حجج، لقد كابر كثير طيلة المدة السابقة  
وهي تحاول أن تكتم أهاتها وتستعلي على جراحاتها، وتخفي آلامها وزفرتها، ولكن الصبر البشري له حدود، ومخالفة الفطرة أمر  
سريع الزوال يصطدم مع صخرتها ويحطم على قوانينها ونواميسها، ولقد كان الغزو الروسي لأفغانستان (أخسر صفقة من أبي غيثنان)  
الخزاعي الذي باع قصيا مفاتيح الكعبة بزق خمر.

البشر والقدر :  
إن البشر لا يملكون إزاء القدر ردا ، وليس لهم به حول ولا قوة، فقد قدر لي أن أتصفح جولات "كوردوفيز" المكونية بين واشنطن  
وموسكو وإسلام آباد وجنيف، ابتداء من يونيو 1982 حتى كانت آخر الجولات التي وصلت اثنتي عشرة جولة في الرابع عشر من  
إبريل 1988. فوجدت أن المحادثات كلها والاتفاقيات الأربعة التي كانت موضوع معاهدة جنيف قد أغفلت ذكر المجاهدين تماما وكأنهم  
غرباء عن القضية، بل لقد أشارت إحدى المعاهدات إليهم بوصف المرتزقة المتسللين عبر حدود باكستان إلى أفغانستان وحق لي أن  
أردد قول الشاعر:

وي قضى الأمر حين تغيب "تيم" ولا يستشهدون وهم حضور  
وما رأيت المجاهدين على الموائد الدولية إلا كالأيتام على مآذب اللثام، كل هذا قيل عام، وانقلبت بعد جنيف كل الموازين وتصيببت  
الانتصارات بعد أن أحكمت القوى الدولية الخناق وانبرى "جونجو" (رئيس وزراء باكستان السابق) يتحمل كبر تنفيذ المؤامرة الدولية  
بعد أن وقع على شرعية نظام كابل، وانطلق الملا من اليسار الباكستاني يقيم التفجيرات في الأماكن المأهولة بالسكان لتزهق أرواح  
الكثيرين من المدنيين حتى يعطوا الحكومة مبررا قويا وورقة ضاغطة للتعجيل بطرد المجاهدين والمهاجرين وإغلاق الحدود دون  
عبورهم، حتى استطاعوا أخيرا أن يعثوا بمخزن كبير للذخيرة في إسلام آباد ويفجروا الصواريخ التي بقيت تنطلق على مدينتي إسلام  
آباد وراولبندي تروع السكان وتقتل المارة وتدمر البنين.

محاولات لانقاذ الموقف العسكري الروسي :  
وقد حاول قادة "الكرملين" أن ينقذوا الموقف العسكري بدفع الهند للهجوم على باكستان عبر أعوام الجهاد المبارك فكانت الكرامات  
البرانية تنفذ الموقف بعد اشتداده وتأزمه.

- وقد كان أولى هذه الكرامات يوم أن قامت "أنديرا غاندي" تريد إثارة الحرب الشعواء على باكستان وبدأت تتجول على المقاطعات  
الهندية تثير الهمم وتشعل الحماس في نفوس الهنود، وفي اليوم السابع من هذه الحملة قتلت "أنديرا غاندي" على يد أحد حراسها السيخ  
وانقلبت المعركة داخلية بين السيخ والهندوس تآكل الكيان الهندي وتمزق وحدته.  
- وجاء "راجيف غاندي" وأراد مواصلة الطريق وقدمت له روسيا الترسانة الحديثة من الأسلحة من الطائرات والدبابات التي وصلت  
الآلاف وبدأت القوات الهندية تحتشد على الحدود الباكستانية منتظرة إشارة البدء فيسوق الله صحفيا غربيا يقابل العالم الذي يشرف  
على المفاعل النووي الباكستاني فيسأله عن المفاعل فأجابه: لقد صنعنا مئات القنابل الذرية.  
وفي نفس الوقت : أصدر المجاهدون الأفغان بيانا يهددون الهند ويحذرونها بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا حاولت الهند أن تعبت  
بالنار وكانهم ينشدون:

مفرشي صهوة الحصان ولكن قميصي مسرودة من حديد  
عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود  
فرعوس الرماح أذهب للغيط وأشفي لغل صدر الحقود  
وفجأة وإذا بالزئير ينقلب إلى نقيق حمير، وإذا بقعقة السلاح تنقلب إلى عواء ونباح.  
- وانتقلت المحاولات إلى إيران وحاولوا أن يعقدوا معهم معاهدة صداقة وحسن جوار لبشددوا الخناق على المجاهدين وكادت المحاولة  
أن تنجح لولا الله ثم انزلاق روسيا ببيع صواريخ بعيدة المدى إلى العراق ضربت بها طهران وقم، فكانت روسيا  
كالتى نقصت غزلها من بعد قوة أنكاثا  
الآية (92) النحل.

- وحاول العالم أن ينقذ مؤامرة جنيف من خلال باكستان فأبى عليهم "ضياء الحق" فسلطوا رئيس وزرائه الذي هدد بتقديم تقرير إلى  
أمريكا وروسيا يفصح لهم فيه عن موقف ضياء الحق المتشدد تجاه المؤامرة، وفكر ضياء حكما ذكر لي أحد مستشاريه- قائلا (أنا لا

أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلاً ( فركل حكومة جونيجو بقدمه، وقال مستشاره لي بأن ضياع قبل قتله بأشهر قال: (إن أمريكا قد وقعت أوراق قتلي) ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان ضياع يصطحب السفير الأمريكي معه في ترحاله ليكون رادعا لأمريكا عن تنفيذ مؤامرتها.

وق تل ضياع ومضى إلى ربه رافع الرأس بعد تلك الوقفة المشرفة التي وقفها كالطود الشامخ بجانب هذا الجهاد المبارك فخرج الله أن يغفر له ذنوبه بهذا الموقف المجيد.

ولكن القتل كان متأخرا بعد أن تجاوز الجهاد عنق الزجاجة وتعدى مرحلة الخطر وأقلت من قبضة القوى الدولية كلها.

العد التنازلي :

كان أول التنازلات إيقاف إطلاق النار من جانب الروس في الخامس عشر من يناير سنة 1987 فقبل بتصاعد هجمات المجاهدين على الكفار. ثم كان طلب المصالحة الوطنية التي قبلت بسخريه واستخفاف من قبل ليوث الغاب الخفاف. ثم كانت جنيف بمعاهداتها تجمع بإجماع العالم أن نظام نجيب باق، وأن المهاجرين سيرجعون، مغفلة تماما المجاهدين ولكن الانتصارات التي تنزلت من السماء في هذا العام أضعاف ما حققه المجاهدون في سنوات عديدة.

وهنا أرسلت روسيا رسولا (أحد كبار رجالات العالم العربي المحسوبين على الدعوة) يحمل في حقيبته طرحا على المجاهدين كشرط لانسحاب روسيا أن يرجع قادة الجهاد ليكونوا وزراء في حكومة نجيب فرفض الطلب من قبل القادة وكأنهم يقولون: ولن أصالحكم ما دام لي فرس واشتد قبضا على الصمصام إبهامي

ثم تنازل الروس إلى طلب حكومة مشتركة يشترك فيها المجاهدون والشيوعيين فكان الرفض بالحسام لا بالكلام. ثم نزل الدب درجة أخرى فطلب حكومة محايدة، فأجاب المجاهدون لن يحكم أفغانستان الأمريكان السمر (يعنون الأفغان الذين تربوا في الصالات الأمريكية ورتبت أوراقهم وراء الكواليس من خلال المحافل الماسونية أو الدولية).

ولقد وقف الشيخ يونس خالص موقفا مشرفا واجه به "أراماكوس" -وكيل الخارجية الأمريكية- قائلا : والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بحكومة محايدة، وأما سي اف فقد كانت ضربته أشد في المواجهة لأراماكوس حين قال: (نحن نعلم أنكم -الأمريكان- أخبث أمة على الأرض، وأنتم مصاصو دماء فقد قمتم بإبادة شعب بكامله واحتلال أرضه والنزول مكانه وهم الهنود الحمر، ونحن نعلم أنكم تهربون انتصار الإسلام وقيام دولته ولذا وقفتم إزاءنا هذا الموقف) وإذا بأراماكوس يحمر وجهه ويريد فبدأ يهذي قائلا : نحن نحب قيام دولة إسلامية.

ولم يلبس الروس مع الغرب في المحاولات. فطلب "فورتنسوف" وكيل الخارجية الروسية وسفيرها في كابل في مؤتمر الطائف دخول مجموعة من وزراء نجيب المعتدلين (ثلاثة أو أربعة) في حكومة المجاهدين حفظا لماء وجه روسيا ريثما يتم الانسحاب ثم أرفد "فورتنسوف" قائلا : وبإمكان المجاهدين طردهم بعد خروجنا، فرفض المجاهدون، وأعلنوا في مؤتمر صحفي: إننا لن نجلس مع الروس بعد اليوم على مائدة المفاوضات وكانت صفقة سياسية شديدة في وجه روسيا الذي مرغ بالأحوال وديس بنعال الأبطال في ميدان النزال.

أي عزة هذه التي امتطى صهوة جوادها هؤلاء الصيد المرازية الجحاح (1) أي قمة تربع عليها هؤلاء الغطرفة المهتدة الصفائح (2) : أي مجد قد ناله هؤلاء الشم البطارقة المسامح؟ (3) إنها عزة المجاهد في سبيل الله.

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد بنتجه الاسراء والسهر  
وكان الطلب الأخير من وزير الخارجية الروسية "شيفراناز" أن يشترك بعض الشيوعيين في مجلس شورى المجاهدين الذي انعقد في إسلام آباد.

مؤتمر الشورى:

في مدينة الحجاج (إسلام آباد) المنعقد بين العاشر إلى الرابع والعشرين من فبراير 1989:  
ولقد اجتمع مجلس الشورى الذي يبلغ عداة أربع مائة وأربعين نفرا في إسلام آباد لإقرار حكومة المجاهدين بواقع ستين شخصا لكل منظمة وعشرين آخرين من المنظمات الصغيرة.  
ولقد قدر لي أن أعيش هذين الأسبوعين على كذب من مجلس الشورى أتابع ساعاته كأي شخص يتحرق على مصالح المسلمين ويحيا من أجل قضاياهم.

المؤامرة العالمية:

ولقد كنت قد أيقنت من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة العداوة الأبدية بين هذا الدين وأعدائه وقد خرجت من خلال التاريخ الإسلامي بمصادقية واقعية تطبيقية للقوانين الربانية والنواميس الإلهية في العداة الذي يناسبه أهل الكتاب والمشركون لهذا الدين وأهله، إذ أنه لا لقاء في منتصف الطريق، ولا هدنة ما دام في جسد الكفر عرق ينبض أو نفس يجري.  
ولكن في هذه المرة أدركت هول المؤامرة عيانا ورأيت شخصوها وأبطالها يتحركون ذهابا وإيابا مما لا يدع مجالا لشاك ولا لبسا لمستريب، وأدركت أن الرعب العالمي والفرع الدولي من الإسلام وأبنائه لا ي عد له شيء في قلوب الكفار وأعوانهم وأذنابهم.  
وخرجت بيقين جازم لا يتزعزع بخطورة تولي قياد الأمم من أناس لم يتمرسوا بهذا الدين من خلال معاناة طويلة وبذل وجهه ناصب وتضحيات باهظة، ورأيت كيف ت حمى الأمم وتتخذ الشعوب بفرد فذ من أبنائها وكيف يمكن للأمة كلها أن تباع بجلسة على مائدة خضراء أو بكأس راح في ليلة حمراء أو بابتسامة من ثغر فائنة شفراء.

وأيقنت أنه لا نجاة للأمم إلا بأن تسلم قيادها وتسلس مفادها لشباب مسلم قد شربوا على نار الأسى واكتهلوا في أتون المعارك ونضجوا على حرارة المعاناة وعلى هدي الكتاب ونور السنة من خلال المواجهة اليومية بهذا الدين مع أعدائه، فمن خلال التكليف التي يقدمها المسلم لهذا الدين يصلب عوده وتتضح نفسيته.

وتأكدت أن الأفق الذي يصل إليه المرء في هذا الدين يوازي التضحيات التي يقدمها، وأن مستوى المسلم ونضجه يسير جنبا إلى جنب مع التكليف التي يبذلها وأن هذا القرآن لا يفتح أسرار له فقه قاعد وهذا الدين لا يسير أغواره ولا يدرك معانيه حفظة المتون والحواشي ممن لا يتحركون به ولا يعيشون لنصرتهم.

وخرجت بيقين جازم وعلم حاسم أن الجهاد بالنفس ضرورة حياتية للمسلم حتى يتحرر من الخوف ويمزق حجاب الوهم والرعب الذي يعتصب به الطواغيت حقوق الأمم ويبتزون أموالها وينتهكون حرمانها ويدوسون مقدساتها ومثلها.

وأدركت سر رعب الطواغيت من الحركات الإسلامية الخالصة، ولعلمهم من أبنائها الصادقين، وذلك لأنهم يتمردون على الدنيا التي يملكها الطغاة، ويدوسون المتاع الرخيص الذي بين أيدي الجبابرة والذي من خلاله يجمعون القطيع ويسوقونه إلى مذابح شهواتهم قرايين

حسم الإلف ما اشتبهته الأعادي  
فيه أيديكم على الظفر الحق  
هذه دولة المكارم والرأفة

- (1) الصيد والشم : الأعزة.
- (2) المرازمة والججاج والغطارفة والبطارقة: السادة.
- (3) الصفائح : السيوف العريضة.

أما الكرامة في الميدان السياسي فهي تخفى على الكثيرين لدقتها ولأنها تتعلق بأطراف كثيرة غير بارزة وتشل أصابع خفية تدبر الأحداث من وراء الكواليس أو من خلف الستائر ومن خلال دمي تحرك بمسرحيات أ تقن إخراجها وصنع أبطالها وبرعوا في أداء دورهم.

ولم يكن لدى الحاكم صورة واضحة عن الجهاد في أفغانستان فقد كان يظنها طلاقات تتبادل عبر الحدود الباكستانية الأفغانية كذلك التي تتنطلق عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية.

وعندها بي ن ضياء الحق للحاكم أن روسيا مهزومة في أعماق أفغانستان وأنها منسحبة لا محالة إذ أنها لا تملك الاستمرار بعد أن أثخن جراحا ، ومن خلال الإحصائيات الضخمة التي بين يدي ضياء الحق عن خسائر روسيا سواء في القوات الجوية أو البرية أو البشرية فقد كانت الخسائر التي جمعتها أجهزة التنصت الباكستانية والأقمار الصناعية الأمريكية حتى بداية 1988 تقول: إن الطائرات الساقطة والمدمرة قد وصلت إلى حوالي ألفين وثمانين طائرة ودعك عن التي استهلكت لكثرة الاستعمال والتي لا تقل عن مثل هذا العدد، وعدد الدبابات قد وصل إلى سبعة عشر ألف دبابة وأما الآليات والناقلات فقد وصلت إلى إحدى وعشرين ألفا ، وأما القتلى فحدث عنهم ولا حرج.

ففغر الحاكم فمه مشدوها مبهورا وهو يسمع هذه الحقائق ولم يملك إزاءها ردا ولم ينس ببنت شفة وقفل راجعا إلى المؤتمر ليحدث بما سمع بعد أن اتصل بالمؤتمرين وأخبرهم بألا يتعجلوا في القرارات إذ أن لديه حقائق ومعلومات.

ضياء مع قادة الجهاد:

ورغم هذا كله فقد استمرت الضغوط على ضياء لقبول توقيع المعاهدة من الأصدقاء والأعداء. وتلفت حوله فلم يجد صديقا ولا عدوا وعندها جمع قادة الجهاد وعرض عليهم حاله: أنه قد عيل صبره واستنفذ كل السهام التي في كنانته في رد هذه المعاهدة وأنه لا يستطيع إلا أن يوقعها وطلب من إخوانه قادة الجهاد أن يعذروه في التوقيع.

فقال له سياف: ولكنك في قرارة نفسك غير مقتنع بما أنت مقدم عليه والأولى لك أن تعتذر عن استضافتنا في باكستان خير من أن يسجل التاريخ أنك قمت بتوقيع معاهدة بيع أفغانستان وجهادها المشرف في سوق النخاسة الدولية. فاطرق ضياء برأسه ولم يجر جوابا . يقول ابن ضياء الحق: لقد عاد والدي في تلك الليلة وأسعد الحزن جفنه وأقضى لذع الضمير جانبه ولم يكتحل بالنوم، وقدمنا له الطعام فعاغه، وبقي يومه مطرقا حزينا وقد كسى وجهه بغلالة من الوجوم والهوم. وسأله أهله عن سر هذا الشرود الذهني والقلق النفسي، فأفصح لزواجه وأولاده: هذه هي المرة الوحيدة التي أخذل فيها إخواني المجاهدين مضطرا .

توقيع المعاهدة

ووقع ضياء المعاهدة بعد أن أضاف استدراكين على المعاهدة وهما:

- 1- لا أضمن وقف إطلاق النار.
- 2- لا أكفل الضغط على المهاجرين ليعودوا إلى أفغانستان.

موقف "جونيجو" و "نوراني":

ولكن رئيس وزراء ضياء ووزير خارجيته كانا قد وعدا من الدوائر الدولية لكل منهما بميدالية السلام الدولية، فكان كل منهما مستميتا في تنفيذ معاهدة جنيف حتى يأخذ قطعة ذهبية مكتوبا عليها جائزة نوبل -اليهودية- للسلام، فكان جونيجو متفانيا حتى يبيع أفغانستان وشعبها وجهادها مقابل هذه القطعة الذهبية.

اشترى أبيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون (الآيتان 9، 10) التوبة .[الإل : القرابة]

وكم جرت بين نوراني وبين قادة الجهاد من مشادات عنيفة ومساجلات حادة ومن مجادلات ساخنة، وأما جونيجو فقد هدد ضياء الحق بأنه سيقدم تقريرا للعالم - أمريكا وروسيا والأمم المتحدة -أن الرئيس غير ملتزم بتنفيذ المعاهدة، وغير جاد في احترام بنودها، وأخذ يرسل رجالاته إلى المهاجرين ليرغمهم على الرجوع إلى أفغانستان بالضررب والتهديد .

الانسحاب الروسي:

وبدأت روسيا تنسحب من المناطق الحدودية منتظرة رجوع المهاجرين مكانها وكلما انسحبت من منطقة -بكيتيا- وقندهار وبكتيكا والوچر وكونر- انقضت عليها ليوث الله واحتلتها.

وبدلا من أن يرجع المهاجرون إلى بلادهم زادت هجرتهم من الداخل نحو باكستان بسبب اضطرام المعارك واشتدادها . ووجدت روسيا أن حكومة جنيب ضعيفة لا تستطيع أن تحافظ على أية منطقة تنسحب منها.

موقف ضياء الحق:

وعندما أصر جونيجو على تنفيذ المعاهدة فك ر ضياء ملي ا ثم أقدم على إقالة حكومة رئيس وزرائه وقد كان آنذاك في الصين فاتصل به وقال له: عد إلى بيتك فقد قررت طردك من الحكومة. وحل مجلس الشورى، وأمسك ضياء بقبضته العسكرية البلد من جديد معلنا:

- 1- وقفه بجانب المجاهدين والمهاجرين الأفغان حتى يعودوا إلى بلادهم معززين مكرمين.
- 2- أنه سيطبق الشريعة الإسلامية وإن كلفه هذا نفسه وأهله وعرشه.

قال أسلم ختك (وزير الداخلية لضياء الحق): ستقتلك أمريكا والغرب، فأجاب ضياء الحق (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض).

التراجع الروسي:

وعندما رأت روسيا أن الحكومة الشيوعية هشة أمام ضربات المجاهدين وأنها تفقد الموقع تلو الموقع إثر الانسحاب وتوالت ضربات المجاهدين وتنزلت الانتصارات بفضل الله وحوله، خشيت روسيا أن تسقط كابل قبل أن يتم انسحابها فرجعت وأرسلت قواتها مرة أخرى إلى قندهار وغيرها، وصارت توجه طائراتها للإغارة على الحدود الباكستانية وضرب القرى الباكستانية الحدودية، ورفعت باكستان عقيرتها بالشكوى على روسيا التي تعتدي على الأمنين.

وقامت الدول الكبرى وأمريكا على رأسها تلوم روسيا وتندد بموقفها بسبب إخلالها بالتزامها وتعهداتها.

فقال روسيا: إن المجاهدين لم يلتزموا بالبنود.

فرد المجاهدون: نحن لانعترف بالمعاهدة أصلا وليوف الذين التزموا لروسيا بوقف إطلاق النار بما التزموا به.

انتصارات المجاهدين:

ولقد حقق المجاهدون من الانتصارات خلال سنة 1988 بعد جنيف أضعاف ما أحرزوه عبر سنوات ماضية.

زيارات كوردوفيز:

وقد حاول كوردوفيز مرتين أن يقابل المجاهدين بعد توقيع معاهدة جنيف فرفض يونس خالص (كان آنذاك رئيسا للاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) مقابلته في المرة الأولى وفي المرة الثانية رفض كذلك فلجأ كوردوفيز إلى ضياء فاتصل ضياء بالشيخ يونس

خالص قاتلا له: إما أن تأتي لمقابلة كوردوفيز وإما أن تأتيك إلى بيشاور. وكان لضياء الحق مكانة في نفوس المجاهدين فأتى الشيخ يونس وقابل كوردوفيز وقال له: لقد أتيت احتراما لكلمة ضياء الحق وليس من أجلك وأنصحك باعتناق الإسلام واضطر كوردوفيز أن يتصل بالمهاجرين دون إذن القادة وصرح بتصريحات غير مسؤولة بأن المهاجرين يرحبون بظاهر شاه. وهنا كذب المجاهدون كوردوفيز وشكوه إلى الأمين العام للأمم المتحدة فأوقفت مهمته.

موقف يونس خالص:

والحق أن هذا القائد الذي نفي ف على السبعين وقف مواقف لا يقفها إلا أفاضال الرجال وحمى بموقفه الصلب المشرف الجهاد الأفغاني من الاهتزاز في تلك الآونة العصيبة التي تداعت فيها الأمم من كل جانب لاقتسام مغنم هذا الجهاد. وقد حاولت كثير من الدول استدراجه لحضور جنيف حتى تؤخذ صورته مع الوفد الأفغاني ليستلمها الإعلام الدولي ويلوح بها للعالم أن المجاهدين قد رضوا عن حضور جنيف ومعاذاتها. وعندما رأى الضغوط تتوالى عليه من كل جانب قدم استقالته عن رئاسة الاتحاد.

العروض على المجاهدين:

وقد تعرضت في الافتتاحية السابقة للعروض التي طرحت دوليا ومن قبل روسيا والتي تنازلت فيها درجة تلو درجة. وكان أول هذه الطروح: العرض الذي جاء يحمله معروف الدواليبي من روسيا بعقد مؤتمر دولي تشترك فيه (روسيا وأمريكا والمجاهدون والمؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة) ويعرض فيه حكومة مشتركة يرأسها نجيب ويشترك فيها قادة الجهاد كوزراء مع الحكومة الشيوعية. وكان الرفض، ثم الحكومة الانتلافية التي لا يرأسها نجيب، وجاء الرد بالرفض كذلك، ثم الحكومة المحايدة وقد طرحها أرمافكوست وكيل الخارجية الأمريكية فقال يونس خالص (والله لو التقت السماء على الأرض ما رضينا بحكومة محايدة). وكانت آخر محاولة: الحكومة ذات القاعدة العربية Broad Based يكون مجلس شورى من المجاهدين 50% ومن المهاجرين في باكستان وإيران 30% ومن المهاجرين في العالم 10% ومن المسلمين في كابل 10%.

في مدينة الحجاج:

والتقى مجلس الشورى في مدينة الحجاج وجاء وزراء ظاهر شاه السابقون من بين أعضائه مع بعض الأفغان المستغربين وقد ارتدوا الأزياء الغربية الضيقة ورائحة الدخان المنبعثة من أفواههم تزكم أنوف الحاضرين، مع مالفوه من تتعم وترهل وما اعتاده من حلق اللحى والشوارب كأبناء الغرب الضائعين. واجتمعوا مع المجاهدين الذين أنضجتهم المحنة وصاغتهم الأحداث الضخمة وصقلتهم نيران المعارك التي اکتووا بضرماها عبر السنين، جاءوا بشعورهم الشعثاء الطويلة تبدو عليهم الخشونة والبذاعة (الزهد والتشقق)، وكلما نظر إليهم المستغربون تفكروا في أنفسهم: أو يمكن أن نعيش مع هؤلاء تحت سقف واحد؟ وكانت نظرات المجاهدين الشجرة تكاد تزلق هؤلاء المتنعمين. فسلم عليهم القائد المجاهد وكأنه أسد خرج من بيئته (غاية الأسود)، وقد كسا وجهه طبقة سوداء من آثار المعارك وسبرات الثلوج الفارصة، فبيادته المجاهد سائلا من أين الأخ؟ فيجيب من قندهار أو من هرات أو بروان أو بدخشان؟ فيفاجئه بسؤال مفعم مفعم وأين كنت خلال هذه السنوات العشر؟ فيطرق بنظره حياء وتعلو وجهه حمرة الخجل ولا يحير جوابا. ووقف عبد الستار سيرت -أحد وزراء ظاهر شاه- ليشرح للحاضرين عن خطة سياسية معقولة للحل وكأنه يريد أن يجرهم إلى قبول الأمر الواقع الذي لا محيد عنه وهو قبول ظاهر شاه.

وإذا بالمسؤول عن إدارة المؤتمر يصيح (مرده باد) ظاهر شاه (الموت لظاهر شاه) وإذا بمجلس الشورى كله يدوي بالموت لظاهر شاه وبهت عبد الستار وكأنما سكب عليه ذنوب (دلو) من ماء بارد. وغادر المستغربون والمنفقون وتجار الدماء قاعة مدينة الحجاج غير مأسوف عليهم.

ووصل المجاهدون إلى حل: (محمد نبي رئيس للدولة وأحمد شاه رئيس للوزراء) وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت صدور الحاقدين على هذا الدين أثقالها ومكونات قلوبها فقال أحد كبار الناصحين: (إن أمريكا والصين وإيران... لا ترضى عن هذه الحكومة. قال سي اف: نحن شكلنا هذه الحكومة لأفغانستان وليس لأمريكا.

وقال حكمت يار: لن يرض أحد علينا حكومة وسنحارب الحكومة التي ترتضيها أمريكا كما حاربنا روسيا. وألقى العالم بثقله وكلله وفرط العقد ومزق الكلمة.

وتقدم جلال الدين حقاني: مع سبعين من مجلس الشورى يطلبون من القادة السبعة الحل أو يتركوا إليهم تقديم حل، ووافق السبعة وانتحى جلال الدين مع أربعة عشر من مجلس الشورى في بيت منزو بعيد عن الأنظار وخرج بالحل الذي أقرز (مجددي) رئيسا للدولة وسياقا رئيسا للوزراء. وعلقت أجهزة الإعلام: لقد كان أحمد شاه أصوليا فجاء سياف أشد أصولية منه.

التحدي الكبير:

وقامت الدولة وهي تنتظر اعتراف الأصدقاء وتضع دول العالم الإسلامي أمام امتحان عسير وإزاء تحد كبير، وكأنها تسألهم: أين أخوة الإسلام؟ بل أين الشعارات واللافتات؟ بل أنى ذهبت الوعود والتصريحات؟ إن وجوم العالم الإسلامي إزاء دولة المجاهدين التي ولدت في أجفان الردى وفي أعماد السيوف، وصمت القبور الذي يلف دول العالم الغربي حيال دولة الشرف وحكومة المجد ليضع علامة استفهام كبيرة حول هذا الموقف. وكأنه يصرخ بشدة في أذانهم:

أوبسطيع نظام أن يخرج عن إرادة البيت الأبيض أو الأحمر؟ أو يتمرد على إشارات برمنجهام؟ وكان دولة المجاهدين تقول: من يعلق الجرس؟

لن تطفئوا نور الله\*

[نشر في مجلة الجهاد -العدد الرابع والخمسون والخامسون- رمضان/شوال 1409هـ، إبريل/مايو 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد استحر القتل بالمجاهدين المحاصرين لجلال آباد، وروسيا تدفع بكل ما بين يديها من وسائل الفتك والإبادة، وانتقلت من استعمال Mig 27، إلى طائرات جديدة يعتقد أنها Back Fire، الروسية الجديدة والتي يظن أنها تقلع من روسيا مباشرة من ترمذ (قرب نهر جيحون في الولايات الإسلامية المحتلة من الاستعمار السوفياتي) لقصف جلال آباد، وكثر الشهداء حتى صرنا لا نتابع الكتابة عنهم،

وسقط من الشهداء العرب حتى الآن قرابة الثلاثين في الأسبوعين المنصرمين فهذا أكثر شهر يسقط فيه على طريق هذا الدين من أبناء عدنان أو من نسل قحطان في أفغانستان .

والشيوعيون قد انتفضوا بكليتهم يدافعون عن كياناتهم الهشة الذي بدأ ينهار ركنًا بعد ركن، وصيحات النظام لا تتوقف مستغيثة الأمم المتحدة والضمير العالمي، وهم يتعلقون بقشة كغريق يتقاذفه الموج العاتية والأعاصير الهوجاء وهو يرى مصرعه أمام ناظريه، وحتفه قرب قرنيه ناشبا أظفاره يريد أن يستل الروح الخبيثة من الجسد الخبيث.

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وفي هذه المعركة أبدى المجاهدون بسالة لا نظير لها وهم يقتحمون الموقع تلو الموقع والألغام تحت الأرض تتربص بهم ريب المنون، والسماء لا تكاد تكف عن وإبلها والموت يجم ع نفسه لينقض لا يوفر مؤمنا ولا كافرا، والشباب العرب قد ضربوا مثلاً رائعا في الإقدام على المنايا خاصة في اقتحام المطار، وكأن المنية بينهم منشار يأكل في الذهاب والإياب وكأن لسان كل واحد منهم يردد مع عنتره: ومدجج كره الكماة نزاله

لا ممعن هربا ولا مستسلم (1) جادت له كفي يعاجل طعنة

بمئفف صدق الكعوب مقوم (2) فشككت بالرمح الأصم ثيابه

ليس الكريم على القنا بمحرم (3) فتركته جزر السباع ينشئه

يقضمن حسن بنائه والمعصم (4)

والجميع مصمم على الموت، أما الكفار فإنهم يدفعون عن أنفسهم بكل ما استطاعوا متشبثين بالحياة:

ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون .

الآية (96) البقرة .

التساؤلات :

والناس الذين يريقون المعركة وأبصارهم ترنو إلى أرض المعركة وقلوبهم متلهفة يريدون أن تسقط (جلال آباد) بطرفة عين أو لمحة بصر لشدة تعلقهم بهذا الجهاد يودون أن تقوم دولة الإسلام في أفغانستان بين عشية وضحاها وتمسح الشيوعية من أرض أفغانستان لتقوم مقامها المنارة المفقودة (الخلافة) التي طوحت بصرحها معاول الشرق والغرب على يد الذنب الأخير في 3 مارس سنة 1924 .

والكل مشدود بكليته إلى جلال آباد - أعصابه متوقفة، ونفسه متحفزة، وقلوبهم تود لو تطير من بين جوانحهم لترقب سير المعركة ونتائجها في جلال آباد، ويتساءلون ما بال الفتح قد تأخر؟

الاعتذار عن المجاهدين :

ونحن إذ نؤرخ لهذه المرحلة نعتذر عن المجاهدين بأمور:

(1) إن المجاهدين حديثو عهد بفتح المدن، إذ أن مسيرة الجهاد المباركة التي مضى عليها بضعة عشر عاما كانت كلها دفاعية، أو حرب عصابات، يربض فيها أسد الله في خنادقهم حتى إذا مرت قافلة انقضوا عليها كالصواعق المرسله تدمر كل شئ بأمر ربها، تبيد خضراءهم، وتلحي (تزيل اللحاء) شجرتهم.

وأما الآن فقد انتقل الجهاد من الدفاع إلى الهجوم ومن فتح مراكز صغيرة إلى فتح مدن كبيرة.

(2) إن جلال آباد منبت الشيوعيين، فمردة الكفرة معظمهم من هذه المنطقة وهم ينافحون بدافع الحفاظ على الحياة مع كراهية عميقة لهذا الدين. قد استقرت في قلوبهم من خلال التربية الحاقدة على كل القيم الربانية.

(3) إن الذين لهم أدنى معرفة بالحروب الشاملة يدركون أنه ليس بمستغرب طول حصار المدن. فقد حاصر نابليون عكا 1799 في أيام أحمد الجزار ثم ارتد ناكصا على عقبيه.

وهلك كثير من جيش هتلر في الحرب العالمية الثانية على أبواب (قوس كورسك)، وقد حاول أن يقتحمه بثمان وثلاثين فرقة إلا أن صمود مدينة ستالين جراد ومدن هذا القوس قد أدى إلى هزيمة هتلر، وقد كان (جنرال تلج) أهم عامل بعد الصمود.

والقوات الإسرائيلية في هجومها على منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الغربية بלבان في 4/6/1982 رغم تفوقها في العدد والعدة و أن الهجوم كان برا وبحرا وجوا، إلا أنها عجزت عن اقتحام المنطقة إلا بعد حوالي (80) يوما من القتال المرير والخسائر الباهظة، في حين كانت قد حددت لذلك مدة لا تتجاوز الأسبوع الواحد.

أقول: إن حصار المدن وفتحها ليس بالأمر الهين ولا يتم بومض البصر الذي أدى إلى الانتصار الروسي.

ونحن نستطيع أن نقول في حصار جلال آباد: لقد نجح المجاهدون في التكتيك (العمليات الجزئية) ولم ينجحوا في الاستراتيجية (الحرب الشاملة)، حتى الآن.

(4) لقد فتح المجاهدون خلال الشهرين الماضيين أكثر من مائة مركز حول جلال آباد، وغنموا غنائم كثيرة كانت تصل أكوامها طولا إلى عدة كيلو مترات، وفتحوا ثمر خيل وكامة، وأغلقوا الطريق بين جلال آباد وكابل، وعطلوا المطار، ونأمل من الله أن يجعل في فتحها إنه سميع قريب.

(5) أما نجيب وحكومته المنهارة فهم يعيشون حالة من اليأس الفاتلة والتردي المزرية البئيسة، فلا يدع مارا بالشرق إلا ويستنجد به ليتوسط لدى المجاهدين وقد جاءني أحد القادة مرسلا إلي من رسول نجيب لأقابل رسول نجيب فرفضت ورددته إلى أمراء الجهاد، وقد تذرع نجيب بكل الوسائل متوسلا إلى المجاهدين أن يوقفوا ضرباتهم المتصيبة فوق رأسه، ومن المضحكات المبكيات أن نجيب قد أعلن وقف إطلاق النار بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وكأنه يملك أن يوقف النار أو يحركها.

موقف أصحاب الش مال (اليسار) العربي:

والصحف التي يمسك بزمامها أصحاب الش مال الذين يتدسسون من خلال أوكارهم الهدامة لتدمر حصوننا من داخلها في العالم الإسلامي، أقول: إن هذه الصحف والدوريات تلعب دورها في تحطيم نفسيات الجيل العائد إلى الله ولا تتي صباح مساء أن تدس سموها لغرس اليأس في قلوب المسلمين من خلال التلاعب بالألفاظ ومعسول الكلام.

في زخرف القول ترويح لباطله والحق قد يعتريه بعض تأويل

تقول هذا جن ي النحل تمدحه وإن تعب قلت ذا قبي الزنايبير

والشيوعية وأصحاب الش مال في العالم الإسلامي يكادون يتفجرون غضبا وغيظا على هزيمتهم الكبرى في أفغانستان وهم متحمسون للشيوعية ولنجيب أكثر من أهمهم (روسيا) التي تركتهم نهية للطامعين وصيدا رخيصا سهلا للقاصيين، وركلتهم بأقدامها خاسئين خاسرين، وهم مع هذا كله يتربصون بالإسلام وأبنائه:

إن تمسككم حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها

الآية (120) آل عمران.

وهم يعيدون ويبدؤون أن القتال في أفغانستان حرب أهلية فكيف يجوز لمسلم أن يدفع درهما لتأجيج نار الفتنة الأهلية وسفك دماء المسلمين الأفغان، وكيف يزج مسلم بنفسه وبماله في هذه المتاهة (القاتل والمقتول فيها بالنار)!!! وكيف يعد المجاهدون أنفسهم مسلمين وهم يشنون حرباً شعواء ويشعلونها ناراً ضراماً على نجيب الذي يصلي ويصوم، فالإنسان قد يكون ضالاً ويتوب ويهتدي، ألم يسمعون الحديث الشريف لأسامة بن زيد:

(أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ ماذا تصنع بلا إله إلا الله؟ هل شفقت عن قلبه؟)!! (5)

وهكذا تواجهك الأسئلة الكثيرة التي يلبس بها اليساريون (أصحاب الش مال) على الأمة الإسلامية التي تفاعلت مع الجهاد الأفغاني المبارك وتعدده من أخطر القضايا الإسلامية وأهمها شأننا .

يسألونني في الإمارات (أبو ظبي) أوي جوز قتال نجيب وهو بصلي؟ فقلت صدق الله العظيم:

وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور

الآية (119) آل عمران،

ولا يغيب عن بال المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء بضعة عشر شخصاً يوم فتح مكة قاتلاً (أقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة) (6) وقد قتل عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة.

أما الحرب الأهلية:

فإن كانت المعارك بين جند الله وبين الشيوعيين في أفغانستان حرباً أهلية فهذا يعني أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه حرب أهلية فقد قاتل صلى الله عليه وسلم يوم بدر أهله وعشيرته وقد عاتبه ربه بعد قبول الفدية من أسرى بدر السبعين وعدم قتلهم قاتلاً سبحانه

ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

الآيات (67-68) الأنفال

والإثخان هو كثرة القتل.

فقد كان العتاب لعدم قتل الأسرى لأنه لا بد من الإثخان في بداية أمر دولة الإسلام ونشأتها في أية بقعة وعبر أي زمان.

وقد نزل القرآن مؤيداً لرأي عمر رضي الله عنه في الأسرى إذ قال (يارسول الله أرى أن تمكني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمك - ن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه وتمك - ن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم) (7).

وبعد نزول الآية:

لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

الآية (68) الأنفال.

قال صلى الله عليه وسلم (لو نزلت نار من السماء لأحرقتنا إلا عمر)، وفي رواية: (لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ لقوله: يابني الله: كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال) (8).

والإعلام اليساري رغم إصابة الشيوعية بقاصمة الظهر، ورغم أن حوالي عشرين تصريحاً لكبار الشيوعيين في العالم تؤذن بتراجعهم عن الشيوعية واعترافهم (أن الطريق لإنقاذ الاتحاد السوفياتي والشيوعية من الإفلاس هو العودة إلى الرأسمالية)، ومع هذا فلا زالوا يتبجح صفيق وجعجة فارغة تسمعها ولكن لا ترى طحناً، أقول: إنهم يحاولون أن يصدوا عن سبيل الله، وأن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأن يغطوا الشمس بغيربال.

وعبثاً يحاولون أن يصدوا القلوب عن قضيتها، وأن ينفروا الصادقين عن آمال عراض امتزجت بأرواحها وأمان كبار تعيشها بأحاسيسها، إنهم يعيثون ولن يوقفوا القدر الذي تحقق في هزيمة الشيوعية العالمية، وما هو إلا نعيق بوم ونعيب غربان.

وجدير بالذكر أن الصحف وأجهزة الإعلام الغربية أخبرت في تاريخ 11/4/89 عن حدوث تمرد ومظاهرات في "جورجيا" تطالب بالانفصال عن الاتحاد السوفياتي، و"جورجيا" هي مسقط رأس "شيفارنادزه" وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، وقد سقط في هذه المظاهرات (16) قتيلاً و (160) جريحاً باعتراف روسيا، فإذا كانت هذه حال ولاية "جورجيا" -النصرانية الأصل - فما بالك بحال الولايات الإسلامية التي تعيش غلياناً شديداً كأذربيجان وطاجيكستان.. وهذا يعني أن الاتحاد السوفياتي يعيش حركة تمزق داخلية قد تكون مسمار نعشه في المستقبل:

والليالي من الزمان حبالى صامتات يلدن كل عجيب

(1) مدجج: كامل السلاح، الكماة: الأبطال

(2) مثقف: رمح، صدق الكعوب: صلب

(3) الأصم: الصلب،

ليس الكريم على القنا بمحرم: أي أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام

(4) جزر: جمع جزرة وهي الشاة التي أعدت للذبح، ينشئه: يتناولنه، المعصم: موضع السوار

(5) السيرة النبوية لابن هشام ج4/ ص 271.

(6) السيرة النبوية ج4/ ص 51.

(7)

(8) أحكام القرآن لابن العربي (884).

ما أشبه الليلة بالبارحة\*

[نشر في مجلة الجهاد - العدد السادس والخمسون - ذو القعدة 1409هـ، الموافق يونيو 1989م].

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فوق هذه الأرض التي نعيش عليها الآن دارت رحى أحداث هذه الملحمة المشرقة المحزنة، وعلى انجاد هذه البقعة برزت ضراغم وتألفت ضياغم، وشهدت وهاد هذه المنطقة مأساة أسيفة اليمة نكبت بها الأمة الإسلامية التي كادت تنفث الصعداء والعيش في ظلال هذا الدين لولا قدر الله ثم الخيانة التي ولغ فيها كلاب الطمع وعبيد الدنيا ونحن الآن نلاحظ أن رياح تلك المأساة عادت تهب من جديد

وأن الكبير الذي كانوا يديرونه فيملأون الجو دخانا يعمي الأبصار عادوا بحركونه من جديد وإن النغم الذي عزفوا عليه فسكرت بلحنه العقول الطائشة التي أجهضت أعظم حركة إصلاح جهادية في القرن الثالث عشر الهجري وأودوا دولة إسلامية ناشئة عادوا يعزفون عليه فما أحرانا أن ندرس فصول هذه المأساة لتكون لنا عبرة:

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب

الآية(111) يوسف.

تمهيد:

فمن أعماق الظلام المطبق فوق القارة الهندية حيث المسلمون يعيشون كقطعان الغنم في ليلة شاتية تتناوشها الذئاب، وتجنم شركة الهند الشرقية الانجليزية بثقلها على صدر الهند، وأما الأجزاء التي يحكمها الراجاوات والاقطاعيون والنواب فكلهم يقادون بخطامهم من قبل الانجليز حيث تساق الأمة على مذبح شهوات بريطانية، وباختصار فإن الانجليز قد أمسكوا بأيديهم لجام الشيخ والمرهتين والحكام المستسلمين، وكل خبرات الهند تصب في جيب السيدة الأم بريطانية العظمى ولقد بلغ الانحلال الخلقي بالمسلمين إن بعض نسايتهم كن يبعن كالسلع في بيوت تجار الرقيق الأبيض في أوروبا، في هذا الجو المدلهم المكفهر وفي سنة 1201هـ (1786) ولد البطل المنفذ والجاد الملهم وبرق الحسام الصارم (سيد أحمد عرفان الشهيد) في بيت علم وأدب ودين فأبأوه الصيد يشار إليهم بالبنان علما وخلقا وزهدا ورفعة في بلدة (رائي بريلي).

أخلاق:

وقد كان متيمنا منذ نعومة أظفاره بالفروسية وامتطاء صهوة الجياد، والرياضة والسباحة ولوعا بخدمة الأمة التي جعل انقاذها نصب عينيه، وكان متعبدا متبتلا، ذاكرة مسجحا، فقد قسم وقته بين خدمة الناس والعبادة والتسبيح والرياضة.

فقد والده في الثالثة عشرة من عمره فخرج إلى "الكنو" (72) كم عن مسقط رأسه في طلب الرزق في رحاب العلم والتربية، ترك أحمد عرفان "الكنو" وتوجه إلى دلهي ماشيا وكم كابد من وعاء السفر ومرارة المسير وغصص الرحلة إذ قطعها وحيدا وواجه من الجوع والعطش والألم الشئ الكثير حتى تورمت قدماه، ووصل الشيخ عبد العزيز ابن الإمام ولي الله الدهلوي فعندما قدم نفسه إليه وعرفه فرح به كثيرا وأحل به بيت أخيه عبد القادر وبدأ يتلقى الأدب قبل العلم وجد فيهما وأخذ نفسه بالعبادات والأذكار مع العلم وترك الشيخ عبد العزيز وأخوه بصماتهم على نفسية سيد أحمد عرفان وفي وقت قصير أجازه الشيخ عبد العزيز ثم عاد إلى وطنه (رائي بريلي) وأقام عامين في وطنه ثم تزوج.

في جيش أحمد خان:

كان حب الجهاد يأخذ بمجامع نفس بطلنا، ويحس في أعماقه أن الأمة قد طال عليها الأمد وغطت طويلا في منامها فلا بد من إيقاظها، وسقطت بين برائن أعدائها، فحق انقاذها فكان لابد من أن يأخذ للأمر اهبتة، ويعد للثأن عدته، فعاد إلى شيخه عبد العزيز في دلهي سنة 1226هـ فلفت نظره إلى الانخراط في جيش أمير خان الذي كان يقوم بجهود طيبة في مواجهة الزحف الانجليزي، وأمير خان ذو أصل أفغاني ذو مروءة وهمة عالية وانضم حوله مجموعة من الفرسان الأسود، ومكث سيد أحمد في جيش أمير خان ست سنوات مربيا وداعية وجنديا وليثا حصورا، فارتفع مستوى الجيش التربوي والروحي فكان يعد ويستعد ويعطي ولقد كانت أخلاقه ورفعته معلما عمليا فكانت أخلاقه مدرسة فذة ومنارة سامقة.

العودة إلى دلهي:

وقعت ظروف قاهرة اضطرت أميرخان أن يهادن الإنجليز ووقع في قبضة الانجليز فقبل الإمارة تحت نفوذهم فاهتزت نفس السيد أحمد حزنا وتركه وعاد إلى دلهي، واستقبل استقبالاً رائعا لدى وصوله.

بيعة الصالحين: وهنا تقدم إليه اثنان من أسرة شاه ولي الله الدهلوي وبايعاه وهما الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي والشيخ محمد اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي وقد أصبحا أخص خاصته وكونا جناحين طار بهما إلى الدعوة والجهاد فأما الأول فقد برع في الخطابة والدعوة وأما الثاني فقد نبغ في أمور الحرب وفنون القتال، وهذان الشخصان من عمالقة حركة الإصلاح الديني في الهند وأفغانستان، ثم أقبل عليه خلق كثير يباليهونه ويمشون في ركابه ويشاركونه مسيرته ويعيشون معه أيام أمة تعتصر قلوبهم حزنا وأمالها التي ترفرف بأشواقها المجنحة في صدورهم وأعماق قلوبهم.

بث الروح:

وانطلق الصالحان يرافقان شيخهما في الدعوة الإصلاحية الجهادية، وبدأت الدماء تجري من جديد في العروق الجافة في الهند والنبلض يقوى فيضخ الدماء إلى الأطراف الميتة، فطفقوا يجوبون القرى والمدن ويتبعهم الآلاف المؤلفة يقللون على بيعة السيد أحمد عرفان، وقد كانوا بأخلاقهم وسمتهم ودلهم روحا جديدا تنفخ في القلوب الميتة فمن دلهي إلى بهلت ولوهاري وسهارةنفور ورامفور وبريلي وشاه آباد، ففتبعه جمهرة من العلماء وساروا في ركابه ومضوا على طريقه.

ثم عاد إلى بلده (رائي بريلي) ثم رجع إلى كنو وأقام على تل الشيخ بير محمد اللكنوي على شاطئ نهر كومتي، فبايعه آلاف من الرجال.

تحطيم العادات:

وفي بلده تزوج بأيم وهو أول نكاح بأيم في السادة والأشراف الذين كانوا يأنفون من زواج الأيم.

الحج:

وقد قام بعض المتعلمين وأصدروا فتوى بأن الحج فيه مخاطر لأن ركوب البحر يعتره المخاوف ولذا فالناس لا يستطيعون السبيل، فقام السيد ورد عليهم وأراد أن يهز فتواهم ويزلزل مكانتهم بحل عملي فأعلن عن عزمه على الحج ونادى المنادى بالناس من أراد الحج فطعمه وركابه على حساب السيد فغادر بلده في شوال سنة 1236 مع أربع مائة ممن عزم على الحج معه وكلما مروا بمدينة أو بلدة نادوا بالناس لأداء هذه الفريضة ووجوب أحيائها وكلما مر ببلدة أقبلت الجموع تباعيه فافقرت حوانيت الخمر ومراكز اللهو ودور الفساد والبلغاء وصارت العادات الذميمة تنمسخ تدريجيا ببركة دعائه وإخلاصه، حتى وصل كلكته عاصمة الحكم البريطاني، ومكث فيها ثلاثة أشهر ثم غادرها إلى جدة يرافقه سبعمائة وخمسة وخمسون شخصا ووصلوا جدة في شعبان سنة 1237 (مايو 1822) وأقام في مكة رمضان إلى الحج. وبايعه جمع من العلماء وعلى رأسهم إمام الحرم ومفتي مكة.

بيعة على الجهاد:

وفي أيام الحج وفي العقبة - حيث كانت بيعة الأنصار (بيعة العقبة) على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقول في نفس المكان والزمان بايع السيد أتباعه على الجهاد، وبعد الحج توجه إلى المدينة المنورة وكان محط أنظار العلماء ومرجعهم وتجمع عليه كثير من عوام الناس وخصتهم، ثم عاد إلى مكة في رمضان وكانت له حجة ثانية ثم قفل راجعا إلى بلده فوصلها في رمضان سنة 1239 (1824م).

التحريض على الجهاد:

ومكث في بلده سنة وعشرة شهور ليس له عمل سوى الحث على الجهاد والهجرة فكان يشعر أن الحمل ثقل والأمانة كبيرة أم حسبت أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب

الآية (214) البقرة.

فقد كان يرى بريطانيا تلقى بكلها على صدر الشعب الهندي وتمنص خيراته وتسومه سوء العذاب فليس لهذه الحالة حل إلا بالهجرة والجهاد وبذل المهج والأرواح:

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحررض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا

الآية (84) النساء.

هدف السيد:

كان أحمد عرفان يرمي إلى تحرير القارة الهندية بأسرها وإقامة حكم إسلامي فيها وقد صمم أن يبدأ معركته مع الشيخ الذين يقيمون في البنجاب تحت قيادة (رنجيت سنج) في لاهور، وقد اختار المنطقة التي تقطنها القبائل الأفغانية ذات الشكيمة الصلبة والمراس الشديد عدا عن أن كثيرا من أبنائها قد دخلوا جيشه وبايعوه فكان يطمع أن يؤدي الشعب الأفغاني دوره في القتال، أما البنجاب فصورها أقبال في بيت واحد قائلا : (لقد مات الإسلام في هذه المنطقة لأن الشيخ قد انتزعوا من المسلمين السيف والمصحف)

الهجرة:

غادر السيد أحمد وطنه في جمادى الآخرة سنة 1241 هـ متوجها إلى المنطقة الشمالية الغربية من الهند (بيشاو والحدود) فاجتاز صحراء بلوشستان المقفرة وتكد من عناء العطش ولفح الصحراء ماتكبد، ووصل قندهار ثم اجتاز أفغانستان إلى بيشاور وكانت آنذاك جزءا من أفغانستان ولا يمر ببلدة إلا ويبحث منظر جيشه الأمل في القلوب اليائسة، هذا مع التحريض على القتال وبث روح الحمية الإسلامية واستثارة الغيرة الدينية في نفوس الناس فكان الجيش يزداد كلما مر يقوم فيندفع البعض لمبايعته ومتابعته. لقد كانت هجرة شاقة سيما وأن اتباع السيد من عليّة القوم من دلهي والهند ومن ذوي البيوتات الرفيعة في الثراء بالإضافة إلى العلم والأدب.

فقطعوا صحراء (ماروار) بين الهند والسند التي تمتد على طول 814 كم، وبعد الرحلة المضنية استقبلهم أهل السند استقبالا حافلا، ثم دخلوا صحراء بلوشستان بشعبها الجاف الخشن الطباع عدا عن انحسار الدين عن الحياة ودعك عن اللصوص الموزعين على طول الصحراء وعرضها، ثم دخلوا ممر (بولان) الشهير الذي يعتبر المدخل الوحيد بين الهند وأفغانستان وطوله 55 كم وأخيرا وصلوا مدينة شال (كوتيه) ثم قندهار فغزني فكابول.

ولقد استقبل في المدن الأفغانية الثلاث بحفاوة بالغة وتكريم كبير إذ كان الأمراء يخرجون لاحتضانه والاحتفاء به، وكانت كابل في القمة من الفرحة البالغة والحفاوة الرائعة فاستقبله سلطان محمد خان مع إخوانه الثلاثة ونزل في قصر الوزير الكبير فتح خان وقد كان بين أمراء أفغانستان نزاع وخلاف أطمع فيهم الانجليز والشيخ فمكث السيد شهرا ونصفا في كابل يحاول أن يصلح بين الإخوة. وقد كان السيد معجبا بهذا العرق الأصيل (الشعب الأفغاني) ويرى أن فيه من الأصالة وطيب المعدن والمروءة والفروسية مايمكنه أن يقيم دولة إسلامية تمتد من الهند إلى أسوار القسطنطينية لو اتحدوا، فحاول جاهدا الإصلاح بينهم ولكنه فشل وواصل مسيرته إلى بيشاور وأقام فيها ثلاثا ثم وصل إلى "نوشهرة" في 12 جمادى الأولى سنة 1242 هـ.

في نوشهرة:

وألقى عصا التسيار في نوشهرة وأقام معسكره الإسلامي ووجه رسالته إلى رنجيت سنج ملك السيخ في لاهور فاعتبر هذه الرسالة تطاولا على سيادته من شيخ من شيوخ المسلمين الذين يعيشون تحت حكمه كالسوائم إذ أن الرسالة تعرض عليه الإسلام أو الجزية أو السيف فاستهان بالرسالة وأرسل إلى قائده (بده سنج) أن يأخذ حذره.

معركة اكورة ختك في 20 جمادى الأولى سنة 1242 هـ: وبى ت السيد أحمد (بده سنج) فهجم عليه ليلا وعمل في جيشه قتلا ونهباً وقتل منهم سبعمائة واستشهد من المجاهدين بضعة وسبعون رجلا وكان نصرا مؤزرا مبينا.

البيعة :

وبعد النصر المؤزر الذي أنزله الله على السيد في اكورة أقبل الناس وبايعوا السيد وقرئت خطبة الجمعة باسمه ورأى أمراء بيشاور الإخوة الثلاثة (يار محمد خان، سلطان محمد خان، وبير محمد خان) أن هذا أمر قد توجه وإن له ما بعده فأقبلوا على السيد وبايعوه، غير مخلصين.

معركة شيدو ( بلدة قرب نوشهرة):

كان جيش السيد قد وصل ثمانين ألفا ولكنه من أخلاط الناس وأوشابها إذ كثر الغناء على النواة المخلصة التي كانت تكون القاعدة الصلبة ممن تربى على يد السيد وذاق في الله وعلى طريق الهجرة مأنصع نفوسهم، وجاء أمراء بيشاور بجيشهم البالغ عشرين ألفا وانضموا إليه وكان أمراء بيشاور على صلة وثيقة بالسيخ في لاهور، فدفعهم الحسد إلى دس السم في طعام السيد ثم دخلوا المعركة وقدم يار محمد خان فيلا أعرج إلى السيد ورأى أن يشترك السيد في المعركة والسم يأخذ من جسده كل مأخذ بين اغماء واستيقاظ ودخل السيد المعركة وطعم إخوة بيشاور أن يسقط السيد أسيرا بيد السيخ ولكن الفيل كان رجلا صالحا فانسحب بالسيد من المعركة، وانسحب يار محمد خان من المعركة بعد أن لاحت تباشير النصر للمسلمين ثم انخزل الأخلاط من ورائه، وكانت معركة لها مابعدها لو صدق أخوة بيشاور، ولغيرت التاريخ في المنطقة ولكنها الأطماع والأهواء كم أضاعت من شعوب وكم هزمت من أمم.

في بنجتار:

أدرك السيد أن الجيش إذا كثّر غثاؤه، وطفا زبده فإنه يصبح مصدر شر ومنبع فساد فلا بد من التربية والبناء، وقد علمته معركة "شيدو" الكثير الكثير من هذا، واغتنتها السيد فرصة إذ عرض عليه فتح خان زعيم قبيلة (خدوخيل) أن ينزل في ضيافته في قرية "بنجتار" على أطراف "سوات" فجاء السيد مع ألف من أتباعه واستقروا فيها وعملوا على هؤلاء بالتربية على قدم وساق (بالقيام والصيام وكثرة الذكر وطول القيام) مع التدريبات الشاقة، وأقام مصنعا للخزيرة والقنابل في قرية (قاسم خيل) مع مزاوله الفروسية وسباق الخيل.

البيعة في 15 شعبان 1244:

وبعد سنة من الدعوة والبناء في "سوات" ومنطقتها وعاصمتها (خهر) فاتح السيد زعيم القبيلة فتح خان بأنه لابد أن يتنازل عن القانون القبلي وأن يبائع السيد على الحكم الإسلامي وفي جمع غفير من المنطقة بايع فتح خان وبايع الناس، وأقام السيد نظام الحسبة والقضاء الشرعي وجباية الزكاة وعم العدل وأمن الناس وتواري الفساد.

في مواجهة القائد الفرنسي فينتورة: كان فينتورة قائدا لرنجيت سنغ، فكان قائدا للجيش الخاص الذي كان يفوق الجيوش الحديثة تدريبا وتنظيما واستعدادا، وبعد بيعة السيد استدعى خادي خان أحد زعماء القبائل الذين حضروا البيعة فينتورة لعله يسحق السيد أو يزيله من المنطقة، وعسكر فينتورة وطلب الأتاوات التي كان يأخذها من زعماء القبائل فرفضوا قائلين نحن بايعنا السيد، وأرسل السيد كتيبة عدادها ثلاثمائة واصطفت في مواجهة فينتورة فألقى الله في قلبه الرعب وكثر الله المؤمنين في نظره وانسحب من المنطقة.

وفي السنة التالية استدعاه (خادي خان) فجاء بعشرة آلاف ليغسل عار الهزيمة الأولى وتوجه إلى بنجتار (مقر الجيش الإسلامي) وعندما علم السيد أمر المسلمين أن يبنيوا جدارا في مدخل بنجتار الوحيد، ولبس السيد لأمته وخرج بسلاحه وصف الجند الذين بلغوا ثمانية آلاف، وتقدم الشيخ اسماعيل فقرأ آيات بيعة الرضوان من سورة الفتح، وبايعوا السيد على إحدى الحسينين (النصر أو الشهادة) ودعا السيد دعاء طويلا مخبئا ذرفت منه العيون ووجلّت فيه القلوب.

وتقدم فينتورة ورأى هذا الجيش الإسلامي فألقى في قلبه الرعب وانسحب ثانية.

النصر المبين:

ولقد كان لهزيمة فينتورة دوي هائل على طول البلاد، وتحدث به الناس بين حاضري وباد وأقبلت القبائل تباع السيد وتعاهد على نبذ الشرائع القبلية الجاهلية وعلى التزام الحكم الشرعي إلا "خادي خان" فقد ركب طيش رأسه وأصر على عناده وأبى. فأرسل إليه السيد محمد اسماعيل على رأس كتيبة عدادها خمسمائة مقاتل وقبل القتال ذكره بالله وبالتزام الشرع الإسلامي فرد خادي خان (نحن لنا شرع ولكم شرع).

وبعد انقطاع الأمل استقر الرأي على اقتحام قلعة خادي خان المسماه ب- (هند) فاقتحموها وقتلوا خادي خان ورجلا آخر وخضعت القرية الحصينة لحكم السيد.

وهنا انتفض يار محمد خان وقام على رأس جيش لجب من بيشاور مع سرب من الأفيال ووصل إلى (هرياته) يريد أن يقصي السيد عن (هند) وأرسل رجاله يعيثون في الأرض فسادا وأطلق المدافع ليقتفد الرعب في قلوب الأهالي، وهنا أرسل السيد رسله يحضونه النصيح ويذكرونه بالله فاستقبلهم باستعلاء وعجھية وإباء.

معركة زيدة:

وهنا اضطر السيد أن يرسل الشيخ اسماعيل على رأس كتيبة عدادها ثمانمائة فأقبل المجاهدون على الموت وعلا التكبير ودوى الزئير. وتقدموا إلى كتيبة مدافع العدو واستولوا عليها واستعملوها ضد يار محمد خان، وهرب الشتات وجموع المرتزقة الذين جمعهم يار محمد وجرح ومات على الطريق وكان نصرا عظيما مؤزرا.

معركة تورد:

بعد مقتل يار محمد خان أمير بيشاور في زبده أقبل أخوه سلطان محمد خان يقود جيشا عرمرما يعد ثمانية آلاف فارس وأربعة آلاف راجل للأخذ بثار أخيه وراحة المنطقة من الخطر الإسلامي الجديد فعندما علم السيد بهذا أرسل إليه الرسل وذكره بالله ثم بالإسلام أن لايزج بالناس في حرب يفرح بها أعداء الله من الإنجليز والشيخ وذكره بالبيعة التي في عنقه ولكنه قابل النصيح بالاستخفاف وأرسل إليه السيد مرات وعندما علم إصراره على الحرب خرج السيد يقود كتائب الإيمان المكونة من (خمسة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل) ودعا طويلا وكان هذا دأبه قبل كل معركة وأنشد المجاهدون نشيد الجهاد الذي نظمته (خرم علي) وتسابقوا إلى الموت وأبدى السيد بسالة فائقة، وهزم العدو ودارت الدائرة عليه وقتل منهم عدد كبير ونصر الله جنده.

فتح بيشاور:

وهنا أن الأوان لفتح بيشاور بعد أن صنع أمراؤها ماصنعوا، فتوجه السيد بجيش قوامه سبعة آلاف من المجاهدين ومروا على مردان وبقي فيها يومين ثم توجه إلى بيشاور وهنا أرسل سلطان محمد خان رسله يعلن توبته وندمه فأبى السيد إلا دخول بيشاور حتى لايشيع سلطان أن السيد قد اتخذ خوفا ورعبا، وألقى السيد تعليماته ووجه نصائحه ومواعظه إلى الجيش بوجوب التزام آداب القتال وعدم الغلول، وصيانة حرمة المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ودخل الجيش وهرب سلطان محمد خان وبقي الجيش جانعا يومين حتى ذهب (بهرام خان) واستدان من الصرافين مالا واشترى للجيش طعاما.

وهنا عاد سلطان محمد خان وأرسل يعرض التوبة على السيد وتجديد البيعة ونزع يده من كل ثائر على الحكم الإسلامي وفرغ الناس إثر سماعهم هذا العرض لأنهم خشوا أن يعود سلطان إلى ظلمه وبطشه خاصة وقد رحب الناس بالفتح المبين.

وقابل سلطان محمد خان السيد أحمد فذكره السيد بالمؤامرات التي حاكها مع إخوانه خلال السنوات الثلاث من شيدو إلى زيدة ثم تورد، فأخرج له سلطان رسالة من بعض علماء الهند المحترفين يحذرونهم من السيد وصحبه ويغرونهم بالإيقاع به بمجرد الوصول إليهم لأنه خارج عن الإسلام وعميل للإنجليز. فدهش السيد وهو يرى هذا النوع من المحترفين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وأظهر سلطان ندمه وتوبته وجدد بيعته وعاهد أن يكون مخلصا وفيا للسيد وخاضعا لأحكام الشرع.

تولية سلطان محمد خان على بيشاور:

وولى السيد سلطان محمد خان أميراً على بيشاور وعين مظهر علي العظيم الأبادي قاضياً فيها، وعين المحتسبين والجباة في القرى والمدن وبدأ شرع الله يسود المنطقة كلها، وأزيلت المظالم، وأعلن السيد وجوب تخفيف المهور لأن غلاءها أدى إلى شر مستطير وفساد كبير.

تعطيل القانون القبلي (الأفغاني) وسيادة شرع الله:

وعندما ساد شرع الله تعطلت مصالح الزعماء والرؤساء والمنتهجين من العلماء وقد عبّر عن هذه النفسانيات عنانية الله خان السواتي الذي أرسل رسالة إلى محمد اسماعيل قانلاً :

(إنكم لا تحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة وإن الكتاب والسنة والعلماء في جانبكم ولكن هذه الأحكام يشق علينا العمل بها وسنظل متمسكين بتقاليدنا الأفغانية فإن أبيتم علينا حاربناكم فإن كان الظفر لكم غادرناها إلى بلد من بلاد الكفار).

المؤامرة الرهيبة (الوهابية):

وعاد سلطان محمد خان مع بعض القوم يتآمرون واتفقوا مع الانجليز والشيخ وزعماء القبائل فأجمعوا أمرهم أن يشيعوا بين القبائل أن السيد قد جاء بدين جديد هو (الوهابية) الخارجة عن الإسلام وأرسلوا أموالهم ووزعت على بعض العلماء الموالين للكفار وعلى رؤوس القوم وتواعدوا فيما بينهم يوماً للقيام على القضية والمحتسبين وعمال السيد الإمام وقتلهم جميعاً، وجاء اليوم الموعود وانطلق القوم لا يلبون على شيء ولا يراعون في مؤمن إلا ولا ذمة وبدأوا يصادون كالطباء المودعة فعملوا فيهم مجزرة عظيمة فقتل علي العظيم أبدي في بيشاور ورمضان شاه رئيس القضية وقد قتل قسم منهم أثناء الصلاة، وهكذا أبادوا صفوة المهاجرين المجاهدين بهذه الخيانة النكراء التي قلما شهد لها التاريخ مثيلاً بالخسة والندالة.

الهجرة الأخيرة :

ووقع النبا كالصاعقة على قلب السيد وقرر الهجرة من بنجتار خاصة وقد علم أن فتح خان (زعيم منطقة بنجتار) متآمر مع المجرمين وقرر أن يغادر وبكى الكثيرون على قراره وحاولوا أن يثبوا عزمه عن القرار ولكنه مضى وبم شطر كشمير ليجاهد الانجليز منها وعلى الطريق استقر الجيش في (بلاكوت) الحصينة حيث وصلها في رجب 1346.

وفي بلاكوت طوي سفر القافلة المباركة : إذ هجم الشيخ بجيش كبير عليهم ورأى بعض أتباع الإمام الانسحاب إلى الجبال بعيداً عن جيش الشيخ حتى يعد العدة ويعود للانقضاض ولكنه أبى وقال (إما النصر على الشيخ ودخول لاهور أو الجنة) وبدأ السيد بالدعاء الطويل وقذائف الشيخ تنصب عليه وهو في المسجد ويسمع بين الحين والآخر هاتفاً يناديه ويتساءل أدعاني أحد منكم فيجيبه المجاهدون بالنفي، ثم انقض مع أصحابه كالسهم الخاطف، والصواعق المرسلة وحمي الوطيس وانتقلت المعركة إلى استعمال السلاح الأبيض والاشتباك حتى كان المجاهدون يلحقون بالشيخ ويجرونهم بأرجلهم، وفجأة قتل محمد اسماعيل، وأبيد القوم، واختفت جثة السيد أحمد عرفان فلم تعرف وكان هذا آخر فصول المشاهد العظيمة التي كانت الدنيا كلها تنتبذ أحداثها بلهفة ولوعة وهي تنتظر انتصار الإسلام على الشيخ والانجليز وإعلاء راية الإسلام وشرعيته في وسط آسيا كلها وقد كانت الفاجعة في 24 ذي القعدة 1246 الموافق 6 مايو سنة 1831، واستشهد في الواقعة ثلاثمائة من صفوة أهل الأرض ثم أسدل الستار.

مواصلة الجهاد :

وواصل أتباع السيد أحمد عرفان الجهاد ضد الانجليز واضطروا أن يرسلوا عشرين بعثة عداها ستون ألفاً لمقاومة المجاهدين وقد اعترف الدكتور هنتر بأن ثكنات الجيش الإنجليزي في البنجاب قد خلت بعض الأيام لانشغالها لمحاربة المجاهدين وأخيراً أثاروا القبائل باسم (الوهابية) وقضت عليهم وما انتهى نشاط المجاهدين إلا بعد قرن كامل سنة 1320 هـ حيث توفي آخر أمير لجماعة المجاهدين عبدالله بن ولاية علي الصادقوري (1).

ونسلم اليوم عن حركة وليدة ناشئة في بلوشستان تنادي بالجهاد على خط أحمد عرفان الشهيد. وقد كتب د. هنتر عن قضية السيد أحمد عرفان كتابين هما:

THE GREAT WAHABI CASE \_ INDIAN MODEL MANS

ما اشبه اليوم بالبارحة:

واليوم في الجهاد الأفغاني تستعمل بريطانيا نفس السلاح المسموم فتثير الغوغاء وتحرك الدهماء على القادة الصادقين والعرب القادمين المهاجرين لنصرة الجهاد بهذه الشائعة (الوهابية) وتصبح الوهابية نغماً لازماً تعرف عليه الصحف الغربية وإذاعة كابل والصوفية المخرفة وصوت أمريكا وإيران الحرة لعلها تفرق بين العرب والأفغان وتعيد تحجيم القضية مرة أخرى إلى قتال قوم (الأفغان) ضد الروس، بعد أن أصبح الجهاد في أفغانستان جهاداً عالمياً إسلامياً يقض مضاجع أعداء الله في الدنيا كلها، ولكن قادة الجهاد والعلماء الصادقين وقفوا وقفة مشرفة أمام هذه المؤامرة الجديدة حتى عبّر عنها الشيخ يونس خالص قانلاً (إن حب العرب جزء من ديننا). يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون الآية (32) التوبة .

(1) (ارجع إلى الموضوع بتفاصيله في كتاب أبي الحسن الندوي/ إذا هبت ريح الإيمان)

حضارة الإرث الثالث\*

[نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والخمسون- ذو الحجة 1409 هـ، الموافق يوليو 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

قال لي صاحبي معاتباً : أنتم قدمتم القضية الأفغانية في إطار أوسع من حجمها، وبصورة أنصع من واقعها، وبضخامة أكبر من أحداثها، وهذه مسؤولية أمام الله،

مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد

الآية (18) سورة ق.

وقال لي آخر: لقد بدأت صورة العملاق الأفغاني تقزم، وإشرافة الصفحة الجهادية تبهت، وبدأ الجهاد يفقد تلك الجاذبية التي أغرت الجماهير الإسلامية بمتابعته، وجذبت العشاق من كل حدب وصوب فارتدت على عتبته.

وقال لي ثالث : إنك ماتفتاً تذكر أن الشعب الأفغاني شعب فريد في أصلاته عريق في أرومته فذ في استعداداته وفطرته، مع أننا رأيناها جاهلاً فيه كثير من السقطات والهفوات والإنحرافات. فاجبتهم : رويدكم، لا ترموني شزرا ، ولا تزلقوني بأبصاركم ضجرا ، ولا ترهقوني من أمري عسرا فما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

أما عن تقديم الجهاد الأفغاني في ثوب فضفاض فهذا أمر غير صحيح، إذ لم يكن في حساب أحد أن الجهاد سيحقق الأمان العذاب واقعا ملموسا بمسيرة الآلام والعذاب فلقد حول الجهاد الأساطير إلى أحداث ووقائع ولقد كانت الإحصائيات التي قدمتها الأرقام الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية أن ما دار في أعماق أفغانستان شئ يشبه الخيال لا يمكن وجوده إلا في عالم المثال تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال. فلقد كانت التقارير تثبت أنه قد سقط وحطم للسوفييت حتى بداية سنة 1988 حوالي ألفين وثمانين طائرة، وعسكريا مثلها يكون قد استهلك لكثرة الاستعمال ودمر حوالي 17 ألف دبابة ومصفحة و 12 ألف آلية. وهذه أرقام لم يشهد لها التاريخ نظيرا بعد الحرب العالمية الثانية، بل أستطيع أن أقرر قائلا :

واقعا أكبر من إعلامها:

ما رأيت قضية واقعا الفعلي أكبر من إعلامها مثل قضية أفغانستان، وأما عن الشعب الأفغاني: فهذه شهادة التاريخ القائلة: بأنه فريد في شدة مراسه وصلابة شكيمة وقوة بأسه، ودعك عن صبره وأنفته، وعزته وشدة وسلامه فطرته، وإبائه وحيائه. وإذا حمل الشعب الأفغاني عقيدة فإنه يبذل لها المهج والأرواح فقد اعتنق البوذية أولا وكان وراء نشرها في وسط آسيا وشرقها ثم اعتنق الإسلام فحمله على رؤوس الأسل وصفاح البيض وعم الإسلام المنطقة ولم يدعن أهل أفغانستان التي تشكل جزءا من أرض خراسان - للإسلام بسهولة بل بعد جهد جهيد يقول ياقوت الحموي: (وإذا اندلعت نار الحرب في خراسان أحرقت الأخضر واليابس وأنت على المدنية وال عمران لشدة بأس أهلها وقوة شكيמתهم ودفاعهم عن أمصارهم والتصدي لخصمهم) (1). قال صاحبي: ولكتك لم تذكر عيوب الشعب الأفغاني، فأجبت قائلا نحن نتكلم في قضية معينة وهي الحرب والشجاعة والصبر والبطولة، وهي التي فقدتها معظم الأمة الإسلامية.

أتريدوني وأنا أتكلم عن بطولة عنتره الفرسان أن أقول عنه ولكن له رائحة كريهة تخرج من عرقه أثناء المعركة وهو جاهل أمي حتى تكون الصورة صادقة والنقل أمينا ، وأقول من كان منكم بلا خطيئة فليرجعها فمن كان شعبه خاليا من العيوب فليذكر عيوب الأفغان. وأما إكرامهم لضيفهم فحسبك ما رواه أبو الجنيدي عن أهل فارياب قائلا : لقد بقينا طيلة شهر رمضان سنة 1409 هـ كعرب ناكل الرز بدون لحم- سحورا وفطورا ثم اكتشفت أن القائد قد ألقى أوامره الحاسمة للطباخ أن يشتري لنا الرز دينا من الأسواق بينما الجبهة تفطر وتتسحر الشاي والخبز فقط.

أما عن صورة المارد الذي تقزم فهذا شأن الإعلام اليهودي الغربي الأمريكي إذ أنهم نقلوا بعض الصور الحقة أثناء القتال بين الأفغان والروس، وقد كان الأمريكان جد خائفين من استمرار الاحتلال الروسي لأفغانستان وكانوا يخشون على أبار البترول في الخليج العربي وعلى المياه الدافئة فكان يهمهم أن لا تستقر قدم الدب الروسي أيضا قرب بحور الذهب الأسود، ويهدد مصالحهم في باكستان والدول الصديقة، أما الآن وقد هزمت روسيا ولت على أعقابها مدبرة ذليلة حسيرة. وأصبح المجاهدون قاب قوسين أو أدنى من الانقضاض على عرش نجيب والإجهاز على الشيوعية، انتفضت الدنيا خشية أن يصل المجاهدون الحكم ولذا ألقبت الأوامر إلى الإعلام أن يبحث عن كل نقيصه فيلصقها بالمجاهدين ويبرز غوربتشوف بأنه بطل السلام قيدت الأوتار الموتورة والحملات المسعورة تعزف على قضايا (الحرب الأهلية) (القتال بين المسلمين) (الوهابية وهدم المذهب الحنفي)، وبدأت الضفادع اليسارية من أهل الش مال والبيغاوات التي تقع وراء كثير من الصحف العربية تردد ما يبذئ فيه اليهود ويعيدون، وتحذر من دفع المساعدات للمجاهدين لأنها - بزعمهم - تزيد في سفك دماء المسلمين في حين أن كف الأيدي عن البذل في قضايا مثل أفغانستان إنما يعني عدم دفع الشر عن الأطفال الأطهار وعدم حقن دماء الشيوخ الأبرار.

المؤامرة كبيرة:

فغفر صاحبي فاه قائلا إذن فالمؤامرة عالمية فأجبت قائلا : نعم ألا تسمع اللحن النشاز في مسيرة الشرف والفخر والذي ينادي بعودة ظاهر شاه فقد نقل إلى أن الجنرال أكرم قد عاد من عند ظاهر شاه قبل أيام فسنل عن الملك فقال: لقد عرض عليه الأمين العام للأمم المتحدة أن يرجع إلى أفغانستان فأجاب الملك لن أرجع حتى يطلبني القادة السبعة وعلى رأسهم حكمت يار وسي اف وذا يكون حين يلج الجمل في سم الخياط.

مقتل ضياء الحق:

فقال صاحبي وهو يتابعني ولعل قتل الرئيس ضياء الحق كان جزءا من المؤامرة. فقلت: إن قتل ضياء الحق كان الركن الركين في هذه المؤامرة فلقد قتل ضياء لأنه وقف وقفة الشرف والإباء بجانب ليوت الله فكان الغرب والشرق يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم ويحفظوا لهذا القائد الفذ يده البيضاء وقيموا اتحادا فدراليا أو كونفدراليا مع باكستان فتلتقي الطاقة البشرية الإسلامية في أفغانستان مع القوة الذرية في باكستان وعندها تصبح مصدرا للربح يهز أوصال الكفر في العالم أجمع، عدا أن ضياء الحق قد أسدل ستارا حديديا من الصمت المطبق حول قضية المفاعل النووي الذي ح م ت لوجوده أجهزة الأمن الهندية واليهودية (الموساد) والتي أوكلت لأجهزة الرصد الأمريكية بالبحث عنه فباعت بالفشل.

عدا أن ضياء الحق كان يقف صخرة شماء أمام المخطط الأمريكي الذي ينوي ضم الهند إلى المعسكر الغربي وكان للهند شرط واحد: أن تكون شرطي المنطقة فيأبى الراحل الفذ أن يعطي الدنيا في دينه للهند. ودعك عن الوقفة المشرقة التي ودع بها الدنيا يوم أن أطاح بالحكومة المدنية وآلى على نفسه ليحكم بالإسلام وإن كلفه ذلك نفسه وعرشه. ولذا فإن المراقبين يكادون يجمعون أن أمريكا هي التي عبثت بطائرتها وذلك لأن المادة الكيميائية التي استعملت في حادثة اغتياله لا تصنع إلا في دولة متقدمة.

واستدارت عجلة الجهاد:

أما اليوم فقد استدارت عجلة هذا الجهاد كيوم بدأ وعاد يواجه الصعوبات التي قابلها في تلك الأيام الأولى من ضيق ذات اليد وتتركز الصديق قبل العدو، وبدأ التضييق على الحدود، وجاء قرار منع إخراج الأغذية خارج باكستان كثالثة الأثافي ليحول دون وصول الرغيف إلى يد ليوت الغاب فإذا وضعت في حسابك السنين التي حلت على أفغانستان خاصة شمالها وغربها تحمل معها القحط

والفاقة حتى تضاعف ثمن الطحين لهذا العام خمسة أضعاف وزحفت الآفات مع الجراد لتأتي على ما بقي من حياة وأضافت القذائف بحرائقها على هذا الجو الكئيب الحزين عمقا لمأساة الرغيف. ولقد جاءني "نعمة الله" أحد تلاميذ معهد الأنصار من بدخشان يقسم لي أن جبتي في "شهر بزرگ" تعرض السلاح للبيع حتى تشتري الطحين للمجاهدين ولكن أنى لهم بالمشتريين؟ ودعك عن إيقاف الدعم المفاجئ الذي واجهه المجاهدون من الدول الصديقة وهم على أبواب كابل حتى لا تحسم المعركة عسكريا .

الحائط المسدود:

قال صاحبي: ولكن ألا ترى أن الجهاد الأفغاني قد وصل إلى حائط مسدود ومأزق ضيق ووقف أمام عقبة يصعب عليه اجتيازها بعد عجزه عن فتح جلال آباد مع مرور هذا الوقت الطويل؟ فقلت له: رويدك قليلا ولنرجع إلى الوراء قليلا لنذكر حقيقة جلال آباد فلقد كانت الحكومة تسيطر على مساحة 30×70 كم (200×2 كم) تقريبا قبل ثلاثة أشهر في منطقة نجرهار (جلال آباد) فلم يبق في يدها إلا (4×7 كم) هذا بالنسبة لجلال آباد التي تقع تحت رحمة نيران المجاهدين التي يكفونها عن الأهالي. أما بالنسبة لأفغانستان : فالمجاهدون يسيطرون تقريبا على معظم الطرق الرئيسية مثل شارع كابل غزني، قندهار هرات، كابل جلال آباد، جلال آباد طورخم، جلال آباد أسعد آباد، كابل لوكر، لوكر جارديز . ودعنا نقلب معك صفحات التاريخ :

حصار الطائف :

ألم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبواب الطائف بعد أن حاصره بضعا وعشرين ليلة بعد أن نالت النبال من أصحابه صلى الله عليه وسلم ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ودخل نفر من أصحابه صلى الله عليه وسلم تحت دبابه (آلة تصنع من خشب وتغطي بالجلود يدخل فيها رجال ليصلوا إلى السور لينقبوه) فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلا فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف (2).

فتح العراق:

ألم تعلم يا أخي أن المدة التي مضت بين القادسية التي كانت في محرم سنة 14 هـ وبين نهاوند سنة 12 هـ (أقدم مدن العراق) سبع سنوات. وكان المسلمون خلالها بين كر وفر وهزيمة ونصر. أما علمت أن الصحابة والتابعين قد وقفوا أمام حصون تستر (مدينة الهرمزان) سنتين كما يروي ابن كثير، وأنهم قد خاضوا مع الكفر فيها ثمانين معركة وزحفوا ثمانين زحفا وما دخلوها إلا بعد أن خرج إليهم رجل من أشرف القوم اسمه "سمينة" دلهم على الطريق وأدخلهم بأمان حتى قتلوا الحرس واقتحموا الحصن بعد أن دعا لهم البراء دعوته المستجابة (اللهم اهزمهم واستشهدني)، وقد استشهد خيار الصحابة فيها كالبراء ومجزأة بن ثور. وفي نهاوند (فتح الفتوح) يرسل النعمان بن مقرن طلبية أمام الجيش ولهول الموقف يرجع الجميع حتى عمرو بن معد يكرب وينفذ رجل واحد وهو طلبية الأسدي (المتنبئ الثاني) فلما طال الحصار جمع النعمان أهل الرأي يستشيرهم فقال عمرو بن معد يكرب يحرض المسلمين (ناهدهم وكأثرهم ولا تخفهم فردوا عليه جميعا : إنما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا)(3).

فقه الأوراق وفقه الحركة:

والذين يزاولون فقه الأوراق اليوم وهم ينقلون عن الصحابة طول مدة القصر يظنون أنهم كانوا مستقرين مطمئنين ولا يعلمون وهم ينقلون عن الصحابة أنهم كانوا في معارك لا تتوقف أو جو من الرعب والرهب في حصار أعداء الله وشبح الموت يترأى أمام نواظرهم صباح مساء. فقد روى نافع عن ابن عمر (أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول) وقال أنس: (أقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة)، وقال الحسن (أقيمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع) فقد كان الجميع يعيشون المعركة في خضم متلاطم من القبائل والأعداء يتحفزون للانقضاض عليهم والبطش بهم.

قال صاحبي: إذن لم يفت الوقت فأجبت بلى: بل إن الجهاد في تقدم وما من يوم يمر إلا والجهاد يحقق نصرا مهما كان ضئيلا والمجاهدون الآن يدمرون الحزام الأمني الثاني لكابل، ويوصلون الليل بالنهار لمعركة كابل المقبلة خلال الأشهر القليلة المقبلة بإذن الله، فتراهم مشغولين بحفر الخنادق وتخزين المؤن ونقل الأسلحة ولينصرون الله من ينصره إن الله لقوي عزيز

الآية (40) الحج.

وإشرنا حكمت يار بالأمس عن فتح مديرية كبرى من مديريات كابل وهي (ميرباجكوت) مع غنيمة 16 دبابة.

أريدحياته ويريد قتلي:

ولو علم الغرب والشرق والأمريكان بالذات ما سيققه انتصار هذا الجهاد من خير لهم، ومن إنقاذ لإنسانيتهم، وحل لأزمته، لبذلوا له الغالي والرخيص والنفس والنفيس، إنهم يردون الرحمة المهداة، والسكينة والطمأنينة المنشودة والتي فقدوها نهائيا في مجتمعاتهم، إنهم يقتلون الإنسانية بحضارتهم، وانتصار الجهاد وتسلم المجاهدين للزمام يعني تقديم السعادة للإنسان، إن حاجة البشرية اليوم إلى الإسلام أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب.

إن حضارة الإسلام هي الوحيدة التي تصلح لإرث الأرض وإنقاذها، إن نداء الفطرة يصرخ: أريد حضارة (الإرث الثالث) كما يسميها جارودي، إن الفطرة تريد الخلاص، وصدق الله العظيم:

أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون

الآية (122) الأنعام.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(2) السيرة النبوية لابن هشام / ج4، ص 126.

(3) البداية والنهاية / 7/129.

الطريق إلى كابل\*

[نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والخمسون - محرم 1410 هـ، الموافق أغسطس 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فعلى طول الطريق من بيشاور إلى غند الفتاح (جاجي) كان الحديث الذي يدور بيني وبين حكمتيار وبمك وبحتل الأهمية البالغة في وقتنا هو حديث الجهاد، وفي قمة الأهمية البالغة معركة كابل التي أصبحت الشغل الشاغل للمجاهدين قادة وجنودا، كيف لا وهي فيصل المعركة التي ق دم لها الغالي والرخيص والنفس والنفيس، وعلى حسم المعركة في كابل تتوقف نتائج عظيمة لهذا الجهاد الذي اشرأبت له الأعناق، وهفت له القلوب، فأصبح لها موردها ومثابتها، وسامرها وأنيسها وسلوتها، فما بذلت النفوس، ولا أريقتم الدماء، ولا كانت هذه التضحيات إلا لتحقيق هذه الأمنية وذلك بفتح كابل والتي يترتب عليها اسقاط النظام الشيوعي ومن ثم إقامة دين الله في أفغانستان، وبناء المجتمع الإسلامي.

مركز "الفتح":

وصلنا مركز "الفتح" الذي أخذ حبه على حكمتيار كل مأخذ، إذ كانت له في غاباته ذكريات عزيزة إبان المعارك التي احتدمت خلال الأعوام المنصرمة، وقد كان حكمتيار أثناءها يتخذ قمة من القمم الشاهقة التي تتأطح عنان السماء مستقرا يربض فيه خلف رشاش مضاد للطائرات، وقد صاحبت في بعض المواقع الساخنة في هذه الأصقاع وكانت يومئذ في الحرب الضروس فئات كأن المتنبى يعينها قائلا:

في غلما أخطرأ أرواحهم ورضوا بما لقين رضا الأساد في الأجم (1)

قد بلغوا بقناهم فوق طاقته وليس يبلغ ما فيهم من الهم (2)

ولشدة ولعه بحب "الفتح" فقد أوصى حكمتيار: (إذا مت في بيشاور أو في باكستان فادفوني في الفتح وإذا استشهدت في أفغانستان فادفوني حيث مصرعي).

لقاؤنا مع الإخوة العرب:

وقد كان اللقاء في الفتح مع مجموعة من الإخوة العرب في الثاني من ذي الحجة سنة 1409 هـ يقودهم أبو الحسن ومعه ثلة من الصفوة قد أعدوا أنفسهم ليلقوا بها في أتون معركة كابل، وفي خضم أحداثها، وبدا أبو الحسن يتكلم عن رحلته قبل أيام إلى خرد كابل حيث زار مع بعض إخوانه مناطق الحوزة الثالثة من كابل (سروبي وبجرامي وتشار أسياب)، وأخرج أبو الحسن خارطة كابل، وكان قد طبع حوالي ثلاثمائة خارطة لأماكن شتى لكابل ومحولها، ودار الحوار حول حوزات كابل وأهدافها الرئيسية فقال حكمتيار:

لابد من إغلاق الطريق الرئيسي الواصل بين سالنج وكابل، طريق (حيرتان - سالنج - كابل) هذا هو الهدف الأول الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا.

وأما الهدف الثاني فلا بد من ضرب المراكز الحساسة مثل مطار كابل (خوجا رواش)، وبجرام، ودار الأمان.

ثم قال حكمتيار: إن مديريات كابل يمكن ترتيبها حسب أهميتها في المعركة القادمة كالتالي:

(1) الحوزة الأولى الشمالية: ذات الأهمية القصوى وتضم أربع مديريات: قره باغ، مير يتشاكوت، دي سبس، شكردره.

وهذه يوكل إليها مهام ضرب الطريق الرئيسي (حيرتان - سالنج - كابل) ومطار بجرام ومطار خوجا رواش (مطار كابل).

(2) الحوزة الثانية (حوزة غرب) وتضم بغمان وجاردي، ويوكل إليها ضرب دار الأمان.

(3) الحوزة الثالثة: (جنوب شرق) وتضم: سروبي وبجرامي وتشار أسياب ويوكل إليها مهمة أساسية وهي: ضرب مطار كابل، ومهام أخرى: كإغلاق طريق كابل / جلال آباد، وطريق كابل / جارديز وضرب بول تشرخي.

وقد أجمع القوم على أن مقتل الحكومة في الحوزة الشمالية التي تستطيع أن تخنق كابل بقطع طريق الإمداد الرئيسي عنها.

القيادة الموحدة أو مجالس الشورى:

وأكثر ما كان يشغل أذهان الإخوة العرب ويتردد على ألسنتهم هو العمل الدائب لإظهار قيادة موحدة للمعركة وهذا الأمر هو الذي استحوذ على اهتمام الإخوة في جولاتهم حول كابل والتي بدأت منذ بضعة أشهر، وهنا قضيتان لابد من الوصول فيهما إلى حل:

(1) الاجتماع على قيادة موحدة.

(2) الاجتماع على خطة مشتركة بين المجاهدين.

وهناك قضايا أخرى كانت الترتيبات والاتصالات الدائبة تعمل عليها منذ عدة أشهر وعلى رأسها التنسيق مع القادة الأمراء بشأن المواد الغذائية وتوفيرها للمعركة، وقد كانت التقديرات الأولية أن معركة الصيف تحتاج ستة آلاف طن من المواد الغذائية، وتوفير الغذاء ونقله إلى الخطوط الأمامية كان يشغلنا ويجهد علينا أفكارنا.

ولعل الله قد اطلع على قلوب بعضنا، فعلم صدق النيات وإخلاص الطويات فالآن لنا بعض قلوب الصالحين والمحسنين فبذلوا بسخاء وقد تجمع بعض المال الذي اشترينا به المواد الغذائية.

وفي المساء وعند هذه القضية بالذات قمت بالتجول مع أبي الحسن بين المخازن التي نصبت سرادقها لتوضع فيها الأغذية (الأرز والطحين والعدس واللوبياء والسمن) وكانت السيارات الشاحنة الضخمة واقفة أمام هذه الخيام وقد ش حنت هذه الناقلات بالأغذية.

وكانت القافلة الأولى تضم ستا وعشرين ناقلة كبيرة بدأت مسيرتها بعد طلوع الشمس، وأخذت صيحات التكبير من الإخوة العرب تتعالى وتتردد أصدواها بين السفوح والأودية، وارتفعت الأكف إلى السماء ضارعة إلى الله أن يحفظ هذه الشاحنات وأن يوصلها على خير.

تبرع سخي:

ولقد ذكر لنا أبو الحسن أن هذه المواد الغذائية قد تبرع بها أحد المحسنين، فضرعت إلى الله عز وجل أن يحفظه في دينه وماله وأهله، وأن يجد بركة هذا التبرع السخي في دنياه وأخراه وذريته وصحته، ولقد ورد في الحديث الصحيح أن بغيا من بني إسرائيل سقت كلبا ففقر الله لها. فكيف بمن يتكفل عشرات الألوف من المجاهدين بالطعام في معركة فاصلة مثل هذه يتوقف عليها كثير من النتائج في المنطقة بل ربما في العالم أجمع.

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم

اسمعتني ودوائي ما أشرت به  
من اقتضى بسوى الهندي حاجته

فإنما نحن للأسياف كالخدم  
أجاب كل سؤال عن هل بلم

حديث التاريخ :

ولقد حدثني التاريخ قائلا : إن بين طيات ص حفي مصداقية كلامك، فمن وسط آسيا خرج المغول وحكموا أرجاء كبيرة من المعمورة واعتنق أحد أبناء جنكيز خان هذا الدين (وهو بركة خان) وقامت الدول المغولية الإسلامية التي حكمت تركستان وأصقاعا كبيرة من الأراضي التي تزرع تحت الاستعمار السوفياتي. ولقد برز من هذه الأرض (وسط آسيا) تيمورلنك الأعرج الذي أنشأ الدولة النثرية والتي بسطت سلطانها على مساحات واسعة من الأرض واعتنقت الإسلام وأخذت مكانتها خليفة للدولة المغولية. وبرز من هذه الأرض الأتراك العثمانيون الذين امتد رواق سلطانهم قرابة خمسة قرون على العالم العربي وعلى أرجاء شاسعة في أوروبا يحكمونها باسم الإسلام وتعلن إذعانها لهم بدفع الجزية لخلفاء بني عثمان. فلا تستغرب أن يكون للأفغان دور ينتظرهم في انقاذ قطاع كبير من البشر باسم الإسلام وبحد الحسام. قال أبو الحسن المدني: إن أول مالفت نظري إلى أهمية القضية الأفغانية أستاذ في الدراسات الشرقية في جامعة أمريكية أخذت عنده مادة في التاريخ لمدة أربعة أشهر وقف فيه الأستاذ شهرين كاملين مع القضية الأفغانية ودورها المنتظر في التاريخ الحديث. وواصل أبو الحسن حديثه عن متطلبات المعركة فقال: لابد من تنشيط حفر الخنادق، وقد سه ل الله لنا بأن اشترينا مائة حفارة على حساب أحد المحسنين، وقد دربنا مجموعة كبيرة من الأفغان على هذه الحفارات بحيث يستلمونها ويحفرون بها ويقومون باصلاحها إذا اعتراها عطل أو خراب. وواصل الحديث : إن من ضرورات المعركة تأمين الخدمات الصحية : فرق الإسعاف، ومستشفيات الاخلاء (التخلية)، ثم المستشفيات المركزية. وقد قطع الإخوة العرب شوطا كبيرا في هذه الميادين.

لغة الواثق المطمئن :

وأثناء الحديث قال أبو الحسن: لقد دار النقاش بيننا وبين القادة في الميدان عن الشتاء المقبل وأخذنا عهدا على البعض ألا يترك مكانه إذا تساقط الثلج فقاطعه حكمتيار قائلا : لا تحدثوهم عن الشتاء فإننا نرجو - بإذن الله - أن تحسم المعركة في هذا الصيف لصالح المجاهدين، وأملني بالله عظيم أن يطيح بعرش نجيب قبل حلول الشتاء. وأنا أعلم : أن حكمتيار متفائل دائما وقد جاءت الأيام تصدق كثيرا من آماله ، فكثيرا ما كان يدور النقاش بيني وبينه حول انسحاب الروس ، وقبل سنوات كان يقول لي: ليس أمام الروس أي طريق سوى الانسحاب أو أن يقتحم الجيش الهندي الباكستان والجيش الهندي دون اقتحامه خطر القتاد فلم يبق أمام الروس سوى الهزيمة والخروج، وصدقت الأيام ظنه. وقد بدأ حكمتيار بالمعركة مع إخوانه سنة 1975 ضد نظام داود وقد كانت كل المؤشرات تقطع بأن قال حكمتيار لا محالة خائب وأن معركته خاسرة، وما ع م له إلا انتحار للحركة الإسلامية. ثم مرت الأيام وصدقت ظن حكمتيار، واتضح للأذهان بما لا يدع مجالا للشك أن لولا الله ثم قرار خوض المعركة ضد داود لأصبحت أفغانستان مع الأيام قطعة من روسيا كبخارى وطشغند. ولكن رأيت حكمتيار قد تعجل في تحديد فترة سقوط جلال آباد وقندهار. أما بالنسبة لكابل: فلقد أخذ حكمتيار يسرد علي تفاصيل المعركة وذلك بيني وبينه مما جعلني اطمئن أنه لا يعيش في أو هام ولا يتحرك في فراغ ولا ينعم في عالم الأحلام وإنما ينطلق من قاعدة صلبة، وضمن يديه أرقام وأسماء ووقائع تجعله واثقا بفضل الله أن نهاية الشيوعية في أفغانستان قريبة ولكن على قدر الله أولا ثم على توفر الذخائر بشكل كاف . أما بالنسبة لي: فقد بت جد حذر من التسرع بتحديد مواعيد لسقوط المدن أو نهاية الطاعوت في كابل بعد أن تعجلنا كثيرا في اعلان سقوط جلال آباد التي كانت في نظرنا لا تتعدى الأسابيع القليلة ثم ظهر لنا فيما بعد أننا لم نكن محيطين بالصعوبات البالغة والعقبات الشائكة التي تكتنف فتح المدن.

القدر لا يخضع للبشر:

وهناك أسباب بخبئها الله لعباده الصادقين ينزلها الله أثناء الشدة وإبان الأزمات فقد تستسلم فرقة من الجيش الكافر بالاتصال السري فتنتهي وجود الحكم. التسخير الرباني : وإني لأحس من أعماقي رحمة الله وفضله في تسخير العرب لخدمة هذا الجهاد، ودورهم في اذكاء روح الحماس لدى المجاهدين الأفغان الذين طحتهم الأحداث، وسهصرت عجلة الوغى أعصابهم وأنفسهم وقلوبهم حتى بات لسان حال الكثيرين يقول: تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم دعر الذعر ويقول :

جرحت مجرعا لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام وعطاء العرب من أنفسهم وأرواحهم أضخم بكثير من بذلهم من جيوبهم، ودعك عن الروح المعنوية العالية التي يقبل بها العربي وهو يتدفق حيوية ويتفجر حماسا مما يرفع معنويات المجاهدين. ولا تنس الالتزام الخلقي الذي يعتبر سمة بارزة للمجاهدين العرب، عدا المعرفة العميقة للكثير منهم بالسنن والقيام وصيام النافلة وآداب الطعام والشراب والتزام أذكار الصباح والمساء، وتلاوة القرآن، وآداب السفر، وأدعية القتال مما ينتقل إلى الأفغان بالاقتداء والتأسي لا بالكلام والتعليم. هذا عدا المؤسسات التي أشرف العرب على انشائها داخل أفغانستان للمجاهدين أو في باكستان للمهاجرين وفي شتى المجالات التعليمية والطبية والاجتماعية وحتى العسكرية.

أمور يتفرد بها العرب :

وهناك مشاكل استعصى حلها على الأفغان أو أعجم عليهم الاهتداء إلى إزالتها فكان الفرج على يد العرب؛ كالخلافات الداخلية واغلاق الطرق من قبل بعض الجبهات على الأخرى، والتنسيق بين قادة الميدان أو التقريب بين وجهات نظر الأمراء.

أعداء الله يدركون الخطر:

ولقد أدرك أعداء الله البارزون وأعدائهم المتسترين بأسماء المسلمين ضخامة الدور الذي يقوم به العرب الآن في المعركة، والروح التي تسري في الجهاد والمجاهدين كسريان النور في الظلام بسبب وجود هؤلاء المهاجرين الأنصار العرب، مما جعل الأعداء ينتفضون بكليتهم يشنون حملاتهم المسمومة على الوجود العربي، ويشعلون الفتنة ضددهم باسم الوهابية والتشكيك بالغايات السامية التي طرقت من أجلها المجاهدون العرب الدنيا وهجروا النعيم، حتى جازت الحيلة على بعض الجبهة، وأخذوا يوغزون صدور المسؤولين في باكستان على الوجود الإسلامي بين المجاهدين الأفغان ويؤزرونهم أزا للتضييق على حركتهم ومنع اعطائهم الاعتراف القانوني ببعض مؤسساتهم.

ولكن جذور المحبة العميقة التي نمت مع الأيام بين الأفغان والعرب من خلال تسابق العرب على الموت والتزام خنادق القتال والإلقاء بالنفوس في أتون المعارك المضطربة جعل الأفغان وهم أهل رجولة وإباء وشمم وفرة يدركون أن هؤلاء العرب ما جاءوا لغرض قريب أو متاع زائل أو سفاسف من الأمر وإنما جاءوا لقضية كبرى هي: الشهادة والجنة وأحياء دين الله من جديد وإقامة المجتمع الإسلامي فوق هضاب خراسان وبلخ وطالقان (وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه).

ودعك عن الاحترام العميق الذي يكنه الأفغان بدافع من دينهم للعرب الذين يعتبرونهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال يونس خالص لنا: (إننا نعتبر حب العرب جزءاً من ديننا).

ولكن لابد أن يكون معلوما لدى الجميع أن العرب لا يفعلون شيئاً بدون الأفغان ولا يستطيعون (فهم كالملاح للطعام). استدراك مهم: وفي ختام الجلسة الطويلة قال حكمتيار: ولكن علينا أن لا ننسى أننا نواجه مشكلة المدنيين الذين يقطنون المدن فلا بد من انقاذهم وعلينا أن نوفر لهم الخيام والمؤون في المناطق المحررة المحيطة بالمدن.

القدر والبشر:

وختاماً لا يغيب عن البال أن قدر الله جار، وأنه لا راد لمشيئته، ولا معقب لحكمه، إليه يرجع الأمر كله، بيده ملكوت كل شيء، والبشر لا يملكون إزاء القدر شيئاً، وإنما يجب علينا الأخذ بالأسباب والنتائج بيد رب الأرباب.

فالمجاهدون يعدون وهم على طريق كابل سائرون وأعداء الله متيقظون متحفزون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

رجال وأحداث

[\*نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والخمسون - صفر 1410 هـ، الموافق سبتمبر 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهكذا وعلى طول الطريق من "سنجت دره" إلى "تشاري كار" حتى مصنع النسيج في "جليهار" كأنك تسير في بستان واحد، الظلال الوارفة، والثمار الدانية، والأوراق البانعة، قطعة أرض واحدة على مد البصر تمشي عدة ساعات وكأنك لم تخرج من الروض النضير الذي ابتدأت منه المسير، الشارع العام الموصل بين كابل و"تشاري كار" يمر عنه المار في رابعة النهار فما تجد من العدو أحداً ولا تسمع له ركزا، ومدينة "تشاري كار" هي (مركز بروان)، ونمشي على هذا الشارع وعلى بعد نصف (كم) أو أقل من مركز بروان، بل إن المواقع العسكرية للمجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر، وخنادق المجاهدين لا تبعد خمسين متراً عن الشارع استعداداً لقافلة مارة أو دبابات تؤمن الطريق للمواد الغذائية القادمة من روسيا إلى دولة كابل.

شمالي:

ويطلق أهل أفغانستان على هذا السهل الممتد من "شكردره" إلى "جليهار" اسم (شمالي) ولعل الاسم قد أخذ لأن السهل يقع شمال كابل، وهو قطعة أرض واحدة على مد البصر، وكأنها مسطح أخضر لأن الأشجار المثمرة، من المشمش والتوت والبرقوق والكمثرى والدراق والجوز والأعقاب والرمان وغيرها من الثمرات التي تشتهبها الأنفوس وتلذ الأعين، تغطي سطح هذا السهل العجيب. وينتظم هذا السهل الريان ولايتي (كابيسا وبروان) تخترقه الأنهار ذات الماء الذي يشبه اللجين - الفضة - وتتدفق هذه الأنهار في الصيف حتى تصبح بألوانها المتلاطمة البيضاء مع الجداول التي تنفرع منها أو تصب فيها فتشكل لك مناظر ساحرة أخاذة، تأخذ بمجامع القلوب والألباب.

وفي هذا السهل مطار "بجرام" الذي يحيط به المجاهدون من كل جانب على بعد لا يتجاوز مائة متر.

وجبل السراج الذي لا يختلف عن سابقه (مطار بجرام) من حيث الأهمية، وفيه قوة للدولة في مكان يسمى (قلعة سرخ) أو (قواري سرخ) أي القلعة الحمراء - والتي تؤمن الطريق أثناء مرور قافلة ضخمة أو شاحنات زخرة - على مقربة من ممر سالتنج الجنوبي أخطر مضيق على القوافل الروسية المارة - وعلى طول 3 كم - ثم تسير من ممر سالتنج الجنوبي حتى تصل "قره باغ" و"مير بتشه كوت" ثم "شكردره" (وادي السكر) وهذه الثلاثة الأخيرة ساقطة في يد المجاهدين وهي من مديريات ولاية كابل.

أمّا "شكردره" فقد اخترق المجاهدون فيها الحزام الأمني (كمربند) الثالث، والذي يحيط بكابل لتأمينها والمكون من الجيش، وكذلك انقض المجاهدون على الحزام الأمني الثاني - حزام الخاد (المخابرات) ولم يبق سوى الحزام الأول المحيط بكابل وهو حزام الشرطة.

هذه المراكز والتي تعتبر شريان الحياة للدولة لا تحتاج إلا لتنسيق الجهود بين المجاهدين ثم انزال ضربات سريعة متلاحقة متتالية عليها لتهدى في يد المجاهدين وبالتالي تؤدي إلى الإطاحة بالنظام الشيوعي الذي يرأسه نجيب في كابل. وهذه المراكز "تشاري كار".

مطار "بجرام"، "جبل السراج"، "قلعة سرخ" بالإضافة إلى الطريق العام الموصل من "حيرتان" إلى كابل والذي يمثل شريان القلب بالنسبة للنظام، والذي يعتبر إغلاقه المقتل للدولة.

وهذا الطريق لو نسقت التنظيمات الجهادية فيما بينها لاستطاعت وبجهود متواضعة أن تحكم إغلاقه.

أمان وليست أحلاماً، آمال وليست أوهاماً:

كان حكمتيار على طول الطريق من "بيشاور" حتى وصلنا "تشاري كار" يحدثني أن أماناً هدفين رئيسيين الآن:

1- إغلاق الطريق العام (حيرتان - كابل أو روسيا - كابل).

2- ضرب مطار بجرام.

فكنت أقول له: أو تظن أن الحزب الإسلامي وحده قادر على القيام بهذين الهدفين وتحقيق هاتين الأمنيتين؟ فيقول لي: أظن أننا قادرون بإذن الله -حزب إسلامي وهو التنظيم الذي يرأسه حكمتيار- على تحقيق هذين الأمرين.

فكنت أقول له: لعلك بحاجة إلى ألا تغض طرفك عن التنظيم القوي الآخر الذي يشاطرك هاتين القضيتين وهو الجمعية الإسلامية.

ولقد كنت حريصا ، وأنا بجانب المهندس حكمتيار أن أقر في قلبه أن ليس بإمكان الحزب وحده أن يضطلع بمسؤولية فتح الثغور المهمة التي ذكرها أنفا ، وليس بمقدوره أن يحمل على كاهله إغلاق الطريق وفتح مطار بگرام.

وبناء عليه فكنت أريد أن أقرب إلى ذهنه الحكم الشرعي بالنسبة للقائه مع أحمد شاه مسعود (القائد العام لتنظيم شوراي نظار الذي يتضمن عشر ولايات شمال كابل والذي يشكل جزءا مهما من الجمعية الإسلامية التي يرأسها الأستاذ برهان الدين رباني). لقد كنت أقول لحكمتيار ونحن على مشارف بروجان:

إن لقاءك مع مسعود الآن فرض شرعي ولئن عدت إلى بيشاور دون اللقاء به فأنت آثم.

فقال لي : آثم؟ قلت: نعم آثم شرعا لأنك تفوت فرصة تقرب الإطاحة بالنظام الشيوعي أو تنل عرشه وتزلزل كيانه.

ووافق حكمتيار ورحب باللقاء.

موقف حكومة كابل المتهاافت :

ووصلنا بروجان وكلنا أمل أن يلتقي حكمتيار بأحمد شاه مسعود وينسقا من أجل اجتثاث الحكم الشيوعي المتهاوي من جذوره، ولك أن تتصور ضعف الدولة من خلال لقاء نجيب مع مجموعة من المزارعين، لقد سمعت نجيبا من خلال المذياع يتكلم مع مجموعة من المزارعين الذين جاءوا ليتنصروا من إغلاق طريق بروجان - كابل والتي تشكل للفلاحين عصب الحياة لأنهم يريدون أن يوصلوا ثمارهم التي طابت وحان قطاعها إلى كابل لأن هذا هو موسمهم السنوي كي يبيعوا جني بساتينهم من سائر الثمار في أسواق كابل ومن أثمان هذه الثمار يعيشون بقية سنتهم.

قال نجيب : أنا لم أغلق الطريق، قولوا للمجاهدين : أن يفتحوا الطريق لكم ولنا. وكنت أسمع لغته الرقيقة التي يتوسل بها لدى هؤلاء المزارعين أن يكونوا واسطته لدى المجاهدين فكان يردد أسماء القادة (سي اف صاحب -سياف المحترم- المهندس قلب الدين ...الخ).

ولقد جاءنا الأخ الدكتور حمزة أمس الموافق 19/8/89 برسالة موجهة من نجيب إلى حاج شير علم - قائد الاتحاد في مديرية بغمان - ليوقف القصف على كابل، وكانت هذه الرسالة إحدى رسائل ثلاثة وصلت إلى الحاج شير علم في هذا الشهر من نجيب.

كان هذا قبل ثلاث ليال في "رخا" (مركز بنشير) فأقول في نفسي ليت صحف (الوطن) و(الأنباء) و(السياسة) تسمع لغة نجيب فتستعملها مع المجاهدين لأن لغة أهل الش مال البترولي (اليسار المتورم بالديزل) أشد فظاظة وأكثر غلظة على الجهاد والمجاهدين من نجيب نفسه لأنه يتكلم بمنطق الضعيف المهزوم، وأما أهل الش مال البترولي فإنهم يشعرون بقوة لأن بطونهم منفوخة بالكاز والمازوت.

وكان نجيب يشكو إلى المزارعين وجود العرب في "شكردرا" و"كوهستان" و"جلال آباد" و"ميدان" ويعيد مرة بعد مرة حول وجود العرب قائلا : أي مبرر لوجود هؤلاء بعد خروج الروس؟ فالقضية خلاف داخلي بين الأفغان أنفسهم وبإمكانهم أن يحلوا قضيتهم فيما بينهم ثم يضيف نجيب لقد أعطي هؤلاء العرب فرصة نشر الوهابية في مساجد المناطق التي يحلون فيها.

أرأيت ضعف حكومة كابل الشيوعية؟ فماذا على المجاهدين سوى التنسيق والتعاون، بعد التوكل على الله تعالى؟

قذيفة حمقاء تبدد آمال العقلاء :

في هذه الأيام التي كنا نندوق فيها معسول الأمانى ونتطلع فيها إلى تحقيق الآمال، وقفت أنا وحكمتيار تحت ظلال الأشجار الوارفة وعبد الله أنس، لنرسله إلى الشمال ليلعب القائد (أحمد شاه مسعود) بقدومنا حتى يأتي إلى بنشير لترتب اللقاء السار مع حكمتيار.

قال لي حكمتيار: لقد أذاعت الـ (B.B.C) نبأ كمين أعده سيد جمال آغا وليد لقادة مسعود أثناء عودتهم من (اجتماع شوراي نظار)، ولقد قالت الإذاعة: إنه قد قتل ثلاثون منهم أربعة كبار وذكر أن (قاضي إسلام الدين ود.حسين) من بين القتلى.

وقد نظرت إلى وجه حكمتيار وقد امتنع بالسواد تأثرا للحادث المروع الأليم الذي اقت رف، وكتب حكمتيار استكثارا شديدا لهذا الحادث المزلزل، وأرسله إلى مكتبه في بيشاور ليقوم بتبليغه إلى الإذاعات والصحف.

كنت قد اتفقت مع حكمتيار أن لا يغادر بروجان ولو امتد الأمر طويلا حتى يتم اللقاء، ولدى تلقيه للنبأ المفاجع قرر مغادرة أفغانستان ونصحته شخصيا أن يغادر لأن الخرق قد اتسع على الراقع وقد يطول بنا الأمر.

ثم قال لي حكمتيار: نحن مستعدون أن نقدم سيد جمال للمحكمة الشرعية تحكم فيه حسب الشريعة الإسلامية وقلت له: لا بد لي الآن أن أقابل مسعودا .

نحو بنشير:

وعندها أزمعت السير إلى مسعود وأخذت معي أبا الحارث وأبا هاجر وعبد الله أنس وتوجهنا إلى مقر الجمعية في "جلبهار" فاستقبلنا (بسم الله) مساعد (عظيمي) مسؤول ولايتي كابيسا وبروان لدى الجمعية، وأعد لنا سيارة وخرج معنا نحو بنشير، وفي "رخا" غربت الشمس فقررنا أن نطوي ليلتنا هذه في بيت (بسم الله)، وفي اليوم التالي توجهنا إلى "بازارك" المقر الرسمي لمسعود فوجدنا الدكتور عبد الرحمن نائبه.

لقد رأيت د.عبد الرحمن يغلي كالمرجل، ويكاد يتفجر ألما من الحادث المروع، وبدأ يعد أسماء القادة الذين استشهدوا (ملا ودود، سر معلم طارق، د.حسين، قاضي إسلام الدين، مولوي عزة الله).

قادة أعرف وزنهم ومكانتهم من أقوامهم، ودورهم في تحرير مناطقهم، وقد التقيت بهم جميعا ، وبعضهم لي به صلة متينة خاصة سر معلم طارق الذي يعرف له رفعة مقامه وعلو كعبه في منطقته، عدا دوره الكبير في الإصلاح إذ كان يعتبر حجر الزاوية في إصلاح ذات البين كلما ادلهمت الخطوب وتكاثبت النوائب.

خلاصة الحادث:

قال الدكتور عبد الرحمن : لقد أعد الأمير -مسعود- دورتين للقادة دورة في بنشير لقادة شمالي (بروان وكابيسا) لمدة أسبوع ليشرح لهم الخطة المقبلة لمواجهة الدولة وتحديد المراكز التي يجب ضربها، ثم افتتحت دورة أخرى في فرخار بولاية تخار ثم حدد بدء العمليات الجماعية على النوبة في يوم الجمعة 18 ذو الحجة سنة 1409 هـ الموافق 21 يوليو 1989م، وأثناء عودة القادة من الدورة في السادس من ذي الحجة 9041هـ وفي "تكي" (مضيق فرخار) وقع هذا الحادث الأليم المفزع، فتعطل البرنامج وتأخر التنفيذ.

لازال في الأمر متسع:

وإن شاء الله تكون النفوس كبيرة على مستوى الأحداث الكبار، ولقد تجرع المجاهدون ألماً أشد وتحملوا طعنات أعمق من هذا الحادث وتجاوزوه، والحق أن المصائب التي صبت على رؤوسهم من الصعب على النفوس العادية أن تحتلها وكان أحدهم يردد قائلاً : سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم الدهر يعجب من حملي نوابه وصبر جسمي على أحداثه الحطم

من وادي خاواك:

وإني لأكتب مقالي هذا من وادي "خاواك" وقد حجزنا تساقط الثلج ونزول المطر عن مواصلة رحلتنا وإني إذ أرى نهر خاواك الهادر مسرعاً ليصب في نهر بنشير أمامي، وحولي مجموعة من المجاهدين وأمامي كانون النار ونحن في تموز 25 (يوليو)، وأعجب كيف يعيش هؤلاء المجاهدون في الشتاء، وكيف صبروا عبر هذه السنين العجاف الرهيبة وليس في الوادي إنس ولا وحش ولعل الجان يهرب إذا رأى هؤلاء المجاهدين.

الأجهزة الغربية والإعلام المعادي:

ولقد كانت هذه الحادثة الأليمة مادة دسمة ووتراً حساساً عزف عليه الإعلام الغربي وخنجرًا مسموماً يطعنون به وحدة المجاهدين ويشككون في إمكانية قدرتهم على الإطاحة بالنظام الشيوعي وضعف طاقتهم عن الوصول إلى الحكم في كابل فضلاً عن قدرتهم على تأسيس حكم إسلامي قائم على قواعد متينة.

مقابلتني مع مسعود:

وأخيراً وصلت إلى (مسعود) في ورسج/ فرخار فوجدته يكاد يقضي أسى ويعتصر ألماً، وصلت إليه بعد أسبوع كامل من تسلق جبال تكسو قممها الثلوج وقد تساقطت الثلوج علينا في الطريق فأوينا يومين في خطم أحد الجبال حتى تكشفت السحب ثم واصلنا المسير. بدأت الكلام مع مسعود عن الموقف الدولي والإسلامي والمحلي تجاه الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وأن المعنويات في العالم الإسلامي لا بد من رفعها بعمليات عسكرية ضخمة سريعة، وأنه لا بد من أن ننسى جراحاتنا العميقة إزاء هذا الطاغوت الذي يجثم على صدور المسلمين في أرض كابل، فقال: أقسم بالله أنني ما رضيت لحظة واحدة عن الخلافات بين الحزب والجمعية وسيسألني الله يوم القيامة عن هذا فأجيبه أنني ما أعطيت يوماً من الأيام ذخيرة للجمعية وقلت للقائد أن يستعملها ضد الحزب. ثم قال: وأنا حريص كل الحرص على الصلح مع الحزب الإسلامي - والله يعلم هذا وأقول لك جملة واحدة: لست مؤيداً لهذا الخلاف خوفاً من الله ورهباً من الحساب، ثم حياءً من الناس.

وإني استحيي من الله ثم من الناس أن أقول: عندي كذا ألف مسلح ونجيب حي مترعب على الكرسي. وإن خطتي لهذا العام قطع طريق (سالنج - كابل) واقتتاح بعض المدن، وأعدك بإذن الله أن أشعلها بعد قليل من "حيرتان" على نهر جيحون حتى "كابل". وقال لي: أعدك - بإذن الله - أن لا تتخطى المشكلة مكانها وموقعها، ولن تتعدى المشكلة سيد جمال.

وأنا حريص أن ألتقي مع حكمتيار في أي مكان في أفغانستان وقد وكلت بهذا منذ العام الماضي ولا زلت على موقفي، فتفاهم مع حكمتيار على ما تريد وأنا أقبل بما تصلون إليه.

ومما اتفقتنا عليه أنه لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن ي قتل قائد في تخر فيقتل مقابله قائد من "جليهار".

الراحة النفسية:

ورغم الطعنة النجلاء التي وجهت إلى صميم الفؤاد وفي هذه المرحلة العصبية إلا أنني عدت مرتاح النفس هادئ البال مطمئن الضمير من داخل أفغانستان فالوضع أفضل بكثير من بيشاور ومن الصورة الشوهاء التي ارتسمت في أذهان الناس في هذه الآونة عن الجهاد والاستعدادات لمواجهة نجيب كبيرة.

عقبات الطريق:

والعقبات في طريق هذا الدين والمشاكل التي تنشأ داخل الصف المسلم من بعض أذعيائه أو من أعدائه كثيرة ولا تزيد المشاكل النفوس إلا صفاء وجلاء ونقاء .

حادثة بئر الرجيع وبئر معونة:

وإن حادثة بئر الرجيع في صفر سنة 4هـ بغدر (عضل) و(القارة) بعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في رواية البخاري - على رأسهم عاصم بن أبي الأفلح وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي.

ثم حادثة بئر معونة في صفر سنة 4هـ التي غدرت فيها (رعل وذكوان وعصية) بسبعين من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاة القراء، كل هذه الحوادث لم تفت في عضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم توهن من عزيمته، بل استمر في مضاهة وسنائه وعزمه وتصميمه ومضيه على طريق هذا الدين اللاحب.

«ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين»

الآية (34) الأنعام .

بشائر على طريق العودة إلى باكستان:

قبل أربعة أيام وقرب مديرية (زيباك) المسيطرة على طريق طوب خانة جاءتنا بشائر النصر بفتح نجم الدين لها - أحد قادة مسعود - مع غنائم كثيرة، وانتقل لفتح مديرية (اشكاشم) ونرجو الله أن يفرح قلوب المسلمين بفتح مدن أخرى على الطريق - إن شاء الله -

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

مسيرة شعب\*

[\*نشر في مجلة الجهاد - العدد الستون - ربيع الأول 1410هـ، الموافق أكتوبر 1989م].

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. وبعد :

فقد غطت حادثة تخر وما تبعها على أخبار الانتصارات الجهادية، وقد اتخذ بعض القوم من هذه الأحداث مادة دسمة ومعينا ثرا لقلمه وكلامه للتنديد بأنداده الذين يحسدهم أو ينافسهم في هذا الميدان، ولقد تابعت الحدث بنفسي فوجدت أن كثيراً من المؤتمرات الصحفية

والتصريحات الإعلامية التي عقدتها اللجان السياسية أو الإعلامية في الأحزاب شابهها كثير من التهويل واعتراها التضخيم والتفخيم، وغطت على بعض المواقف المشرقة سحب الإطلام والتعتيم. فقد بلغت مسامي - في بعض الأحداث - تصريحات بقتل المئات، والحقيقة أنه لم يقع عشر ما قيل من الخسائر ولا نصف العشر وقيل قتل ثلاثون قاتدا في حين ذكر أنه لم يقتل سوى خمسة من القادة وستة من المجاهدين، وهكذا.. فقلت للأطراف أنتم تخرّبون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بمعاولكم جهادكم. وخلاصة ما أريد أن أقوله: إن الأحداث في واقعها أقل بكثير من الصورة المشوهة التي ضخها الإعلام أو رسمتها أيدي اللجان. ولقد أثرت هذه التصريحات على نفوس المسلمين في العالم أجمع مما أدى إلى انقباض صدورهم وقبض أيديهم عن البذل، وحسبك في هذا الباب مثال واحد أن أحد المحسنين سأل عن المواد الغذائية التي تلزم معركة كابل في هذا الصيف فقيل له ستة آلاف طن يقدر ثمنها بمليون دولار تقريبا فتبرع بها وبدأت القوافل التي تحمل المواد الغذائية تتوارد إلى الجبهات حول كابل ولدى تلقي هذا المحسن لخبر "تخار" دفع ثمن المواد التموينية التي اشترى باربعمائة ألف دولار واعتذر عن الابقاء ببقية المبلغ.

أملنا بالنسبة لكابل :

وكان همتا الكبير أن نخزن المواد الغذائية في الجبهات التي تحيط بكابل استعدادا للشتاء الذي تنقطع أثناءه الطرق وتسد المنافذ على المجاهدين، وشغل المجاهدين الشاغل في هذا الصيف الاستماتة للوصول إلى ضواحي كابل حتى يتسنى لهم مواصلة المعركة في أحيائها الخارجية أثناء الشتاء تمهيدا للربيع القادم -إن شاء الله- والمجاهدون الآن يصلون كابل بوابل نيرانهم فكل المواقع العسكرية في مدى قذائفهم حتى المطار، ولقد استقبل الوفد الروسي الذي يصاحب وزير الخارجية في كابل وفي فندق الانتركونتيننتال بحمم صواريخ المجاهدين التي أصابت الوفد إصابة مباشرة، ولثلاثة أيام متتالية أصيبت الأهداف العسكرية والحيوية والحساسة في كابل إصابات مباشرة مما جعل نجيبا يخرج وعلى شاشة التلفاز يصيح (هل يجوز أيها الناس استقبال الضيوف بهذه الطريقة؟) ولقد كانت الإصابات المباشرة للمواقع دافعا لتفكير نظام كابل أن هذا التسديد والتصويب لا يمكن إلا أن يكون من ضباط مختصين بهذا الفن فجأر مشتكا إلى الأمم المتحدة أن الضباط الباكستانيين هم الذين يوجهون هذه القذائف؛ والله يشهد إن المناقشين لكاذبون».

حل الألغاز:

ويذهل بعض الناس من المسلمين كيف تحصل أمثال هذه الأحداث بين المجاهدين في سبيل الله؟ وكيف يجرو مسلم أن يسفك دم أخيه المجاهد وأمامه الطاعوت الكبير يجيب يتربص به وبإخوانه الدوائر. ويزول العجب إذا رجعت إلى (البداية والنهاية لابن كثير) أو إلى تاريخ الطبري وتتبع الفتن التي ابتدأت بالفتن الكبرى التي أودت بذي النورين عثمان رضي الله عنه في الشهر الحرام في المدينة النبوية الحرام وما تبعها من معركة الجمل بين علي رضي الله عنه من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم من العشرة المبشرين بالجنة، وكذلك معركة صفين بين علي ومعاوية. وإنهاء الإشكال الذي يدور في مخيلتك حول هذه الأحداث لابد لك أن ترجع إلى كتاب (العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي) لترى كيف كان كل واحد من الصحابة متأولا وأن عليا التقى بالزبير وطلحة وانصرفا من المعركة قبل أن يحدث اشتباك ولكن المفسدين هم الذين أشعلوا المعركة ليلا فظن كل من الفريقين أن الطرف الآخر قد نكث عهده..

وهنا وجب الأخذ بالتوجيه الرباني

؛وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا»

(النساء 83).

ولذا فالأخبار التي تشوه الجهاد الأفغاني وشخصياته لابد أن يرجع الأمر فيها إلى المطلعين ممن يعيشون أرض المعركة ويدركون أبعاد الأحداث.

مفاتيح حل الطلاسم والمعميات

في الخلافات عند الشعب الأفغاني:

وإنني أرى أن وقع الأحداث على قلوب الذين يواكبون مسيرة الجهاد في داخل أفغانستان أخف بكثير من وقعه على قلوب الذين يسمعون من بعيد وذلك لأن الذين يحيون مع هذا الجهاد يعلمون أبعاد كل مشكلة وجنورها التاريخية، ولعلك لو تتبع بعض المشاكل وجدت بعد عناء كبير في البحث أن السبب قد يكون ماعزا أو بقرة، وستجد في مشكلة أخرى أن الدافع لسفك الدم هو ثأر قديم انتقاما لوالده الذي قتل بيد هذه القبيلة قبل أربعين سنة أو أكثر... وستجد مشكلة ثالثة سببها الخلاف بين أبناء عمومة على زواج فتاة، وتجد مشكلة رابعة وراءها قاطع طريق وقف في وجه الروس وأبدى بطولية فائقة في تحطيم دباباتها واغتنام ذخائرها ونقلاتها وبعد خروج الروس عاد قاطع الطريق مع عصبية من الأشرار حوله بقطعون الطريق على المسلمين المجاهدين. وتجد كثيرا من المشاكل وراءها مخابرات الدولة وعملاؤها الذين يبيعون الدنيا والآخرة بريال واحد، وهكذا دواليك ، فلا تعجب يا صاح من قضايا وحوادث تجري فوق أرض معظم أهلها تقريبا مسلحون. ولعلك ستشده (تستغرب) إذا علمت أن رواتب الماليشيا الحكومية في "كران" و"منجان" ريال واحد شهريا !

ولجلاء الشك وتوضيح الصورة لا بد لك أن تعلم أن الشعب الأفغاني بطبيعته وأغلبيته شعب صلب المراس قوي الشكيمة حاد الطبع يرفض الذل ويأبى الخنوع وهو إلى جانب إبانته ورجولته وصلابته وكرمه ووفائه وصفاء فطرته وحيائه يجمع معها صفات أخرى كحب الثأر والانتقام والأنفة والفخر والتعصب إلى ما يعتقده حقا . وهذه الصفات جعلته يتعصب لمذهبه الحنفي ولعل هذا من العوامل التي حتمت من الفكر الشيعي، فلقد وقف التعصب المذهبي حاجزا كبيرا أمام المد الشيعي الإيراني، ولذا فقد عجزت المؤسسات الغربية أن تندخل أفكارها مع أموالها: فقد صرح مسؤول الإغاثة في الأمم المتحدة : بأن الشعب الأفغاني هو الشعب الذي أعيانا أن نتعامل معه. وعجزت المؤسسات التعليمية أن تفرض عليه آراء لا يقبلها بل هو الذي فرض عليها ما تعمله.

فذلكة تاريخية :

فتح أفغانستان وطبيعة الشعب الأفغاني هذه عانى منها الصحابة رضوان الله عليهم كثيرا حتى أدخلوا الإسلام إليه، فلم يتقبل الأفغان الإسلام بسهولة بل بقي الصحابة والتابعون وتابعو التابعين (القرون الثلاثة الخيرة) يخوضون معهم المعارك تلو المعارك وهم بين كر وفر ، ينتصرون ويهزمون، ويتقدمون ثم يتقهقرون والأفغان يأبون أن يقبلوا هذا الدين الجديد عليهم، وصعب عليهم أن يتركوا المجوسية التي وجدوا عليها آباءهم فهم على آثارهم يهرعون.

وأقدم إليك بعض اللقطات التاريخية كنموذج لهذه الطبيعة فأقول:  
أقام عمر في العراق إمارتين -إمارة البصرة وكانت تتولى مغازي فارس وخراسان (شمال أفغانستان وبلاد تركمانستان الآن في روسيا وشرق إيران)، وإمارة الكوفة وكانت تتولى مغازي الري (قرب طهران) وأذربيجان.  
وسار عبد الرحمن بن سمرة إلى كابل في أيام عمر رضي الله عنه بعد نهاوند (فتح الفتوح سنة 12هـ) وبقي الصحابة والتابعون على أهبة الاستعداد خائفين أن يتخطفهم أهالي البلاد ولذا ظلوا يقصرون صلاتهم.  
قال الحسن البصري (أقامت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر ولا يجمع).  
وسار الأحنف بن قيس وافتتح "هرات" عنوة وسار نحو "مرو شاه جيهان" عن طريق نهر هرات فاقتتحها ثم سار نحو مرو (شمال أفغانستان) مع وادي "مورغاب" للاحق كسرى يزدرج حيث فر إليها ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف بن قيس وسار المدد نحو "بلخ" حيث انتقل يزدرج إليها واستطاع أهل الكوفة دخول "بلخ" وفر يزدرج إلى ما وراء نهر جيحون (بخارى وسمرقند). ثم استعان يزدرج بملوك التتار في بلاد ما وراء النهر فرجع إلى "بلخ" واستعادها وفر المسلمون الذين فيها إلى مرو الروز حيث يقيم الأحنف بن قيس فلحقهم إلا أنه لم يستطع دخولها ففعل التتار راجعين إلى "بلخ" بينما سار يزدرج إلى "مرو شاه جيهان" (عاصمة تركمانستان الآن في جنوب روسيا) فحاصرها وبها حارثة بن النعمان عاملا عليها من قبل الأحنف، فاستخرج يزدرج منها كنوزه وانطلق نحو بلخ حيث ينتظره بها ملوك التتار.  
ثم نقضت "مرو الروز" عهدها وصالت على المسلمين في أوائل عهد عثمان رضي الله عنه فعاد الأحنف وفتحها وأرسل الأحنف الأقرع بن حابس إلى "جوزجان" ففتحها بعد قتال شديد استشهد فيها خلق كثيرون ومات عدد كبير (انظر خراسان وتركستان للأستاذ محمود شاكر).

أجيال القمم السامقة :  
وإني وقد عرفت طبيعة الشعب الأفغاني ووعورة مسالك نفسياته وصعوبة تسلق قمم جباله لأقف مشدوها بإجلال أمام الأجيال الأولى التي فتحت هذه البلاد وثبتت ثبات الرواسي التي تشكل غالبية ساحة أفغانستان.  
إن مواجهة الأجيال الأولى لأهل أفغانستان كانت جد شاقة خاصة وأن القوم لا يدعون فرصة بنقضون فيها على الغزاة الجدد إلا واغتموها ومن طالع حياة التابعي (صلة بن أشيم) وغزواته حول كابل، والأسود والسباع التي كانت تقترس الفاتحين ليدرك أعماق ما أقول.  
ونكتت أفغانستان عهدها في زمن معاوية رضي الله عنه فسي ر إليها سعيد بن عثمان بن عفان ومعه مالك بن الربيع الذي استشهد على أبواب مرو وقال قصيدته الياثية التي تعتبر من أروع ما قيل في شعر الرثاء في الأدب العربي ومنها:  
لعمري لئن غالت خراسان هامتي      لقد كنت عن بابي خراسان نائيا  
تفقدت من يبيكي علي فلم أجد      سوى السيف والرمح الرديني باكيا  
وطورا تراني في رحي مستديرة      تخرق أطراف الرماح ثيابيا  
صريع على أيدي الرجال بقرة      يسوون لحدي حيث حم قضائيا  
وفي زمن عبد الملك بن مروان نقض أهل كابل عهدهم فسي ر إليهم عبد الرحمن بن محمد سنة 81هـ .  
وهكذا دواليك فالحرب دائمة ورحاها تطحن البشر، وما استقر الأمر للإسلام في أفغانستان وخراسان وبلاد الصفد (سمرقند) والشاش (طشقند) إلا حوالي سنة 94هـ.

شعب يحمل السلاح:  
وعندما يمتشق الشعب سلاحه ويهب في وجه أعدائه لابد لك أن تتوقع كذلك أن يستعمل هذا السلاح من قبل بعض الفساق والفجار في وجه النساء والصغار لتنفيذ مآربهم وإرواء شهواتهم وإبتزاز الأموال من الضعفاء.  
أم ا أن نعيش في أحلام وردية وإبراج عاجية ونحلق في أمان عسلية فنتمنى وجود شعب ملائكي نزع من صدورهم الغل والحسد والتنافس والهوى وحب الدنيا والرئاسة وشهوة السلطة والمال، ونتمنى انسحاب هذه الصفات على كل فرد في المجتمع فهذا أمر لن يكون في الأرض في يوم من الأيام، (ولو أمكن وقوعه لوجنناه في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحصل هذا).

تجربتي في فلسطين:  
ولقد عشنا فترة من الجهاد واكينا فيها مسيرة الثورة الفلسطينية، ولقد كنت أرى معظم المجتمع في الأردن غير آمن على عرض ولا مال ولا دم من بعض فصائل الثورة.  
ولقد كانت تجاوز معسكر التدريب - الذي يضم أبناء الحركة الإسلامية - قاعدة للجبهة الديمقراطية -نايف حواتمة- فكنا نخشى أن يأخذونا على حين غرة غدرا أكثر من اليهود، فكانت حراستنا من جهتهم مشددة جدا ، وقد كانوا يعلقون صور لبين - غارس دولة الإلحاد في الأرض- على أبواب الصالحين فلا ينبسون بينت شفة.

تجربة الحركة الإسلامية:  
ولقد اعتنى الأستاذ البنا بتكوين جهاز عسكري لمواجهة اليهود وأعداء الحركة، واغتيل سيد فايز أحد أعضاء الجهاز السري المرموقين وأشارت أصابع الاتهام إلى بعض أفرادهم، ثم أسندت رئاسة الجهاز أخيرا إلى عبد الرحمن السندي الذي بلغ به الغرور حدا أن يغضب على موقف اتخذه الأستاذ الهضيبي المرشد العام فانطلق السندي وحاصر المركز العام مدفوعا من عبد الناصر ليعتقل الهضيبي، فإذا جرى هذا في إطار جهاز صغير لجماعة إسلامية تعنى كثيرا بالتربية الروحية والبناء النفسي وتجهد في توثيق الصلة كثيرا بين الفرد وخالفه فما بالك بشعب أمني قبلي يحمل كله السلاح كأفغانستان؟  
ومكلف الأيام ضد طباعها      كمكلف الأبحار شلعة نار  
ولقد جرت مشاكل في الجهاز السري للإخوان مما اضطر الهضيبي لحل الجهاز.

المبشرات :  
مما لا ريب فيه أن معنويات المسلمين تجاه الجهاد الأفغاني قد اهتزت وتأثرت لأسباب كثيرة على رأسها جمود الفتح في جلال آباد، ومرور سنة 1989م دون فتح مدن كبيرة، وبروز بعض الخلافات في الداخل والخارج، وتعثر الأمل في فتح قندهار، ومع هذا كله فالأمل بالله عظيم. والكفة راجحة لصالح المجاهدين لأسباب :

- 1- إن المجاهدين قد قدموا هذا العام تضحيات باهظة ودفعوا خسائر ضخمة لمحاولة فتح جلال آباد وقندهار مما اكسبهم مراسا وخبرة ودربة ودراسة في فتح المدن، وقد اقتنعوا من أعماقهم أن الفتح لا بد له من جبهة موحدة وقيادة واحدة بعد انتقالهم من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي.
- 2- إن الدولة قد فقدت هذا العام معظم طرقها البرية وشلت أغلبية مطاراتها، فقد استطاع المجاهدون أن يغلقوا ممر سالنج منذ منتصف شهر أغسطس، ولا تستطيع الطائرات أن تطير على مدرج مطار قندهار إذ أن خنادق المجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر عن المطار ويغلق مطار بگرام وكابل بين الحين والآخر والمطاران في متناول قصف المجاهدين.
- 3- إن الدولة قد فقدت عمقها الاستراتيجي فانزوت داخل كابل وفي بعض أرجاء المدن الكبرى، وإن أي مكان في الدولة إنما هو في متناول قذائف المجاهدين وتحت نيرانهم.
- 4- معنويات المجاهدين لا زالت مرتفعة بينما تدرك من خلال النبرة التي يتكلم بها نجيب الضعف والانهيار الذي تعانيه الدولة بالإضافة إلى الانشاقات المتوالية والتمزقات الداخلية للصراعات التي يعاني منها الحزب الشيوعي الحاكم بين شقيقه (برشم وخلق).
- 5- الطمأنينة النفسية التي يعود بها الرجل الواعي الذي يدخل أفغانستان وهو يرى الإعداد الدائب والاستعداد المتواصل للمعارك الفاصلة القادمة ونحن نتوقع بإذن الله انتصارات طيبة لصالح المجاهدين في الشهرين القادمين قبل سقوط الثلج.
- 6- إن الشغل الشاغل للقادة الكبار الذين يقودون هذا الجهاد هو التفكير بالإطاحة بهذا النظام المتهوي واجتثاثه من الجذور.
- 7- إن راية الجهاد لا زالت واضحة ناصعة، إسلامية، وكذلك فالقادة في غالبيتهم ناضجون مؤتمنون على دين الله وهدفهم من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا وإقامة المجتمع الإسلامي وتطبيق شريعة الله في الحياة.
- نحن نهيئ بالمسلمين أن يسألوا أهل القضية وأبناء مسيرة المعاناة والألام فإننا كشهود حاضرين ولهذه المسيرة مواكبين لا زلنا مطمئنين واثقين -بإذن الله- أن النصر للمجاهدين؛ والعاقبة للمتقين»؛ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» (الآية : 6 العنكبوت).
- وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

حسبنا الله ونعم الوكيل \*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الحادي والستون- ربيع الثاني 1410هـ، الموافق نوفمبر 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فمنذ أن شعر الاتحاد السوفياتي أنه لا قبل له بمواجهة جند الله فوق أرض أفغانستان ومنذ أن أحست أمريكا والغرب من وراءها أن روسيا مهزومة لا محالة، إذ لا مجال لها بمناطحة جبال أفغانستان ومنازلة أبطالها، أقول منذ أن أيقنت الدول الغربية أن آبار البترول العربية لم تعد في خطر بعد أن وقف السد المنيع من جماجم الشهداء الأفغان دون تخطي الدب الأحمر لحدود قندهار وقد كان من قبل متشوقا لارواء غليله من آبار النفط التي يتطلع إليها من بعيد وهو يرى الطريق من خلال منطقة بلوشستان الباكستانية ممهدة له كيف لا؟ وقد بذل جهودا مضنية حتى استطاع أن يضع بيوضه في مستنقعات قبائل البكتي والمري ومنجل في بلوشستان ففرخت الأفراخ ونمت عبر السنين مما جعلها تطالب جهارا نهارا وبالعناوين البارزة في الصحف الباكستانية بضرورة فتح الطريق أمام الجراد الروسي الذي يأكل الأخضر واليابس حتى يصل الخليج العربي والمياه الدافئة على بحر العرب.

أقول : بعد أن اطمأن الغرب تحت زعامة العم سام أن مصالحه في أواسط آسيا وغربها لم تعد مهددة بدأ يبحث عن البديل لهذا الدب الذي أثنى بالجراح.

وبدأ لحن البطولة الأفغانية الذي عزف عليه الغرب سنين عددا يخفت تدريجيا ويحل محله لحن جديد وهو ابراز بطل (البيروسترويك) بأنه رجل سنة 1989 إذ تعرضه "التايم" الأمريكية على غلافها مشيدة ببطل السلام -غوربتشوف- وأما وتر التدمير والإبادة والتشويه والمعوقين الذي استعملته أمريكا قميصا رابحا تتاجر به في المحافل الدولية لتحطيم سمعة روسيا فقد اختفى هذا الوتر واتجه الإعلام الغربي إلى ابراز حاكم الكرملين بصورة مشرقة بعد أن عطرت اليد الغارقة بنجيع الأطفال ودماء النساء بالعبور الذي يعيق شذاه في الأنوف.

دور الإعلام في طمس جهاد الإعلام:

أما الجهاد الأفغاني فقد أضحى في عرف اليهودية العالمية حربا أهلية وصراعات قلبية، هذه الصحف التي تدوخ البشرية بأجهزة إعلامها وصحفها الدورية التي تصدر بالملايين لغسل أدمغة البشرية. وليست يد اليهودية العالمية بخافية على كل ذي عينين وهي تصب الفكر الذي تريده في أذهان الناس .

البروتوكولات :

جاء في البروتوكول الثاني عشر :

- 1- ستمنطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها.
- 2- يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم.
- 3- لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا.
- 4- ستكون لنا جرائد (صحف) شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثرورية بل وفوضوية أيضا .
- 5- يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد وتهديته عندما نريد.
- 6- يجب أن نشجع ذوي السوابق الخلقية (المفاسد الخلقية) على تولي المهام الصحفية الكبرى وخاصة في الصحف المعارضة لنا فإذا تبين لنا ظهور أية علامة للعصيان من أي منهم سارعنا فوراً إلى الإعلان عن مخازبه الخلقية التي تستر عليها وبذلك نقضي عليه ونجعله عبرة لغيره. والعلاقة بين الصحافة ووكالات الأنباء كالعلاقة بين البندقية والذخيرة فالبندقية لا تقيد إذا لم تتوافر لها الذخيرة.
- وفي البروتوكولات (لا بد لنا من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم وحينئذ سنضمن أن لا ي نشر من الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه).

اليهود يمسكون زمام الإعلام الغربي :

فمثلا وكالة " رويتر " أسسها يهودي اسمه "جوليوس رويتر"، وكذلك وكالة " اسوشيتدبرس " يسيطر عليها اليهود ، وكذلك وكالة "البونايتدبرس إنترناشيونال" أسسها يهود وهم "سكرابيس وهوارد وهيرست" سنة 9091 وكانت وكالتين ثم اتحدتا سنة 1958، ووكالة (أنباء هافاس) الفرنسية أنشأها "هافاس" اليهودي.

أما الصحف : فـ"التايمز" البريطانية يملكها اليهودي "ميرودخ" ويمتلك كذلك مجلة "الشمس Sun" و"أنباء العالم News of the world" و"City Magazine". وتوزع (15) صحيفة بريطانية يوميا حوالي 33 مليون نسخة ومنها "الديلي اكسبريس Daily Express" و"الدليل-ي ميل Daily Mail" و"الأوبزرفر Observer"، و"الغارديان Gaurdian". أما في أمريكا : فهناك (1759) صحيفة يومية يتلقفها (61) مليون أمريكي نصفها لليهود ولهم عليها السيطرة الكاملة والنصف الثاني سيطرتهم عليه أقل. ومن القسم الأول : "نيويورك تايمز" ، "الواشنطن بوست" توزع (620 ألف) نسخة يوميا و"الديلي نيوز" ، و"النيويورك بوست" وتوزع (740 ألف) نسخة يوميا . ومجلة "نيوزويك" الأسبوعية وتوزع ثلاثة ملايين نسخة و"التايمز" وتوزع (4،5 مليون) نسخة أسبوعيا . وكذلك شبكات التلفزيون الأمريكي الثلاث كلها يسيطر عليها اليهود N.B.S CBS ABC . ومن أراد الاستقصاء في هذا الأمر فعليه بكتاب (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية لفؤاد الرفاعي / الكويت). وقد استطردت في هذه القضية لأبين دور الإعلام الغربي الآن في غسل أدمغة البشر وفي تشويه هذا الجهاد.

المحور الذي تدور حوله أجهزة الإعلام:

ويركز الإعلام الآن على تشويه هذا الجهاد من خلال قضيتين أساسيتين :

- 1- أولاها : طمس الصورة المشرفة لهذا الجهاد وإبراز الثغرات وجوانب الضعف فيه وذلك لمحو آثاره في أعماق الأمة الإسلامية وتحطيم عقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني عبر السنين من خلال التضحيات والبطولات .
  - 2- ثانيهما : قطع الصلة بين هذا الجهاد وبين قلوب الأمة المسلمة وتحجيمه من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال قومي منحصر بين قومين الأفغان والروس، وكذلك التركيز على قضية الحرب الأهلية في داخل أفغانستان ليحرموا الجهاد من أنصاره ومن المساعدات التي ترد إليه من المحسنين، مما أوصل بعض الأثرياء المخلصين لهذا الجهاد أن يصلوا إلى حد التائب والتخرج من البذل لهذا الجهاد، حتى لا يشاركوا في سفك دماء المسلمين.
- ولقد تغيرت النظرة لهذا الجهاد من كونه فرض عين بالمال والنفس يجب على المسلمين إزاءه البذل والتضحية بالنفس والنفس فانقلبت الصورة تماما في أذهان الطيبين ممن واكبوا هذا الجهاد. فبعد أن كان البذل والتحريض عليه فريضة، صار خيار المسلمين يتحرجون من التفوه بكلمة خير تجاهه والتائب من حض الناس على البذل له.

نظرة الناس إلى الجهاد الآن :

ولقد التفتت طبقات مختلفة من الشعوب الإسلامية خاصة العرب في رحلتي الأخيرة فوجدت الناس كأن على رؤوسهم الطير : قال لي خطيب مسجد مشهور في جدة : أصبحنا الآن نستحي أن نتكلم فوق المنابر بكلمة عن الجهاد الأفغاني وأنا أعلم أن هذا الشاب لا زال ممن يعتبرون أنفسهم أحد أبناء هذا الجهاد ممن ينافحون عنه بلسانهم وبحضون الناس على بذل حشاشة نفوسهم وقلوبهم له. والتفتت بعالم يشار إليه بالبنان ويرجع إليه جماهير الناس في فتاواهم : فقال لي أنا الآن مشوش عن الجهاد الأفغاني ولذا فإني متوقف فشرحت له حال الجهاد وقلت له : إن الأمل بالله ثم بهذا الجهاد كبير وحال المجاهدين -إن شاء الله- على خير وهم يقفون على أبواب كابل. وكابل تعيش في عزلة عن أفغانستان سواء من الطرق البرية أو الجوية فمطارها (خوجارواش) ي ضرب أثناء الليل وأطراف النهار، وطريقها إلى روسيا (سالنج) مغلق، وطريق كابل قندهار وكابل اللوكر وكابل غزني وكابل هرات وكابل جلال آباد كلها مغلقة أو شبه مغلقة. ودعك عن الضربات المتوالية ضد نظام كابل في أنحاء أفغانستان وما من يوم يمر تقريبا إلا ويحقق المجاهدون انتصارا مهما كان ضئيلا .

فقال لي فضيلة الشيخ : شرح الله صدرك كما شرحت صدري.

ثم ذكرت الشيخ بموقف العلماء الذي لا يجوز المحيد عنه تجاه هذا الجهاد وهو ألا يتركوا المجاهدين على أبواب كابل جانعين عراة. وهناك رجل من نوع ثالث : يمسك على لحيته الطويلة ثم يقول أثناء تدريسه : إن انتصر الأفغان فاحلقوا لحياتي. وبعد الدرس يأخذ أحد العقلاء الحضور جانبا ثم يقول له: الأولى بك كرجل عسكري متقاعد أن تفيد المجاهدين بخبر تلك الطويلة بدل التشهير بهم في المساجد، ولا ينقضي منك العجب إذا علمت أن الشيخ إنما يقول ذلك ح سبة لله وهو يحسب أنه يحسن صنعا .

الإعلام العربي:

والصحف العربية بحجمها الصغير وعددها الضئيل لا تملك أن تتمرد على تيار سدة الإعلام العارم وليس لها إزاء هذا الخضم المتلاطم من الصحف اليهودية أن تسبح فيه ضد التيار أو تجدف لتخلص إلى شاطئ الاستقرار فالعرب ينقلون عن الصحف الكبرى ووكالاتها التي يدوي ذكرها في الأرض فيقف الناس مشدوهين أمام هذه الصحف وتجاه وكالات الأنباء ولا يسعهم إلا أن يرددوا ما يسمعون خاشعين واجمين قائلين : آمين .

قلت لأحد الصحفيين المسلمين : إن جريدة ( Sunday times ) كتبت عن العرب :

أن ثمانية عشر ألف أرملة في مخيم "ناصر باغ" قد أصبحن محلا لمطامع أصحاب الشهوات من العرب الذين يأتون ليتزوجوهن أياما ثم يتركونهن ، وإذا بالصحفي المسلم : يأتيني بالجريدة ويقول: إنها نقلت عن امرأة أفغانية وكأنه يأتيني بدليل قطعي الثبوت والدلالة. أو ليس بإمكان الجريدة أن تذكر اسم امرأة أفغانية أو تأتي بامرأة وتدفع لها مبلغا مقابل هذه التصريحات.

الانبهار والذوبان :

والصحف العربية مبهورة بالأسلوب العلمي !! الذي تتبعه الصحف الغربية ووكالات أنبائها، ولذا فهي تحاول أن تنتسج على منوالها وتتقفي مراسم خطواتها وآثارها فتجد أحدهم : يعجب بسبق صحفي مهما كانت نتيجته على الجهاد، ومهما كان ثقل وقعه على قلوبهم ومسامعهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

(لتنبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر أو ذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟). (1).

ولابد أن تعلم : أن الغرب والإعلام الغربي يمكن أن يتبع الأسلوب العلمي والمنهج العقلي التجريبي في كل شيء الآن إلا ما كان بالنسبة للإسلام فإنهم بدافع الحقد الدفين وبما يكونون من عداوة لهذا الدين فإنهم يتعمدون عن الحقائق الناصعة والقضايا القاطعة ويطمسونها ويشوهونها:

«ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير»  
الآية (109) البقرة .

لقد حرف اليهود التوراة والإنجيل تبعاً لأهوائهم وتحقيقاً لمصالحهم أي أنهم غيروا كلام ربهم وكذبوا على ربهم، فكيف لا يكذبون على المسلمين وعلى الإسلام في صحفهم ونشرياتهم؟  
«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كُتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»  
الآية (79) البقرة .

الإسلام أخطر من الشيوعية في نظرهم :

لقد فرح الغرب بادئ ذي بدء وهو يرى الدب الروسي يثخن بالجراح ويمرغ بأحوال نهر كابل وهرات والهلمند وبنجشير أما وقد خرج الروس فقد عادوا يقارنون بين الفريقين المتصارعين -المجاهدين والشيوعيين- فرأوا أن الشيوعية أقرب إليهم.  
وقد كتبت صحيفة (Chicago Sun Times) في 22/2/79 في مقالها الافتتاحي تحت عنوان لا تفاهم مع الإسلام إلا بلغة الحديد والنار فقالت (إن الشيوعية أفضل من الإسلام لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الالتقاء والتفاهم معها، أما الإسلام فلا التفاهم معه إلا بلغة الحديد والنار).  
وقد صرح نيكسون على التلفاز الأمريكي قائلاً : لقد آن الأوان أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتتفاهم معاً في وجه الزحف الإسلامي).

إن دور الإعلام العربي الآن تجاه الجهاد :

- 1- تحطيم الأمل الكبير الذي بناه الجهاد الأفغاني عبر السنين في قلوب الجيل المسلم.
- 2- اجتثاث عقيدة التوكل على الله من أعماق الأمة الإسلامية التي غرسها الجهاد من خلال المواقف والرجال.
- 3- تشويه قادة الجهاد وحرق شخصياتهم في أنظار الأمة المسلمة لئلا يبقوا رموزاً تقلد وأمثلة حية تحتذى وقدوات فذة تسير بذكرها الركبان وتشعل حديث السامر في كل حي. وإلا فكيف تفسر الهجوم المستمر على القادة الملتزمين من أبناء هذا الجهاد ممن يسمونهم بالأصوليين؟ وكيف تستوعب الحملة الشعواء على (حكمت يار) لأن لديه (مصنعا للهروبين) يهرب صناعته إلى الغرب لتخدير جيوشه والفنك بشعوبه !!
- 4- اقناع الشعوب الإسلامية أن الحرب في أفغانستان حرب أهلية بين المسلمين ودعاه إنما يعني زيادة سفك دماء المسلمين المحرمة.
- 5- اثبات فشل هذا الجهاد وضعفه أمام الحكومة الشيوعية وأن لا مخرج من الأزمة إلا بمؤتمر دولي يتقاسم المغامرين وينتهب الثمار.
- 6- التركيز على الخلافات الأفغانية المتأصلة والتي يستحيل حلها من خلال قادة الجهاد. وهم يعيدون ويبدنون ويؤكدون على :  
أن (رباني ومسعود) من التاجك الذين لا يمكن للبشتون طاعتهم ولذا فإن (مسعود) ينزع إلى دولة فارسية في شمال أفغانستان !!!  
وأن بقية القادة من البشتون الذين لا يمكن للفرس من التاجك؛ وكذلك الأجناس الأخرى التي تعيش في الشمال خاصة الأوزبك والتركماني أن يذعنوا لها بحال سيما وقد جربوا مرارة الظلم الذي عانوا منه خلال كل الحقب التاريخية السابقة والتي ليس لأفغانستان فيها حاكم سوى العرق الباتاني وأما الشمال الفارسي التركي فهو محروم من المجد والسلطان والمال جميعاً .  
ويثيرون قضايا التوزيع الجغرافي، ومشكلة الهزارة (الذين يضمون كل الشيعة تقريباً) وقضايا المذهبية !!  
وهكذا دواليك وليس لنا إزاء هذا كله إلا أن نقول كما أمرنا ربنا  
«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»  
الآيات (173-174) آل عمران .

(1) رواه مسلم وأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (5063)

أحشفا وسوء كيلة\*

[\*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثاني والستون- جمادي الأولى 1410هـ، الموافق ديسمبر 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

حول مائدة مستطيلة في مقر لجنة الدعوة بالكويت اجتمعت ثلة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والمجلات المحلية الكويتية تصب على الأسئلة وتوجه إلي الشبهات التي جمعت حول الجهاد الأفغاني، من حرب أهلية تسفك فيها دماء المسلمين، واشتباكات بين صفوف المجاهدين أنفسهم، وتصعد كبير يعتري أسوار حكومتهم. وتجمد الوضع الجهادي حول المدن. وكان من بين الحاضرين: مراسل وكالة الأنباء الكويتية، والإذاعة، والمجتمع، والبلاغ، والوطن، والسياسة، والأنباء... وغيرها.

فأجبتهم بوضوح :

1- إن الإعلام الغربي الذي تتزعمه أمريكا وتحركه أيدي يهود يريد أن يشوه صورة الجهاد الأفغاني، ويلوث سمعته، ويحرق قاداته لأغراض ثلاثة :

- مسح آثاره من نفوس المسلمين في الأرض حتى لا يعود نموذجاً يحتذى وأسوة تقتدى.

- عزل الجهاد الأفغاني عن العالم وتحجيمه وإعادته قضية محلية قومية بعد أن أفلت من أيديهم وأصبح قضية إسلامية عالمية.

- إقامة الحاجز النفسي بين الجهاد وبين قلوب المسلمين حتى تكف أيديهم عن البذل تمهيداً لخلق الجهاد وحتى لا يقيموا النكير فيما إذا حاول الغرب والشرق ابتلاع هذا الجهاد من خلال المؤتمرات الدولية.

2- لقد قدمت لهم أرقاماً تثبت أن الروس لم ينسحبوا بل هزموا شر هزيمة رأوها في تاريخ الثورة البلشفية، فقد لقتهم المجاهدون الأفغان دروساً أنستهم المرارة التي تجرعوها بهزائمهم أمام الشيخ شامل، وغطت على الضعف والخسائر التي تكبدها أمامه في قفقاسيا والتي علق عليها الجنرال بافلوف قائلاً :

(لقد خسرننا في حربنا مع الشيخ شامل من الأرواح والمعدات ما يكفيها لاحتلال الأقطار ما بين مصر واليابان) فليت شعري ما ذا يعلق جنرالات الروس على خسائريهم في أفغانستان، وقد بينت في محاضرة ألقيتها في جامعة الكويت كذلك أن الروس قد خسروا حتى بداية سنة 1988 في شعاب أفغانستان ووهادها وذراها ونجودها وبالأرقام التي أحصتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية ما يلي:

0802 (ألفين وثمانين طائرة ساقطة أو مدمرة فوق أراضي المطارات). ومثل هذا العدد استهلك بالاستعمال. و 17 ألف دبابة ومدرعة و 12 ألف آلية وخمسين ألفا من الروس ما بين قتل وجريح، ومائة ألف قتيل من الجيش الأفغاني، ومائة ألف من الأسرى والمستسلمين والهاربين ودعك عن النفقات التي كانت تبلغ 45 مليون دولار يوميا تدفعها روسيا في أفغانستان. فلم يكن أمام روسيا من حل سوى التقهقر والهزيمة التي لم يذق الجيش الأحمر لمرارتها نظيرا .

#### الأدلة القاطعة بين الاحتمالات

والتوقعات وبين النتائج الدامغات:

ففي سنة 1981 نشرت "المجلة العامة للقانون الدولي العام" خبرا مفاده أن خبراء حلف الأطلسي وهم الخبراء بقوة خصومهم في حلف وارسو توقعوا أن يتمكن السوفييت من السيطرة على الوضع في أفغانستان - وبالتالي من القضاء على حركة الجهاد في أفغانستان- في زمن يتراوح بين ثلاثة إلى ستة أشهر، وبطبيعة الحال، لم يدر في خلد هؤلاء الخبراء - ومعهم المراقبون والمحللون الاستراتيجيون - أن حركة الجهاد في أفغانستان سوف تتمكن من الصمود في وجه الاحتلال العسكري السوفيتي العاتي، بل وارغامه بالضغط العسكري أساسا - على جر أذيال هزيمة مخزية لم تعرفها الدولة السوفيتية منذ قيامها حتى الآن.

ولذا فالهزيمة التي تكبدها الاتحاد السوفياتي لم تكن متوقعة من قبل أمريكا والغرب وإلا فإنه لا يمكن أبدا للغرب أن يدع هذه الفرص مفتوحة أمام الجهاد الأفغاني.

محاولة يائسة:

ولقد حاولت أمريكا في آخر الشوط أن تنقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين ولكنها فشلت إذ أن مقتل ضياء الحق جاء متأخرا جدا بعد أن تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر وعبر المنحنى الحرج.

#### المقارنات:

ولقد ذكرت في الكويت أنه من الظلم الكبير للجهاد الأفغاني أن نقارنه بالقتال في فيتنام أو غيرها مما يسمى بحركات التحرر الوطني. ولكي تتضح أهمية حركة الجهاد في أفغانستان، سواء في تصور المتعاطفين معها أو بالنسبة لخصومها، من المفيد إجراء مقارنات سريعة بينها وبين بعض حركات التحرر المعروفة، من حيث الحجم، أو دور الدعم الخارجي، العسكري والسياسي والإعلامي.

فاللافت للانتباه أولا أن الحرب في أفغانستان هي الأطول زمنا - من جميع الحروب الكبرى التي شهدتها القرن العشرون، فهي أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية وأطول من حربي كوريا وفيتنام، وأطول من الحرب العراقية الإيرانية..

وبالنسبة لفيتنام مثلا ، وهي الأشهر ، تمتع الشعب الفيتنامي بالدعم العسكري والسياسي والإعلامي من الكتلة الاشتراكية جمعاء ( الصين - الاتحاد السوفيتي - أوروبا الشرقية ) وكذلك الدعم السياسي والإعلامي لدول العالم الثالث، بل حتى من طرف أوروبا الغربية، ولعل العامل الحاسم في انتصار الشعب الفيتنامي - إلى جانب مقاومته المسلحة- هو النقل الهائل للرأي العام الأمريكي المعارض للحرب.. وقد كانت أغلب إذاعات العالم تغطي يوميا أخبار المعارك، حتى أن بعض المذيعين في تلفزتنا العربية كان الناس يطلقون عليهم (فيتنام) لكثرة الأخبار التي يذيعونها عن التفاصيل اليومية للحرب الفيتنامية الأمريكية ودعك عن المسافات الهائلة التي تقطعها الناقلات الأمريكية لتزويد جيشها بالعتاد والغذاء والكساء على النقيض تماما من الاتحاد السوفياتي الذي لا يفصله عن أفغانستان سوى نهر جيحون (أموداريا).

وبالنسبة لكوبا، التي أريد لها -في وقت ما- أن تكون نموذجا ثوريا رومانسيا للكثير من حركات التحرر الوطنية، لم تتعد ثورتها مقاومة مسلحة محدودة لديكتاتورية محلية في جزيرة صغيرة، ولا يمكن أبدا مقارنتها بما حدث في أفغانستان، التي يقاوم شعبها احتلالا عسكريا أجنيا من طرف "دولة عظمى".

ويمكن الاسترسال في عقد مقارنات من هذا النوع، مع "نيكاراغوا" مثلا ، أو مع بعض حركات التحرر الوطنية الإفريقية.. إلا أن المهم في هذا المقام، هو التشديد على أن الحرب في أفغانستان، إنما تدور بين قوة عظمى وبلد ضعيف ومتخلف لم يحظ بعشر معشار ما حظيت به الحركات السالفة الذكر من الدعم، ناهيك عن التضحيات الهائلة التي قدمها شعب أفغانستان المجاهد والتي لا يوجد لها مثيل.

#### الإعلام الغربي :

ولقد نعتت كثيرا على موقف الصحف العربية التي تحمل لواء تحطيم الجهاد الأفغاني وتشويهه في أذهان المحبين والمتعاطفين في العالم الإسلامي فقلت:

ليت شعري لو وقفت صحفنا العربية بجانب الشعب الأفغاني كما وقفت بجانب الشعب الفيتنامي.

فموقفها ضد الشعب المظلوم غير مقبول شرعا ولا إنسانيا ولا أدبيا .

فمن أحب أن ينتصر نجيب الشبوعي (رئيس جهاز الاستخبارات لدولة تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل والتي استدعت القوات الروسية فخلفت وراءها من المشوهين والمعوقين والأرامل والأيتام ما خلفت).

أقول من أحب من ذراري المسلمين انتصار نجيب على المجاهدين فهو أحد اثنين :

إما جاهل فيعذر بجهله حتى يعلم.

وإما عالم جاحد لحق الإخوة الإيمانية بهذا كافر خارج عن الملة، إذ لا يمكن لإنسان يحب هزيمة الشعب الأفغاني المسلم أمام الشيوعية أن يكون في دين الله وإن صام وصلى:

«ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين»

الآية (51) المائدة.

#### أما من الناحية الإنسانية:

فإنه لا يمكن لإنسان في قلبه ذرة خير إلا ويكاد يذوب حزنا بسبب المآسي التي خلفتها هذه الحرب المدمرة التي شنتها روسيا على هذا الشعب الأبوي الصابر المثابر.

فلقد تحولت البيوت إلى مياتم وماتم، فقلما تجد بيتا من بيوتهم (والذي لا يدعو عن خيمة بائسة مزقتها الأعاصير) إلا وملئت هذه الخيمة بمجموعة من الأيتام والأرامل والمشوهين والمعوقين.

فلا يقل الأيتام بعددهم عن نصف مليون يتيم، ويناhez عدد الأرامل ثلاثمائة ألف، وعدد المعوقين والمشوهين يقارب المائتي ألف، ودعك عن الأيتام والأطفال الذين لم يبق من أرحامهم أحد، إذ أن غارات الطيران لم تدع أحدا من أهل البيت حيا سوى طفل صغير

تتأثر دماغ أمه في حجره- كما حدث في بغمان- حيث أغارت الطائرات على نساء القرية وأطفالها الذين جمعوا في المسجد فسحقهم جميعا سوى طفلة صغيرة في حضن أمها تتأثر دماغ أمها في حجرها فجرت الطفلة لهول المنظر.

أبناء لا يعرفهم أحد ولا يعرفون لهم قريبا :

وكم من القرى قد دمرت بكاملها ولم يبق منها سوى أطفال وزعوا على من يرببهم من قرى مجاورة.  
ففي بيت حكمتيار رأيت غلاما في العاشرة فأشار إليه المهندس حكمتيار قائلا : لم يبق من أهله أحد فجئنا به إلى بيتنا نربي.

أمي عربي:

وفي مستشفى النساء / الهلال الكويتي أدخلت إحدى بناتي المستشفى وبينما كنت واقفا مع زوجتي أسألها عن حالة البنت وإذا بطفل في الساعة مشوه اليدين والرجلين، فاستدعته زوجتي قائلة كيف حالك يا عبد الحي؟ فأجاب بلغة عربية ضعيفة الحمد لله ثم قالت لي: هذا الطفل يعيش منذ ثلاث سنوات في المستشفى تجرى له عمليات تجميل حتى أصبح بهذه الحالة، فقد حصلت الغارة وأمّه تخبز فقتلت أمّه ووقع عبد الحي في التنور ودمر البيت بكامله على من فيه وجاء الناس وأنقذوا عبد الحي بعد أن احترق، والآن يجد بعض العناية من زوجتي ولذا فإنه يقول لها : أمي عربي.

ولو عرف عبد الحي لغة البيان لأنشد مع العشماوي:

|                             |                           |
|-----------------------------|---------------------------|
| فألى متى تدمي الجراح قلوبنا | وإلى متى تتفرح الأكباد    |
| نصحو على عزف الرصاص كأننا   | زرع وغارات العدو حصاد     |
| ونبيت بجلدنا الشتاء بسوطه   | جلدا فما يغشى العيون رقاد |
| وتفرخ الأمراض في أجسادنا    | أواه مما تحمل الأجساد     |

تزوجته ليكون معي محرما :

وكم من النساء عقمن لكثرة المصائب وتوقفن عن الانجاب بعد الهجرة، وكم من القرى حطت فيها الطائرات وانتقت مجموعة من العوايق من خدورهن، ثم حلفت فوق القرية ونزعت جميع ملايسهن ثم انتهكت أعراضهن وألقيت أجسادهن العارية فوق القرية.  
وإن نسيت فلا أنس يوم أن أرسلت زوجتي لخطبة فتاة أفغانية لشاب عربي فردت أختها الكبرى على أهلي بلسان عربي مبين قائلة :  
أو تظنين أنه بقي لدينا ميل لجنس أولدنيا؟ فوالله ما تزوجت إلا ليكون زوجي محرما لي في الذهاب والإياب، ولقد مضى علينا ثلاثة أهلة (شهران) دون أن أرى منه أو يرى مني.

الليل مكتئب وقرينتنا يضاجعها الخراب

ونساء قرينتنا على الطرقات يسدلن الحجاب

يخشين يا أبتي على أعراضهن من الذناب

وبكأوهن يشيع في آفاق قرينتنا اكتئاب

كيف لا ترق القلوب لمثل هذه الأحداث، وأنى للقطرة مهما كانت قاسية جاسية أن لا تنوب حزنا ؟

أو بعد هذا كله تطالعنا الصحف العربية مهللة فرحة بمشكلة في فرخار، أو بتجمد الوضع على أبواب جلال آباد؟ أو بتراجع المجاهدين عن (ثمر خيل) واحتلال الشيوعيين لها !

الكفة راجحة لصالح المجاهدين :

ثم واجهت الصحفيين بالقول: إن المجاهدين لا زالوا منتصرين والكفة راجحة لصالحهم رغم الامدادات التي تتصيب كوابل المطر على حكومة كابل فقد وصلها منذ خروج الروس في 51 فبراير سنة 1989م حتى أوائل سبتمبر الماضي 140859 طنا من الذخائر، وبمقابل هذا تجد الشح الهالع الذي أصاب أيدي أصدقاء الجهاد. ولعلك تأخذ صورة عن انقطاع المساعدات عن المجاهدين بالمقارنة بين ما قدم لهم في شهر مارس 1988 أبان حياة الرئيس الراحل ضياء الحق وما قدم لهم في شهر مارس 1989 بعد رحيله، فقد تسلم المجاهدون في شهر مارس سنة 1988م (ألفين وأربعمائة طن) من الذخائر بينما لم تتعد هذه الكمية في مارس سنة 1989م المائة طن قط .

خسائر الشيوعيين بعد الهزيمة الروسية:

وقد سجلت الاحصائيات أرقام الخسائر التي تكبدها نظام المرتدين (الشيوعيين) المتداعي :

فقد خسرت حكومة نجيب منذ خروج الروس حتى أوائل سبتمبر 1989م أي في سبعة أشهر:

52 ألف جندي ، ومائتين وخمس عشرة طائرة، ومائتين وستين دبابة، و 2159 سيارة، و 1485 مدفعا ثقيلًا .

ودعك عن الصراعات العنيفة التي يعاني منها حزب المرتدين الحاكم بين أجنحته (برشم وخلق) وعن محاولات الانقلابات المتواصلة والتي اختتمتها المحاولة التي سجن على أثرها قائد الجيش وقتل نائبه وسجن ستمائة ضابط متهم بها.

في أسبوع واحد فقط:

ولو نظرت إلى الانتصارات الساحقة التي ظفر بها المجاهدون في الشهر الأخير من أكتوبر 1989م لأدركت قوة وضع المجاهدين، وتآلق نجمهم فقد قام المجاهدون بفتح (سور كلي: الحي الأحمر) من ضواحي غزني مسقط مؤسس الحزب الشيوعي -خلق- وأول زعيم شيوعي لأفغانستان محمد نور تراقي، وأغلق ممر سالنج الشمالي والجنوبي بالتعاون بين الحزب (صوفي باينده محمد) الذي يحكم قبضته على سالنج الشمالي وبين الجمعية (أحمد شاه مسعود) الذي يقبض على سالنج الجنوبي، ولا زال الممر مغلقا حتى كتابة هذا المقال.

وفتح المجاهدون قاعدتين في (بغمان) الضاحية الكبرى التي تسيطر على كابل (بجك - تبة) وأسروا مجموعة من رجال الدولة، ودعك عن الضربات الموجهة التي تلقتها كابل وأغلق على أثرها مطارها.

عمليات الشيخ تميم العدناني:

وقد ضرب المجاهدون كابل بتسعين صاروخا سموا عملياتهم باسم (الشهيد تميم العدناني).

وقد أجمع المراقبون أنه أعنف وأضخم هجوم صاروخي تعرضت له كابل منذ خروج الروس. وقد أصابوا إصابات مباشرة القصر الجمهوري، وزارة الدفاع، محطة الرادار، قواعد صواريخ سكود (5.5طن) وصواريخ موشاك، وفندق الوفود (انتر كونتنتال)، والفرقة 4 (قرعة) والفرقة 8 (باغز داود) والمدنية السكنية للضباط الشيوعيين. وليت شعري أي طمس للحقائق وتشويه للجهاد هذا الذي يزاوله الإعلام!!  
وسألني أحدهم: لم القتال، وقد خرج الروس؟ فأجبت خرج الملحدون وجاء المرتدون.  
وقال آخر: لماذا لم تعترف الدول الإسلامية بحكومة المجاهدين؟  
فقلت لهم: لأنها لم تتلق إشارة ضمنية من أمريكا وروسيا، وبأمكانك أن تقطع بهذا من خلال الاعترافات التي بلغت مائة دولة بالدولة الفلسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه بينما يحكم المجاهدون 90% من أرضهم ولا زالت سيوفهم تقطر دما من أعلى ذروة النصر والمجد ولم يعترف بهم سوى أربع دول.

بعضهم أولياء بعض:  
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .  
الآية 37 الانفال  
فإذا كانت الكنيسة جمعت من أمريكا ودول أوروبا الغربية لهذا العام فقط: 159 بليون دولار، وانشأت لنشر النصرانية 1900 إذاعة ووزعت 121 مليون انجيل، كل هذا لعام واحد فقط سنة 1989.  
وجاء كارتر بنفسه ليشرّف على إغاثة النصارى في الحبشة وامداد "جون قرنق" لحرب المسلمين في السودان.  
ووقف العالم كله بإعلامه ضد الجهاد. فماذا فعل المسلمون تجاه الجهاد الأفغاني؟  
وماذا نقول لذراري المسلمين التي قبضت أيديها عن البذل وأشرعت أسننتها واطلقت أسننتها على الجهاد الأفغاني سوي ما قاله المثال العربي ( أحشفا وسوء كيلة)  
ونحذر هؤلاء الذين يمزقون أعراض المجاهدين وينتهكون حرمتهم بقوله صلى اله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته

وانتهى المؤتمر:  
والحق أني رأيتهم جميعا - إلا أشقاهم - قد تفاعلوا مع الكلام واغرورقت عيون البعض بالدموع وكبر البعض مستبشرين والحمد لله رب العالمين .  
(\*) الحشف: الثمر الرديء وهو مثال يقال لمن يجمع بين إيذاء للناس مثل البخل وغيبة المحسنين، أو القعود وايداء المجاهدين.